الاتجاه الديني وأثره
في
شعر أبي مسلم الرواحي

الأستاذ الدكتور

محمد مختار جمعة مبروك

أستاذ الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

قُرآن كَرِيم

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾

سُورَة هُودٍ (٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق ، وأعذبهم بيانًا ، وأنصعهم حجة ، سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد ..

فأبو مسلم الرواحي شاعر كبير ، وقمة شامخة في سماء الشعر العماني قديمه وحديثه ، فالرجل إن لم يكن رائد الشعر العماني فهو في طليعة شعرائه ومن أبرز رواده ، بل إن بعض الكُتّاب يبالغ فيجعله شاعر عصره ، ويذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فيجعله شاعر العرب .

وقد فتن كثير من العمانيين بشعره ، فحفظوا الكثير منه عن ظهر قلب ، ولاسيما نونيته (الفتح والرضوان) التي تردد أبياتها على ألسنة الخاصة والعامة منهم .

ويدرك من تطأ قدمه أرض السلطنة مدى حب العمانيين لهذا الرجل ، وحرصهم على اقتناء ديوانه ، وتسجيلهم لكثير من قصائده بأصوات عذبة رخيمة ، بل يدرك مدى تعصبهم له .

ويرجع هذا الحب والإعجاب إلى أن الرجل قد استطاع أن يشبع رغبات العمانيين على اختلاف مشاربهم ، فهو رجل الدين الضارع المبتهل الراجي عفو ربه ورحمته ، وهو الوطني الغيور على حرمات وطنه من أن يدنسها المستعمر الغاشم أو الظالم المستبد ، وهو المجاهد المناضل في سبيل تخليص وطنه

وأمتـه مـن ربقـة الـذل والاسـتعباد ، وهـو المربـي المصـلح الـداعي إلـى القـيم والفضائل ومكارم الأخلاق ، سلاحه في ذلك : القصيدة ، والمقالة ، والرسالة ، والدرس ، والمعاشرة .

وفـوق ذلـك كلـه ، فالرجـل مـن بيـت علـم وفقـه وأسـرة معروفـة بالصـلاح والتقوى ، وقد آلت إليه رئاسة القضاء والفتوى بزنجبار وما يتبعها من مدن الساحل الشرقي لأفريقيا – إبان خضوعها للحكم العماني – فما زاده موقعه إلا قوة وصلابة في سبيل نصرة دين الله ، والوقوف إلى جانب الحق وأهله .

وعلى الرغم من بروز الاتجاه الديني في شعر أبي مسلم ، وهيمنته عليه – سواء من جهة مضمونه أم من جهة بنائه الفني وتقنياته الأسلوبية – لم يلتفت أحد من الباحثين أو الكُتّاب إلى دراسة هذا الجانب دراسة مستقلة أو متخصصة ، وكل ما كتب حوله فهو في إطار الدراسة العامة لحياة الرجل وشعره .

وبما أن هذا الاتجاه هو محور شعر أبي مسلم ومفتاح فهمه وتحليله ، فقد عمدْت إلى دراسته دراسة متأنية قاربت العامين ، محاولاً سبر أغواره ، والوقوف على بواعثه ومعطياته ، وإبراز أثره في شعره .

وجاء البحث في سبعة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : وقفة مع الشاعر : عصره وبيئته وحياته .. وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عصره وبيئته .. وقدمت لهذا المبحث بتوطئة موجزة عن الحياة الأدبية في عمان ، ثم تحدثت عن أبي مسلم سياسيًا وأدبيًا ، وعن بيئته وأثرها في شعره .

المبحث الثاني : حياته .. وفيه حاولت أن أرسم صورة واضحة لشخصية أبي مسلم ، وأن أبرز من جوانب حياته ما يهيئ لدراسة شعره .

الفصل الثاني : بواعث الخطاب الديني في شعره .. وفيه تناولت أهم العوامل التي أدت إلى هيمنة الخطاب الديني على شعره .

الفصل الثالث : البعد الديني في وطنياته .. وفيه تناولت أهم محورين في وطنياته ، وهما :

المحور الأول : مقاومة الاستعمار وإعلان الثورة عليه .

المحور الثاني : مقاومة الطغاة المستبدين ومناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي .

وقد أضفى أبو مسلم على خطابه في كلا المحورين طابعًا دينيًا ، وكان له من العقيدة والرؤية والثقافة الإسلامية ما يمكنه من كشف خبايا المستعمرين وأذنابهم ، ويؤهله للوقوف قويًا صلبًا في مواجهتهم جميعًا .

الفصل الرابع : النزعة الدينية في مراثيه .. وقد أجاد أبو مسلم توظيف فن الرثاء لخدمة منهجه الدعوي الإصلاحي التربوي ، فوجه من خلال مراثيه ونظراته التأملية رسائل وعظية مؤثرة ، مستفيدًا من لحظات العظة والتأسي التي يوحي بها جو الرثاء .

الفصل الخامس : ابتهالاته ومناجاته .. وفيه بيّنت مدى صدق أبي مسلم مع نفسه في هذا الفن ، فقد اتخذ من قصائده الابتهالية مسلكًا عمليًا لحياته الروحية ، وقسم بعضها إلى أذكار وأوراد يتقرب بها إلى ربه ، على أنه كان يشبع بعض ابتهالياته بروح الاستنهاض ، ودعاء ربه أن ينصر الحق

وأهله ، ويمحق الباطل وحزبه .. ثم تناولت محاور قصيدة الابتهال في شعره ،ووقفت وقفة متأنية مع مستواها الفني .

الفصل السادس : أثر الاتجاه الديني في تشكيل أغراضه الشعرية الأخرى .. وفيه تحدثت عن أثر الاتجاه الديني في مواعظه وحكمه ، ومدائحه النبوية ، وإخوانياته ، ومديحه ، واعتذاره ، وغزله .

الفصل السابع : دراسة فنية .. وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اتجاهه الفني .

المبحث الثاني : إشكالية الزمن في شعره .

المبحث الثالث : المعجم والأسلوب .

ثم جاءت **الخاتمة** .. لتلخص أهم نتائج البحث .

فإن كنت قد وفقت ، فذلك هو المبتغى ولله الفضل والمنة .. وإن كانت الأخرى ، فحسبي أني بذلت وُسْعي ، واجتهدت في كشف أهم الجوانب في حياة أبي مسلم وأكثرها تأثيرًا في شعره وتشكيلاً لبنيته ، وهو الجانب الديني .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة

أستاذ الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر بالقاهرة

الفصل الأول

وقفة مع الشاعر
عصره وبيئته وحياته

وفيه مبحثان

المبحث الأول : عصره وبيئته

المبحث الثاني : حيـــــاته

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

عصره وبيئته

توطئـــة :

فرضت طبيعة الحياة السياسية والأدبية في عمان على كُتّاب تاريخ أدبها تقسيمًا يختلف عن التقسيمات المعروفة لعصور الأدب العربي ، فجاء تقسيم عصورها الأدبية على النحو التالي[١] :

أ – العصر القديم :

ويمتد من العصر الجاهلي إلى بداية حكم النباهنة بعمان سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م .

ولم يصل إلينا من شعر هذا العصر سوى النذر اليسير ، فلم تعرض المصادر الأدبية القديمة للشعر العماني أو الشعراء العمانيين في هذه الفترة إلا لمامًا وفي مواطن متفرقة ، وبما ينبئ عن قلة الشعر العماني وعدم مطاولته أو رقيه لمستوى الشعر في شمال الجزيرة العربية .

---

(١) راجع في ذلك : الشعر العماني الحديث – أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٣١ – ط/ المركز الثقافي العربي – بيروت – سنة ١٩٩٩/٢٠٠٠م – الطبعة الأولى .. والشعر العماني : مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية – د/ علي عبد الخالق علي ص١٥ وما بعدها – ط/ دار المعارف – سنة ١٩٨٤م .. ومدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص٢٨ ، ١٢٢ وما بعدها – ط/ دار المعارف – القاهرة – نشر دار الأسرة – سنة ١٩٩٢م .. والشعر العماني في المهجر الأفريقي – للباحث ص٨ وما بعدها – ط/ دار مصر للخدمات العلمية – سنة ١٩٩٩م .

ويرجع ابن سلام الجمحي السبب في قلة شعر عمان إلى ضعف بواعث الشعر في هذه المنطقة ، فيقول : " إنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم تكن بينهم نائرة[١] ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان "[٢] .

ويشير إلى أمر آخر كان له أثره في ضياع كثير من الشعر العماني وعدم تدوينه ، هو أن جامعي اللغة والأشعار في شمال الجزيرة العربية كانوا ينظرون إلى عرب الجنوب على أنهم أقل فصاحة من عرب الشمال، وأن أدبهم ليس مماثلاً لأدب شمال الجزيرة العربية ، فيروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا "[٣] ، وهو ما يؤكده ابن جني بقوله : " ويكفي ما تعلمه من بعد لغة حمير من لغة ابني نزار .. فإذا كان كذلك جاز أن يدخل من هذه اللغة في لغتنا وإن لم يكن لها فصاحتنا ، غير أنها لغة عربية قديمة "[٤] .

وهذه النظرة إلى أدب الجنوب لم تكن قصرًا على جامعي اللغة والأشعار ، إنما كانت بمثابة الاعتقاد السائد لدى عرب الشمال الذين كانوا يرون أن خبرات أهل عمان ليست بالدرجة الأولى خبرات بلاغية ، وإنما

---

(١) النائرة : الحقد والعداوة ، وفي بعض النسخ المخطوطة للطبقات : " ولم تكن بينهم ثائرة " وهي الثأر والعداوة .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام جـ١ ص٢٥٩ – تحقيق محمود شاكر – ط/ المدني – القاهرة – سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(٣) المصدر السابق جـ١ ص١١ .

(٤) الخصائص – لابن جني جـ٢ ص٢٨ .. وانظر : جـ١ ص٣٨٦ – تحقيق محمد على النجار – ط/ دار الكتب المصرية – سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

هي خبرات عملية ، وشاع بينهم القول بأنهم قوم أعلم بالبسر والرطب منهم بالأشعار والخطب ، وعندما سمع عمر بن عبد العزيز أبياتًا من شعر كعب بن معدان الأشقري سأل : " لمن هذا الشعر ؟ " فقالوا : " لرجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقري " ، فقال : " ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر ! "[١] .

وبهذه النظرة إلى أدب الجنوب عامة والشعر العماني خاصة ، فَقَدَ شعر عمان عاملاً من أهم العوامل التي كانت وراء جمع الأشعار وتدوينها .

يضاف إلى ذلك أن منطقة عمان لم تخضع لسلطان الدولة العباسية إلا لفترة محدودة ، وبما أن جامعي اللغة والأشعار كانوا يدورون حول العواصم أو الحواضر السياسية للدولة العباسية والمناطق التي انضوت تحت لوائها ، فإن الحواضر الثقافية لمنطقة عمان لم تدخل في دائرة المدن التي ألقت عليها المصادر الأدبية القديمة أضواءها[٢] ، في حين أن العمانيين أنفسهم لم يعنوا بجمع أشعارهم عناية أهل الشمال ، وما دونوه منها بعضه ذهب أدراج الرياح ، وبعضه ما يزال مخطوطًا حبيس مكتبة عامة أو خاصة ، ولعل الله تعالى يقيض له من يعمل على لم شعثه وجمع

---

(١) انظر : البيان والتبيين – للجاحظ جـ٣ ص١٧٧ ، ١٧٨ – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت .. والشعر العماني – د/ علي عبد الخالق ص٢٠ ، ٢١ .. وقد قال عمر ذلك تعليقًا على قول كعب :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما ∴ عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعو له ∴ حتى تجلَّد بالسيوف رقاب

بأكف منصلتين أهل بصائر ∴ في وقعهن مزاجر وعقاب

(٢) انظر : مدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٨ .

شتاته ، فتكون النظرة إليه أشمل والرؤية إليه أدق .

ب – عصر النباهنة :

ويعد هذا العصر من الفترات القلقة الغامضة في التاريخ العماني ، حيث تختلف آراء المؤرخين والكُتّاب حول مدة حكم النباهنة ، ووقائع وأحداث عصرهم ، والحكم على قيمته الأدبية .

وعلى الأرجح يبدأ عصر النباهنة سنة ١١٥٤م ، ويمتد إلى سنة ١٦٢٢م[١] ، غير أن فترة حكمهم قد تخللها شيء من حكم الأئمة الذين كانوا يبسطون نفوذهم على بعض المناطق ، حيث كان العمانيون يعقدون للأئمة في بعض البلدان والنباهنة ملوك في بعضها الآخر[٢] .

ويرى أكثر المؤرخين أن عصر النباهنة كان – على الجملة – عصر ظلم وجور ، وقهر واستبداد ، ومن ثمة كثرت فيه الفتن والحروب الداخلية[٣] .

أما القيمة الأدبية لهذا العصر فتختلف الآراء حولها ، بل تتضارب

---

(١) اعتمدت في هذا الترجيح على استقراء العديد من المصادر التاريخية والأدبية ، كـ (شقائق النعمان) ، و(الزمرد الفائق في الأدب الرائق) لمحمد بن راشد الخصيبي ، و(تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) لنور الدين السالمي ، و(الفتح المبين سيرة السادة البوسعيديين) لابن زريق ، و(الشعر العماني) د/ علي عبد الخالق ، و(مدخل إلى دراسة الأدب في عمان) د/ أحمد درويش ، وبعض أعداد مجلة (المنتدى الأدبي) .

(٢) انظر : الزمرد الفائق في الأدب الرائق – للخصيبي جـ٢ ص١٨ – نشر وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

(٣) انظر : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان – لنور الدين السالمي جـ١ ص٣٥٢ – نشر مكتبة نور الدين السالمي – مسقط – سنة ١٩٩٥م .. والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين – لابن زريق ص٢٦٣ – تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عطا الله – نشر وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – الطبعة الثانية .. والزمرد الفائق في الأدب الرائق – للخصيبي جـ٢ ص١٩٨ .

أحيانًا ، فيرى بعض الكُتّاب أن الطابع الغالب على شعر هذا العصر هو طابع التقليد والمحاكاة الشكلية ، والإلحاح على البديع ، والإسراف في الاستعانة به[١] ، ويذهب بعضهم إلى الاعتزاز بالقيمة الأدبية لهذا العصر ، واعتبار شعرائه ممثلين لمرحلة من مراحل النضج في تاريخ الأدب العماني ، وأن ما وصل إلينا من دواوين لبعض شعرائه يؤكد أنهم أفلتوا من ظاهرة الضعف اللغوي التي سادت نتاج كثير من شعراء الدول العربية الأخرى التي رزحت تحت الحكمين المملوكي والعثماني في الفترة الموازية لحكم النباهنة[٢] .

ومن خلال استقرائي لدواوين وأشعار كثير من شعراء هذا العصر أرى أن كلاً من الفريقين قد بنى رأيه على أساس نظرته إلى بعض النماذج دون استقراء تام لشعر هذا العصر .

ومع أن الشواهد والنصوص تميل نسبيًا لصالح من يعتزون بالقيمة الأدبية لهذا العصر ، فمن الدقة أن نقول : " إن بعض شعراء النباهنة أفلتوا – إلى حد ما – من ظاهرة الضعف اللغوي[٣] التي سادت كثيرًا من بلدان العالم العربي في الفترة الموازية ، وأنهم يعدون ممثلين لمرحلة من مراحل النضج في تاريخ الأدب العماني ، على الأقل بالقياس إلى ما وصل إلينا من الشعر العماني القديم عامة وشعر اليعاربة الذي أتوا بعدهم خاصة .

---

(١) انظر : الشعر العماني – د/ علي عبد الخالق ص٢٨-٣٣ .

(٢) انظر : مدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

(٣) من هؤلاء الشعراء : سليمان بن سليمان النبهاني ، وأبو بكر أحمد بن سعيد الستالي ، فقد حاولا محاكاة فحول الشعراء المتقدمين ، والعودة بالقصيدة إلى ديباجتها العربية الأصيلة .

جـ – عصر اليعاربة :

ويبدأ هذا العصر ببيعة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سنة ١٦٢٢م ، وينتهي بانتقال الحكم من اليعاربة إلى البوسعيديين سنة ١٧٤١م .

وقد قامت هذه الدولة على أسس دينية بتولي الأئمة وإعلان الجهاد ضد البرتغاليين الذين كانوا قد استولوا – إبان حكم النباهنة – على مسقط وغيرها من المدن العمانية الواقعة على ساحل الخليج العربي .

وحقق اليعاربة انتصارات ساحقة مكنتهم من طرد البرتغاليين من عمان والخليج العربي ، ثم ملاحقتهم وطردهم من شرق أفريقيا بعد أن طلب أمراء سواحلها الشرقية من العمانيين التدخل لحمايتهم وإنقاذهم من عسف البرتغاليين وجورهم ، مما مهّد لبسط النفوذ العماني على هذه المناطق ، ثم قيام الدولة العمانية هناك[١] .

ومع ذلك فإن الشعر في هذا العصر لم يرق إلى مستوى هذه الأحداث ، فقد غلب عليه التكلف ، والزخرفة اللفظية ، والخيال السطحي، والمعاني المستهلكة[٢] ، ويرجع ذلك – إلى حد كبير – إلى طبيعة الحكم التي تغيرت في هذا العصر ، حيث صار الحكم دينيًا بتولي الأئمة وعقد

---

(١) راجع في أخبار دولة اليعاربة وانتصاراتهم على البرتغاليين : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان – لنور الدين السالمي جـ٢ ص٣ وما بعدها .. والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين – لابن زريق ص٢٣٠ وما بعدها .. وجهينة الأخبار في تاريخ زنجبار – للمغيري ص١٩٢ وما بعدها – تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد على الصليبي – ط/ وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .. والشعر العربية في شرق أفريقيا – د/ أحمد درويش (بحث بمجلة المنتدى الأدبي – عدد ديسمبر سنة ١٩٩٣م – إصدار وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط) ص٢٣٢ .

(٢) انظر : الشعر العماني – د/ علي عبد الخالق ص٣٤ .

البيعة لهم ، وقد عمل هؤلاء الأئمة على تقريب العلماء والفقهاء والقضاة أكثر من الأدباء والشعراء ، وكان أكثر الشعراء الملتفين حولهم ممن ينتمون إلى هذه الشريحة الدينية التي يحتل العلم في صدورها مكانة أكبر من تلك التي يحتلها الشعر .

وفي ذلك – أيضًا – ما يفسر قوة النثر الأدبي في هذا العصر بالقياس إلى الشعر ، أو على الأقل بالقياس إلى ما وصل إلينا من هذا الشعر ، فمادام صوت العلماء هو الذي يصل في الحالتين ، فإن باعهم غالبًا ما يكون أطول في مجال النثر[١] .

د – عصر البوسعيديين :

ويبدأ هذا العصر سنة ١٧٤١م ، وما يزال قائمًا إلى عامنا هذا ٢٠٠١م ، حيث يتولى السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور البوسعيدي مقاليد الحكم في عمان .

ويقسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل[٢] :

المرحلة الأولى : وتبدأ بولاية الإمام أحمد بن سعيد سنة ١٧٤١م ، وتمتد إلى بداية حكم الإمام عزان بن قيس سنة ١٨٦٨م .

ولم يختلف حال الشعر في هذه المرحلة عما كان عليه إبان عصر اليعاربة ، فقد تأثر شعراؤها بالموروث الثقافي لأسلافهم اليعاربة ، فغلب عليهم الصبغ البديعي ، وراحوا يتبارون في إظهار براعتهم فيه ، فتلاشت الفكرة في خضم الزخارف اللفظية مما أفقد شعرهم رونقه وبهاءه وروحه

---

(١) انظر : مدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٤٢ .

(٢) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٣١ ، ٣٢ .

الأصيلة[١] .

المرحلة الثانية : وتبدأ بولاية الإمام عزان بن قيس سنة ١٨٦٨م ، وتمتد إلى بداية حكم السلطان قابوس بن سعيد سنة ١٩٧٠م .

وفي هذه المرحلة لمع نجم شاعرنا الكبير أبي مسلم الرواحي ، وفيها خطا الشعر العماني إلى الأمام خطوات كبيرة ، ونبغ أكثر من شاعر مجيد[٢] .

المرحلة الثالثة : ويطلق عليها العمانيون : مرحلة النهضة الحديثة ، وتبدأ بتولي السلطان قابوس بن سعيد الحكم سنة ١٩٧٠م[٣] .

وفيها تحاول عمان جاهدة اللحاق بركب الحضارة والتقدم ، ففي مجال الأدب والنقد تولي السلطنة اهتمامًا كبيرًا للشعر والشعراء والنقاد ، فتشجع النوادي الأدبية والشعرية ، وتقيم المنتديات واللقاءات ، وتعمل على نشر التراث الأدبي ، وتدعم المجلات الأدبية والنقدية ، ومن أهم المجلات التي تصدر بالسلطنة حاليًا : مجلة (نزوى)[٤] ، ومجلة (المنتدى الأدبي)[٥] .

وعلى كل فإن السلطنة في عصرها الحاضر تعمل على تشجيع

---

(١) انظر : الشعر العماني – د/ علي عبد الخالق ص٤٨ .

(٢) سيأتي تفصيل القول في هذه المرحلة في الحديث عن عصر أبي مسلم ص .

(٣) انظر : اتجاهات الشعر العماني المعاصر – لشبر بن شرف الموسوي ص٤٩ – ط/ مطابع النهضة – مسقط – سنة ٢٠٠٠م .. وفي الأدب العماني الحديث – ليوسف الشاروني ص٩ – ط/ دار رياض الريس للكتب والنشر – لندن – سنة ١٩٩٠م .

(٤) مجلة فصلية ثقافية متميزة ، تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر ، وتعنى بالقضايا الأدبية والنقدية ، وبخاصة فيما يتصل بقضايا الحداثة ، وتسهم في نشر الأعمال الإبداعية بفنونها المختلفة .

(٥) مجلة علمية أدبية تصدر سنويًا عن المنتدى الأدبي بالسلطنة ، وتعنى – إلى حد كبير – بقضايا الأدب العماني ، ونشر الدراسات الأدبية والأعمال الإبداعية التي يتناولها المنتدى طوال العام وفي ختام أنشطته السنوية ، وتعد من أهم المصادر الحديثة في دراسة الأدب العماني .

الإبداع الأدبي في شتى جوانبه ، وبخاصة فيما يتصل بإسهامات المبدعين من الشباب .

عصر أبي مسلم

بما أن إطلالة أبي مسلم على وجه الحياة كانت – على الأرجح – سنة ١٨٥٦م[١] ، فإن طفولته وصباه يدخلان في المرحلة الأولى من العصر البوسعيدي ، أما شاعريته فقد تفتقت في المرحلة الثانية من هذا العصر ، وفيها تفجر ينبوعه الشعري دفاقًا في عمان وشرق أفريقيا ومنطقة الخليج العربي .

وهاكم أهم الملامح السياسية والأدبية لعصر أبي مسلم :

أ – الجانب السياسي :

ولد أبو مسلم في فترة كانت الخلافات السياسية فيها قد بدأت تفت في عضد الدولة العمانية ، فبعد وفاة سعيد بن سلطان البوسعيدي سنة ١٨٥٦م دب الخلاف على الحكم بين ولدين ثويني حاكم مسقط ، وماجد حاكم زنجبار ، وتدخل الإنجليز في الأمر ، وشكلوا لجنة عرفت بلجنة تقصي الحقائق – ولا شك أن الإنجليز كانت لهم أطماع ومصالح استعمارية في منطقة الخليج وشرق أفريقيا ، ولم يكن في صالحهم وجود دولة عربية قوية متماسكة في منطقة نفوذهم – فتمخض عن تقارير لجنتهم تقسيم الدولة العمانية إلى قسمين : مسقط ويحكمها السيد/ ثويني بن سعيد، وزنجبار[٢] ويحكمها السيد/ ماجد بن سعيد ، مما أضعف شأن هذه الدولة

---

(١) سيأتي تفصيل القول في تاريخ ومحل ولادته في المبحث التالي ص .

(٢) جزء من دولة تنزانيا الحالية ، وكانت عاصمة العمانيين بشرق أفريقيا إلى سنة ١٩٦٣م حيث انحسر الحكم العماني عنها في هذا العام ، فأعلن استقلالها ، ثم كونت بالاتحاد مع دولة تنجانيقا دولة تنزانيا الحالية .

وهز كيانها ، وتحولت مسقط إلى إمارة صغيرة ، فضعف تأثيرها في السياسة الدولية ، وخسرت بذلك مركزها السياسي والاقتصادي الذي كانت تحتله من قبل[١] .

على أن الأمر لم يقف عند حدود هذا الانقسام ، فإمعانًا في الفرقة والتمزق دب خلاف آخر في الشق العماني ، فقد ثار العمانيون على السيد/ فيصل بن تركي ، وبايعوا الشيخ سالم بن راشد الخروصي سنة ١٩١٣م بالإمامة على عمان ، فاستعان السيد/ فيصل بن تركي بالإنجليز الذين تدخلوا لحمايته ، واحتضنوا قضيته ، وأنزلوا قوات من جيشهم فاشتبكت مع جيش الإمام سالم علي بعد خمسة أميال من العاصمة مسقط ، غير أن الإنجليز كانوا يخشون تدخل قوى استعمارية أخرى في الصراع ، وبخاصة بعد أن أدركوا أن القضاء على جيش الإمام سالم ليس بالأمر الهين أو اليسير ، كما أدرك الإمام أن لا طاقة له – ودولة الإمامة ما تزال في بداية تكوينها – بتحقيق النصر على السلطان مادام يحميه الإنجليز ، فانتهى الأمر بالصلح الذي انشطرت بموجبه عمان شطرين آخرين : عمان الساحل ويحكمها السيد/ فيصل بن تركي ، وعمان الداخل ويحكمها الإمام سالم بن راشد الخروصي[٢] .

---

(١) انظر : سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر – لمديحة أحمد درويش ص١٢٤ ، ١٢٥ – ط/ دار الشروق – جدة – سنة ١٩٨٢م .. وتاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر – د/ جمال زكريا قاسم جـ٢ ص١٠٨–١١٠ – ط/ دار الفكر العربي – القاهرة – سنة ١٩٩٦م .. ودراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر – د/ بدر الدين عباس الخصوصي جـ٢ ص٢ ، ١٦ ، ٢٩ – نشر دار ذات السلاسل – الكويت – سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – الطبعة الأولى .

(٢) انظر : مقدمة ديوان أبي مسلم الرواحي – لعبد الرحمن الخزندار ص١٢ – ط/ دار

ولم يكن أبو مسلم – على الرغم من إقامته بزنجبار – بمعزل عن أحداث وطنه الأم ، فقد كان يرسل قصائده الواحدة تلو الأخرى لمعاضدة الإمام سالم ، ويستصرخ القبائل العربية لمناصرته ، حتى لقبه بعض الكُتّاب بـ (شاعر دولة الإمامة)[١] .

ب – الجانب الأدبي :

تعد المرحلة التي تفتقت فيها شاعرية أبي مسلم – المرحلة الثانية من العصر البوسعيدي – من أزهى عصور الحياة الأدبية في عمان ، فقد خطا فيها الشعر العماني إلى الأمام خطوات واضحة ، وعرف عددًا غير قليل الشعراء المجيدين الذين يعدون من أعلام الشعر العماني على اختلاف عصوره ، يأتي في مقدمتهم شاعرنا الكبير أبو مسلم الرواحي الذي مازال يتبوأ مكان الصدارة بين شعراء عصره ، وإلى جانبه نبغ شعراء آخرون كـ ابن شيخان ، وأبي سلام الكندي ، وسعيد بن خلفان الخليلي ، وعبد الله بن علي الخليلي ، وأبي وسيم الإزكوي ، وعبد الرحمن الريامي ، وعلي بن خميس البرواني ... وغيرهم .

وكان لهؤلاء الشعراء أثر واضح ودور بارز في نمو الحركة الأدبية وازدهارها بسلطنة عمان ، فقد استطاعوا أن يخلصوا الشعر من قيوده

المختار – سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .. والشعر العماني الحديث – أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٨ ، ١٩ .. وفي مزيد من تفاصيل الانقسامات الداخلية بسلطنة (مسقط) انظر : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص٢٣٣ ، ٢٦٩ – ط/ عيسى الحلبي – بدون تاريخ .. وتاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر – د/ جمال زكريا قاسم جـ١ ص١١٨ وما بعدها .. ودراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر – د/ بدر الدين عباس الخصوصي جـ٦ ص٢٩ .

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٩ .

وأغلاله البديعية التي كبلته رزحًا طويلاً من الزمن إبان عصر اليعاربة والمرحلة الأولى من العصر البوسعيدي ، وانطلقوا به إلى محاكاة النماذج الأصيلة في الأدب العربي ونسجوا على منوالها .

وقد واجه شعراء هذه المرحلة فترة حرجة من تاريخ عمان ، هي تلك الفترة التي زاد فيها النفوذ الاستعماري في منطقة الخليج العربي ، فظهرت في قصائدهم الدعوات الاستنهاضية ، والعمل على إيقاظ الشعور الديني والوطني والقومي ، وكانت استنهاضات أبي مسلم الرواحي وأبي سلام الكندي بمثابة لهيب الثورة ضد الاستعمار في منطقة الخليج كلها ، وكان لشعرهما وقع الصدى في نفوس أحرار شرق الجزيرة العربية من أدباء وكُتّاب وشعراء ، فظهر لهما تلامذة يسيرون على نهجهما في الدعوة إلى الحرية ووحدة شعوب الأمة العربية في مواجهة الاستعمار[١] .

يقول أبو سلام الكندي[٢] في إحدى قصائده الاستنهاضية[٣] :

عمان انهضي واستنهضي الشرق والثريا ∴ ولا تقعدي واستصحبي الصارم العضبا

عمان انهضي إن السيوف بغمدها ∴ تئن وقد أضحت تطالبنا حربا

أميطي قناع الذل عنك فإنما ∴ حبائل أهل البغى قد نصبت نصبا

---

(١) راجع : الشعر العماني – د/ علي عبد الخالق ص٣٥ ، ٥١ .

(٢) هو أبو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي النزوي العماني ، نشأ في بيت علم وفقه ، كان والده من كبار العلماء والقضاة وأهل الفتوى ، وكان أخوه محمد بن سعيد شاعرًا ، وشعره متنوع الأغراض ، لكن أكثره يذهب في الحماسة والاستنهاض ، والدعوة إلى مواجهة المستعمرين والطغاة ، فأُبعد عن وطنه منفيًا إلى الهند فترة من حياته ، أما وفاته فكانت سنة ١٣٩٨هـ/١٩٦٠م ؛ انظر في أخباره : شقائق النعمان – للخصيبي جـ١ ص٢٤٨ .. وشعراء عمانيون – لسعيد الصقلاوي ص١٧٣ – نشر مكتبة النهضة المصرية – سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٣) شقائق النعمان – للخصيبي جـ١ ص٢٣٩ .

وقائعنا مشهورة في عدونا ∴ فمن ينكر الشمس المنيرة والشهبا[١]

فسائل بني الإفرنج كيف تبدوا ∴ وما لقي الأعداء تبا لهم تبا

فلا يصبوا أنا نديـن كغيرنا ∴ فهيهات أن نرضى ولو أطبقوا السحبا[٢]

في هذه الدفقة الاستنهاضية يعبر الشاعر عن حالة الغليان التي كانت تجيش بها صدور الأحرار ، فيستعير لها صورة السيوف التي تئن في غمدها ، وهي تطالب القوم حربًا ونضالاً ، ويطلب إلى بني وطنه أن يميطوا قناع الذل والهوان عن وجوههم ، فتاريخهم المجيد يؤهلهم ويدفعهم إلى مواجهة المستعمر الغاشم ، ووقائعهم في عدوهم مشهورة ، يشهد بذلك ما كبدوه الاستعمال البرتغالي الصليبي من خسائر فادحة في عمان وشرق أفريقيا ، فينبغي أن يعلم هؤلاء المستعمرون المغتصبون أن العمانيين ليسوا كغيرهم من يقبل الضيم ويرضى بالهوان .

وينحى الكندي باللائمة على الحكام الضعاف المتخاذلين ، ويضرع إلى الله تعالى أن يهيئ لأهل عمان إمامًا أبيًا مجاهدًا يأخذ بيدها إلى سبيل العزة والكرامة ونصرة دين الله تعالى ، فيقول[٣] :

فولاة الأمور كل أراه ∴ قاعدًا في مقره كاليتيم

لا ترى أنفسًا لذا الأمر كفئا ∴ يختفي ذكرهم بليل بهيم[٤]

---

(١) يشير بذلك إلى وقائع العمانيين بالبرتغاليين في عمان وشرق أفريقيا .

(٢) ندين : نخضع أو نذل .

(٣) شقائق النعمان – للخصيبي جـ١ ص٢٤١ .

(٤) المراد بقوله : " ذا الأمر " إعلان الجهاد ، والعمل على طرد الدخيل المستعمر .. والليل البهيم : هو الليل الأسود الحالك السواد ، والمراد أن هؤلاء الحكام المتخاذلين لا يعول عليهم وقت الشدائد .

رب رحمـاك إننـا مـا رضينـا ∴ مـا رضـوه فافتـح لنـا بـزعيم

يظهـر العـدل في الـبلاد ويجـلو ∴ كـل بطـل بسيفـه المسمـوم[١]

يصـبح القطـر أهلـه في ابتهـاج ∴ ونـرى الـدين فـوق هـام النجـوم

ويدعو عبد الله الخليلي[٢] إلى الثورة والثأر لما حل ببني جلدته في زنجبـار عنـدما ثـار علـيهم الزنجبـاريون بتأليـب ومسـاعدة مـن القـوى الاستعمارية الغربية في شرق أفريقيا ، فيقول في سينيته التي نظمها سنة ١٩٦٤م يعارض بها سينيتي البحتري وشوقي[٣] :

إخـوتي إخـوتي أنومًـا هنيئًـا ∴ وعلـى زنجبـار أنيـاب فـرس

غـادة تسـتباح جهـرًا وشيـخ ∴ مسـتهان وباسـل تحـت رمـس

---

(١) البطل – بضم الباء وسكون الطاء – : الباطل .

(٢) هو الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي ، ولد في ولاية سمائل سنة ١٩٩٢م ، ونشأ في بيت علم وفقه ورئاسة ، فقد كان عمه محمد بن عبد الله الخليلي إمامًا لأهل عمان ، وكان جده الشيخ سعيد بن خلفان عالمًا فقيهًا ، وأديبًا شاعرًا ، ومصلحًا مناضلاً ، ويعد الخليلي من أبرز شعراء عمان في العصر الحديث ، وله عدة دواوين ما بين مطبوع ومخطوط ، ومن أهمها : وحي العبقرية ، من نافذة الحياة ، بين الحقيقة والخيال ، على ركاب الجمهور ، فارس الضاد (مخطوط) .. وإلى جانب إبداعاته الشعرية كان الخليلي كاتب مقامة وقصة قصيرة ، وكانت وفاته سنة ٢٠٠٠م ، انظر في أخباره : أضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا – لعبد الله بن سالم الحارثي ص١٣٢ – ط/ المطابع العالمية – مسقط – سنة ١٩٩٤م .. وفي الأدب العماني الحديث – ليوسف الشاروني ص٥٥ .. ومقدمة ديوانه (وحي العبقرية) ص١١ وما بعدها – ط/ دار جريدة عمان للصحافة والنشر – مسقط – سنة ١٤٠١هـ/١٩٩٠م – الطبعة الثانية .. ومجلة (المنتدى الأدبي) – إصدار يونيو سنة ١٩٩١م ص٢١ وما بعدها .. والملحق الثقافي لصحيفة عمان – عدد (٦٩٩٩) الصادر يوم الإثنين ٢٠٠٠/٦/٣١م (ملحق خاص عن حياة الخليلي وأدبه شعرًا ونثرًا) .

(٣) ديوان وحي العبقرية – للخليلي ص٢٧٤ – ط/ دار جريدة عمان للصحافة والنشر – مسقط – سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

ويتـــيم يبكـــي علـــى أبويـــه ∴ وغـــلام ترديـــه أحجـــار نكـــس
ورضـــيع يشـــقه العلـــم نصفيـــن ∴ ويبغـــي بأمـــه كـــل ركـــس
وفتـــاة كأنهـــا البـــدر سيقـــت ∴ أمـــة تحـــت ســـيئ الخلـــق نـــص

بيئة أبي مسلم

تنازع حياة أبي مسلم بيئتان مختلفتان في كثير من الوجوه طبيعة أرض وطباع خلق : الأولى مسقط رأسه (عمان) ، والأخرى (زنجبار) وإليها كان مستقره ، وبها قضى نحبه .

ففي البيئة الأولى قضى الشاعر مرحلتي الطفولة والصبا وطرفًا من ريعان شبابه ، وفي هذه البيئة الصحراوية القبلية الإسلامية العربية – بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان ودلالات تتداخل وتتشابك وقد تتناقض أحيانًا – نشأ أبو مسلم متزودًا من علوم قومه الدينية واللغوية ، متشربًا قيمهم وأخلاقهم النبيلة ، متأثرًا بطبيعة بلاده التي تحمل على القوة والجلد ، والصلابة والإباء ، ورفض الضيم أو الهوان ، مما كان له أكبر الأثر في تشكيل حياته وشعره .

وقد ظل أبو مسلم طوال حياته وفيًّا لهذا الوطن ، يحن إليه بكل ما فيه ومن فيه ، فقد شب في وديانه ، وتفيأ ظلال نخيله ، وارتوى من مياه أفلاجه ، وسبحت نظراته في جباله الشامخة وقممه المتأبية ، وصحرائه الواسعة المترامية الأطراف ، وله فيه إخوان صدق أوفياء قل أن يجود الزمان بأمثالهم ، يقول في حنينه إلى عمان وأهلها[1] :

عهـــدي بهـــا ونضـــير يصحبهـــا ∴ والدهر في غفلة والشهب إخوان

---

(١) ديوانـه ص٣٠٠ – تحقيـق عبـد الـرحمن الخزنـدار – ط/ مطـابع دار المختـار – سـنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

نشأت فيها وروضاتي ومرتبعي ∴ روح الفضيلة لا روح وريحان
أرتاح فيها إلى خل فيبهرني ∴ صدق وقصد ومعروف وعرفان
فحال حكم النوى بيني وبينهم ∴ هنا تيقنت أن الدهر خوّان

وعلى الرغم من إقامة أبي مسلم بزنجبار في شرق أفريقيا ، فإنه لم يكن يومًا ما بمعزل عن قضايا وطنه الأم ، فقد كانت قصائده الحماسية الاستنهاضية تصل متتابعة من شرق أفريقيا مشاركة إخوانه العمانيين أفراحهم وأتراحهم ، معبرة عن آمالهم وآلامهم ، مرتقبة ذلك اليوم الذي تصبح فيه الأجواء مهيأة لعودة الشاعر إلى وطنه ، لكنه قضى نحبه دون أن يبلغ أمله .

أما بيئته الجديدة (زنجبار)[١] فذات طبيعة خلابة ساحرة تقف على أحد طرفي النقيض في مقابلة بيئة (عمان) الصحراوية ، يقول المغيري[٢] في كتابه (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) : " جديرة زنجبار أن تسمى بستان أفريقيا الشرقية لجمال منظر أريافها التي يرى المتجول فيها كأنه يتنزه في بستان جميل المنظر تتدفق المياه العذبة في جميع أرجائه "[٣] .

لقد استبدل أبو مسلم بصفرة الصحارى لون الجزيرة الخضراء ، وبمياه الآبار والأفلاج تلك الأنهار التي تجري بلا حساب ، وبحر البادية القاسية رقة

---

(١) كانت زنجبار إبان انتقال أبي مسلم إليها وطوال إقامته بها خاضعة لسيطرة الحكم العماني
(٢) هو الشيخ سعيد بن علي بن جمعة بن سعيد المغيري ، ولد بشرقية عمان سنة ١٣٠٠هـ ، ثم انتقل إلى كشكاش من أعمال جزيرة (بمبا) المعروفة بالجزيرة الخضراء بشرق أفريقيا ، ومع الوقت صار من كبار مزارعي القرنفل والنارجيل بها ، وكان مقربًا من السلطان خليفة بن حارب سلطان زنجبار ، وفي سنة ١٣٥١هـ عينته حكومة زنجبار عضوًا بمجلسها التشريعي ، ويعد كتاب (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) من أهم المصادر في دراسة تاريخ أفريقيا الشرقية بصفة عامة ، والدور التاريخي للعمانيين هناك بصفة خاصة ؛ انظر في ترجمته : مقدمة كتابه (جهينة الأخبار) – لعبد المنعم عامر ومحمد علي الصليبي ص٢٤ ، ٣٦ .
(٣) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار – للمغيري ص٦٧ .

النسيم العليل ، وبشظف العيش وقسوته سعة الرزق وإقبال الحياة ، وهناك أكب أبو مسلم على التعلم في دراسة عصامية جادة صقلت موهبته ، وزادت أفقه اتساعًا ، وأكسبته انفتاحًا ذهنيًا مكنه من التفاعل مع حياته الجديدة .

على أن بعض الحكام العمانيين كانوا قد أولوا زنجبار وشرق أفريقيا عناية خاصة دعمًا وترسيخًا للوجود العربي العماني هناك ، فقد نقل سعيد بن سلطان البوسعيدي عاصمته من مسقط إلى زنجبار سنة ١٨٣٢م متخذًا منها عاصمة للدولة العمانية بشقيها الآسيوي والأفريقي[١] ، وتحول إليها فكان يقيم بها أكثر مما يقيم بمسقط ، وشجع العلماء والفقهاء والأدباء والأعيان ووجوه العمانيين على الانتقال إلى شرق أفريقيا ، مما كان له أثره الواضح في رقيها وحضارتها وازدهارها الثقافي .

فقد عرف العمانيون في شرق أفريقيا الطباعة والصحافة والتعليم العصري قبل أن يعرفه إخوانهم في وطنهم الأم بزمن غير قصير ، فصدرت أول صحيفة عربية في زنجبار – وهي صحيفة النجاح – سنة ١٩١١م على يد شاعرنا الكبير أبي مسلم الرواحي ، وتبعها صدور عدة صحف أخرى ، وهي : النهضة ، والمرشد ، والفلق ، والإصلاح ، والأمة ، والمعرفة ، والشروق ، وصحيفة (زنجبار) التي كانت تصدر باللغتين : العربية والإنجليزية في آن واحد ، إضافة إلى بعض المجلات ، مثل مجلة المعلمين[٢] .

---

(١) انظر : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر – د/ جمال زكريا قاسم جـ٢ ص٦٢ ، ١٠٤ .

(٢) راجع : الإسهام العماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الأفريقية في العهد البوسعيدي – د/ إبراهيم الزين صغيرون (بحث بمجلة المنتدى الأدبي – إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان – عدد ديسمبر ١٩٩٣م) ص٢٠٧ ، ٢٠٨ .. ومكونات التنوير وشخصياته في صحافة المهجر العماني – د/ محسن الكندي (بحث بمجلة نزوى – عدد أبريل سنة ١٩٩٩م – العدد الثامن عشر) ص٧٩ .

وأولت بعض هذه الصحف والمجلات الجانب العلمي والأدبي عناية خاصة ، في حين أن العمانيين لم يعرفوا الصحافة في وطنهم الأم إلا في سنة ١٩٧١م بصدور صحيفة الوطن ، أي بعد معرفتهم بها في شرق أفريقيا بنحو ستين عامًا .

وكان للمطبعة التي أنشأها السلطان برغش بن سعيد بن سلطان البوسعيدي سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨١م أثر كبير في هذا المد الثقافي[١] ، حيث ساعدت على ظهور الصحف ، وانتشار الكتاب وسهولة الحصول عليه .

وأنشأ السلطان علي بن حمود بن محمد البوسعيدي أول مدرسة لتعليم العلوم العصرية في زنجبار سنة ١٩٠٨م[٢] ، في حين أن مسقط لم تعرف المدارس النظامية إلا في سنة ١٩٤٠م[٣] .

ولم يكن أبو مسلم بمعزل عن أحداث وطنه الجديد ، إنما كان – دائمًا – في قلب الحدث شاعرًا وكاتبًا ، قاضيًا ومفتيًا ومعلمًا .

---

(١) انظر : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار – للمغيري ص٣٣٧ .. والإسهام العماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الأفريقية في العهد البوسعيدي – د/ إبراهيم الزين صغيرون (بحث بمجلة المنتدى الأدبي – عدد ديسمبر ١٩٩٣م) ص٢٠٦ .

(٢) انظر : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار – للمغيري ص٤٢٢ .

(٣) انظر : لمحات عن ماضي التعليم في عمان ص٧ – إصدار وزارة التربية والتعليم وشئون الشباب – مسقط – سنة ١٩٨٢م .

المَبْحَثُ الثَّانِي

حياة أبي مسلم(*)

اسمه وكنيته ولقبه :

هو أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم بن صالح بن محمد بن عبد الله بن محمد الرواحي البهلاني العماني .

كُني شاعرنا بأبي مسلم ، وهي الكنية التي اشتهر بها ، وكانت الأحب إليه والأقرب إلى نفسه ، لارتباط مدلولها بالاستقامة الدينية ، وله كنية أخرى يُدعى فيها باسم ابنه الأكبر (المهنا) وإليها يشير قول سالم بن سليمان الرواحي في رثائه :

ووالهفا عليك أبا المهنا ∴ أتسمع أنت مني ذا الجؤارا(١)

(*) راجع في أخباره : شقائق النعمان – للخصيبي جـ٢ ص٣٤٧ .. وشعراء عمانيون – لسعيد الصقلاوي ص٣٢٧ .. وأضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا – لعبد الله بن سالم الحارثي ص٥٥ .. وأبو مسلم الرواحي حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص٨ .. والشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٦٤ .. وتطور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٥٢ .. ومقدمة ديوانه – لعلي النجدي ناصف – ط/ وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .. ومقدمة (ديوانه) – لعبد الرحمن الخزندار – ط/ مطابع دار المختار – سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .. ومقدمة كتابه (نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر) – لسالم بن حمود وأحمد بن سعود السيابيين ص١–١٤ – نشر وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سنة ١٩٨٠م .. ومجلة المعالم – الصادرة في لندن – عدد سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٠م – العدد الثاني ، وعدد يناير/فبراير ٢٠٠١م – العدد الرابع ص١٨ .

(١) البيت من قصيدة طويلة في رثاء أبي مسلم وتعداد مناقبه ، وهي مثبتة في مقدمة ديوانه – تحقيق على النجدي ناصف ، على أن الشاعر لم يوفق في هذا البيت ، وعلى الأحرى =
= في قافيته ، فروى القصيدة – خلا هذا اليت – مرفوع ، فإن رفع كلمة (الجؤارا) وقع في

لكن هذه الكنية كانت أقل شيوعًا ، لما عرف من ميل الشاعر إلى الكنية الأولى وارتياحه النفسي لها .

ولقب بالرواحي نسبة إلى قبيلته (رواحة) التي تمتد جذورها إلى قبيلة (عبس بن بغيض) العربية المشهورة ، كما لقب بالبهلاني نسبة إلى بلدة (بهلا)[١] إحدى مناطق عمان الداخلية ، إذ كانت موطن أجداده قبل أن ينتقلوا منها إلى وادي محرم مسقط رأسه ، ويلقب بحسان عمان لاتجاهه الإسلامي في شعره ، ولقوله[٢] :

لا يصدق الدين إلا من يناصحه ∴ ولا يتم بغير النصح إيمان

تلكم وصية حسان لكم ثبتت ∴ فإنني اليوم للإسلام حسان

مولده ونشأته :

ولد أبو مسلم بقرية محرم أكبر قرى وادي بني رواحة المعروف بوادي محرم ، من أعمال ولاية سمائل إحدى ولايات المنطقة الداخلية بعمان على بعد

الخطأ النحوي ، وإن نصبها وقع في الإصراف .. فن التقطيع الشعري والقافية – د/ صفاء خلوصي ص٢٨٢ – نشر مكتبة المثنى – بغداد – سنة ١٩٧٧م .. وغاية المستفيد من علم العروض الجديد – د/ إبراهيم علي أو الخشب ص٩٨ – ط/ دار الطباعة الحديثة – القاهرة – سنة ١٩٨٧م .

(١) وهذه النسبة على غير القياس ، إذ القياس في النسبة إلى (بهلا) : بهلي ، وبهلوي ، وبهلاوي ، وهذا ما دفع بعض الكُتَّاب إلى القول بأن البهلاني ليس نسبة إلى (بهلا) البلدة المشهورة بداخلية عمان ، إنما هو نسبة إلى أحد أجداده ؛ على أنني أرجح الرأي القائل بنسبته إلى (بهلا) لشيوع هذه النسبة بين أهل عمان ، وإن كانت سماعية على غير القياس .. انظر : تعليق يحيى بن محمد البهلاني على مقدمة (نثار الجوهر – لأبي مسلم الرواحي) ص٦ هامش ١ ، ٢ .

(٢) ديوانه ص٣١٥ – تحقيق عبد الرحمن الخزندار .

خمسين ومائة كيلومترًا من العاصمة مسقط[١] .

وقد وهم صاحب (الأعلام) حين جعل ولادته في زنجبار[٢] ، مخالفًا بذلك جميع من كتبوا عن الرجل من العمانيين وغيرهم أدباء ومؤرخين ، وما هو شائع ومتواتر حتى لدى عامة العمانيين من أن مولد الرجل كان بوادي بني رواحة المعروف بوادي محرم .

وكان مولده – على الأرجح – سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م[٣] ، وقيل : سنة ١٢٧٦هـ ، وقيل : سنة ١٢٧٧هـ[٤] .

وقد اختلط الأمر على أحد محققي ديوانه ، فذكر أنه ولد سنة ١٢٣٧هـ أو سنة ١٢٣٨هـ[٥] ، ولم أر بين المصادر التي كتبت عن الرجل مصدرًا واحدًا يشير إلى هذا التاريخ مجرد إشارة من قريب أو بعيد ، ولعله سهو أو التباس .

ويرجع الاضطراب في تاريخ ولادته إلى عدم وجود شهادة ميلاد للشاعر ، والاعتماد في حفظ تواريخ الميلاد – آنذاك – على الذاكرة وبعض القرائن

---

(١) انظر : مقدمة كتاب (نثار الجوهر) ص١٠ .. وأبو مسلم الرواحي حسان عمان – لمحمد ابن صالح ناصر ص٨ .. والشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد ابن ناصر المحروقي ص٦٤ .

(٢) انظر : الأعلام – لخير الدين الزركلي جـ٧ ص٣٤٨ – ط/ دار العلم للملايين – بيروت – سنة ١٩٩٧م – الطبعة الثانية عشرة .

(٣) هذه الرواية لابن أخي المترجم له الأديب الشاعر سالم بن سليمان الرواحي ، الذي صحب عمه أبا مسلم وكتب عنه شعره ، فهو – بلا شك – من أقرب الناس إليه وأعلمهم بحياته ، وربما حدثه عمه عن شيء من ذلك فأثبته ، وهذه الرواية هي المقدمة عند الخصيبي في شقائق النعمان جـ٢ ص٣٧٤ ، والمرجحة – بالبناء للمفعول – لدى أحمد ابن سعود السيابي في مقدمته لـ (نثار الجوهر) ص١٠ .

(٤) انظر : مقدمة (نثار الجوهر) ص٢ ، ١٠ .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد صالح ناصر ص٨ .

(٥) مقدمة ديوان أبي مسلم – لعلي النجدي ناصف ص١ .

المرتبطة بالأحداث الهامة ، وبخاصة أن الحياة العمانية كانت لا تزال قائمة في معظم شئونها على هيمنة النظام القبلي ، ولم تكن الدولة الحديثة قد بسطت نفوذها وسلطانها على كثير من شئون الحياة[١] .

على أن هذا الاختلاف في تاريخ ولادته لا يؤثر على تناولنا لمسيرة حياته وأثرها في شعره ، لأن أحوال العصر والبيئة والأسرة هي هي لم تتغير ولم تتأثر في حدود هذا الاختلاف .

وقد نشأ أبو مسلم نشأة كريمة في أحضان أسرة معروفة بالعلم والصلاح ، كان والده من أهل العلم والفقه ، عمل قاضيًا للإمام عزان بن قيس ثم للسلطان تزكى بن سعيد بن سلطان ، وكان جده الرابع عبد الله بن محمد المعروف بالبهلاني قاضيًا بوادي محرم أيام دولة اليعاربة[٢] .

وكان طبيعيًا أن يأخذ والده بيده ، وأن يدفع به إلى حلقات العلم ، فبدأ – شأن أترابه – بحفظ القرآن الكريم ، ثم دراسة علوم الدين واللغة ، فدرس على عدد من علماء وادي محرم في مقدمتهم والده سالم بن عديم ، ثم انتقل إلى بلده .

وقد تفجر ينبوع أبي مسلم الشعري مبكرًا ، فكان لقاؤه مع الشعر في الخامسة عشرة من عمره ، وكانت الأجواء مهيأة والظروف مواتية لنبوغه :

---

(١) يكفي أن نعلم أن إنشاء أول مدرسة نظامية في عمان قد تأخر إلى سنة ١٩٤٠م ، وأن التعليم النظامي لم تعرفه السلطنة – كواقع ملموس – إلا مع بداية حكم السلطان قابوس بن سعيد الذي تولى مقاليد الحكم سنة ١٩٧٠م ، حيث لم يزد عدد المدارس النظامية إلى تاريخ توليه الحكم على ثلاث مدارس .. انظر : (عمان ٩١) ص١٤٣ – إصدار وزارة الإعلام – مسقط – سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .. ومحاضرات في المجتمع العماني المعاصر ص٩٠ – إعداد ونشر كلية الآداب جامعة السلطان قابوس – مسقط – سنة ١٩٩٧/١٩٩٨م .

(٢) انظر : مقدمة (نثار الجوهر) ص٢ ، ١٠ .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد صالح ناصر ص٨ ، ٩ .. وأضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا – لعبد الله بن سالم الحارثي ص٥٥ .

الأسرة ، والبيئة ، والمحيط الأدبي الذي كان خصبًا في زمن الشاعر ، فكثيرًا ما اجتمع الأدباء ودرسوا نتاج رفاقهم ، وكانت القصيدة تلاقي حفاوة كبيرة بين الناس[١] .

انتقاله إلى زنجبار ومكانته بها :

كانت زنجبار وجهة كثيرة من العمانيين ممن ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم ، وممن آثروا حياة هادئة بعيدًا عن الخلافات والانقسامات والفتن الداخلية والقبلية ، وكان أبو مسلم شابًا طموحًا لم يقف طموحه عند حدود الأفق العماني ، فزمّ حقائبه متجهًا إلى زنجبار سنة ١٢٩٥هـ وهو في بداية العقد الثالث من حياته ، وكانت زنجبار – آنذاك – خاضعة للسيطرة العمانية ، وكان والده أحد قضاتها في دولة السلطان برغش بن سعيد ، فقضى بها أبو مسلم خمس سنوات ، ثم عاد إلى عمان سنة ١٣٠٠هـ فمكث بها خمس سنوات – أيضًا – ، غير أنه – فيما يبدو – لم يكن قد عاد من زنجبار بما يحقق آماله أو يرضي طموحه ، وناله شيء من أذى قومه ، وأحس بقلة ذات اليد ، وعاوده الحنين إلى زنجبار ، فانتقل إليها مرة أخرى سنة ١٣٠٥هـ ، وعاش بها ما بقي من أيام حياته[٢] .

وهناك في تلك الربوع الهادئة أكب أبو مسلم على طلب العلم في دراسة عصامية جادة ، فقرأ الكثير من نفائس الكتب الفقهية والأدبية ، فكان الكتاب أستاذه الثاني وجليسه المفضل حتى بزغ نجمه وعلا صيته قاضيًا نبيهًا ،

---

(١) انظر : مقدمة ديوانه – لعبد الرحمن الخزندار ص١٩ .
(٢) انظر : مقدمة (نثار الجوهر) ص٣ ، ١١ .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص١٠ .

وعالمًا فقيهًا ، وأديبًا لامعًا ، فآلت إليه رئاسة القضاء بزنجبار ، وإليه كان المرجع في مهمات الدعاوى وعظائم الأمور ، يقول سالم بن حمود السيابي : "لقد تجرد أبو مسلم للعلم في خلواته ، واجتهد في تحصيله ، وبذل فيه وسعه ، حتى صارت له اليد الطولي في الفقه وأصول العقيدة ، الأمر الذي أهّله لأن يتولى رئاسة قضاء زنجبار وفيها من فيها من رجال العلم من العمانيين وغيرهم مَنْ هم أشهر من نار على علم ، كانوا جميعًا تحت علمه الخفاق بأصول الدين وأصول الفقه وقواعد السنة النبوية ، ويشهد لهذا الرجل بالفقه وسعة العلم مؤلفه (نثار الجوهر) وشهادات من عاصروه أو انضووا تحت لوائه من أهل العلم في زنجبار سواء أكانوا من العمانيين أم من غيرهم[١] .

على أن جهده الأدبي والشعري لم يكن دون جهده الفقهي ، وسنقف على ذلك في الحديث عن شاعريته[٢] .

ولم يكن أبو مسلم بمعزل عن قضايا أمته أو الأحداث العامة بعمان وشرق أفريقيا ، فمن واقع نبوغه في الأدب واهتمامه بقضايا أمته وبالأحداث الجارية في بلاده أسس سنة ١٩١١م صحيفة (النجاح) التي كانت تصدر في زنجبار وتصل أصداؤها وبعض أعدادها إلى عمان ، حيث كانت تُعنى بخدمة الأدب العربي والقضايا الإسلامية والأحداث الدولية ، وقد تولى أبو مسلم رئاسة تحريرها فترة غير قصيرة من الزمن[٣] .

---

(١) مقدمة (نثار الجوهر) ص٤ ، ٥ .
(٢) انظر : ص .
(٣) انظر : مقدمة (نثار الجوهر) ص١١ .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص١٣ .. والعمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق أفريقيا – لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان (بحث بمجلة المنتدى الأدبي – عدد ديسمبر سنة ١٩٩٣م) ص١٨٩ .

وبهذه الجهود وتلك المكانة العلمية والفكرية الرفيعة تبوأ أبو مسلم منزلة عالية لدى حكام زنجبار ، وبخاصة السلطان حمد بن ثويني ، والسلطان حمود بن محمد بن سعيد ، وإن كانت علاقته بالسلطان حمد بن ثويني قد تعرضت في فترة ما لشيء من التوتر بسبب وشاية حاكها حساد الشاعر وشانئوه حتى تمكنوا من تأليب السلطان عليه ، مما اضطره إلى الاعتذار إليه والمبالغة في مديحه حتى حظي برضاه والقرب منه مرة أخرى[١] .

مذهبه العقدي والفقهي :

كان أبو مسلم إباضي العقيدة والمذهب ، بل إنه ليعد من أعلام المذهب الإباضي[٢] ، وأبرز المنافحين عنه بشرق أفريقيا ، يقول سالم بن حمود السيابي: " إنه كان يكافح عن المذهب الإباضي الكفاح المرير الذي لا يقدر عليه غيره، وهيهات أن يقدر على اقتحامه المعترض ، ولقد نادى رافعًا عقيرته بمذهبه بين أعلام المذاهب ، فبزّ من رام نقد بنائه ، وعند ذلك قال[٣] :

قل للذئاب الكاسرات تفسحي ∴ عزّ الحمى وأعز منه الحامي

وتتضح نزعته ورؤيته المذهبية من خلال مؤلفاته في العقيدة والفقه ، ومن

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٤٤ .

(٢) ينسب المذهب الإباضي إلى عبد الله بن إباض التميمي ، والإباضية إحدى الفرق التي تشعبت عن فرقة الخوارج ، ويطلقون على أنفسهم (الشراة) أي الذين باعوا أنفسهم لله ، وهم في منظور أهل السنة أعدل فرق الخوارج .. راجع في أخبارهم وأصل عقيدتهم : الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص١٣٤ – نشر مؤسسة الحلبي – القاهرة .. وتاريخ المذاهب الإسلامية – للشيخ محمد أبو زهرة ص٧٦ – ط/ دار الفكر العربي – القاهرة – سنة ١٩٩٦م .. والإباضية في موكب التاريخ – لعلي يحيى معمر ص٥٩ – نشر مكتبة وهبة – القاهرة – سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م – الطبعة الثانية .

(٣) مقدمة (نثار الجوهر) ص٥ .. والبيت في ديوانه ص٢٧٣ – تحقيق الخزندار .

خلال شعره أيضًا ، فالإباضية يقولون بعدم جواز رؤية الله تعالى ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، لا للمؤمنين ولا لغيرهم[١] ، وأبو مسلم يدين بذلك ، ويعبر عنه بقوله[٢] :

تأدب بجنب الله عن قول رؤية ∴ وقل ما تشا في مدح خير البرية

فذاك اعتقاد المبطلين بربهم ∴ وما قولهم في ذلكم غير ريبة

ويعبر عن مقولة الخوارج التاريخية الشهيرة : " لا حكم إلا لله " بقوله[٣] :

أما والذي لا حكم من فوق حكمه ∴ على خلقه ورد به وصدور

كما يعبر عن رفضهم تحكم الرجال بقوله[٤] :

وإن رجالاً حكموا الله حجة ∴ على من بتحكيم الرجال يصور[٥]

ويدافع أبو مسلم عن مذهب الإباضية وآرائهم في صفات الله تعالى ، وقولهم بخلق القرآن ، ويفند آراء الأشاعرة وغيرهم في كثير من مسائل

---

(١) وأهل السنة على جواز رؤيته تعالى للمؤمنين في الآخرة ، ويقول بعضهم بوقوعها للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج .. انظر في بيان رأي الإباضية : الحق الدامغ – للشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي السلطنة ص٣٢ ، ٩٦ – ط/ دار الندوة الجديدة – بيروت – نشر مكتبة الضامري – مسقط – سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م – الطبعة الثانية .. وفي بيان رأي أهل السنة : العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية – لإمام الحرمين الجويني ص٣٦ – تحقيق أحمد حجازي السقا – نشر مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .. ومناهج الأدلة في عقائد الملة – لابن رشد ص٨٢ ، ٨٥ – تحقيق د/ محمود قاسم – ط/ مكتبة الأنجلو المصرية – سنة ١٩٦٤م .. ودراسات في العقيدة الإسلامية – د/ فؤاد العقلي ص٧٠ – نشر المؤلف – سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

(٢) ديوانه ص٢٩٠ – تحقيق الخزندار .

(٣) المصدر السابق ص٣١ .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) يصور : يفصل ويقطع ، يقال : صار الرجل الشيء إذا قطعه وفصله .

العقيدة[١]، بل إنه ليدافع عن مذهبه في استماتة ،ويراه المذهب الحق الذي لا يجوز الحياد عنه ، وذلك عندما يقول في ختام قصيدته العقدية (برهان الاستقامة)[٢] :

هذا هو الحق لا أبغي به بدلا ∴ بأي حال ولو عادتني العصر

غير أنه يبدو متعصبًا شديد العصبية لمذهبه حين يشير إلى أن فرقته هي الفرقة الناجية وما سواها على خطر ، فيقول في مديح أسلافه الإباضيين[٣] :

باعوا بباقية الرضوان فانيهم ∴ كأن لذة هذا العيش أوثان

ما زايلت خطوة المختار خطوتهم ∴ ولا ثنى عزمهم نفس وشيطان

لا يقبل الله دينًا غير دينهم ∴ ولا يصح الهدى إلا بما دانوا

حقيقة الحق ما دانوا به وأتوا ∴ وما عداه أخاليط وخمان[٤]

هم الإباضية الزهر الكرام لهم ∴ بعزة الله فوق الخلق سلطان

لم يعرف العدل إلا في استقامتهم ∴ لم يوف إلا لهم في العدل ميزان

أخلاقـــــه :

عرف أبو مسلم بعلو الهمة ، ودماثة الخلق ، ولين الجانب في غير ضعف ، والترفع عن الدنايا وسفاسف الأمور ، وكان جوّادًا كريمًا لا يبقي من المال على شيء ، ولا يرى في الدنيا شيئًا ينبغي أن تشح به النفس ، فعلى الرغم من العطايا التي أغدقها عليه سلاطين زنجبار رحل الرجل عن الدنيا دون أن يمتلك لنفسه منزلاً هناك ، وكانت تصله العطايا فيصرفها في وجوه البر لا

---

(١) راجع : (نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر) – لأبي مسلم الرواحي ص٣١ ، ٤١-٤٣

(٢) ديوانه ص٤٠ – تحقيق الخزندار .

(٣) المصدر السابق ص٣٠٣ .

(٤) خمان : أوهام وظنون .

يبقي منها على شيء أكثر مما يسد جوعته ويستر عورته ، وكان بيته مفتوحًا للقاصي والداني من أصحاب الحاجات ، وعرف السلطان حمد بن ثويني ذلك عنه فخصص له – إلى جانب راتبه الشهري – مائة روبية تسلم إليه كل جمعة، وكان الناس يعرفون ذلك فيأتون إليه ، منهم من يطلب المساعدة للحاجة ، ومنهم من يطلبها للزواج أو لبناء مسكن ، ونحو ذلك ، فكان يوزعها بينهم ما يصل منها إلى بيته شيء[١] .

وقد تعددت الأخبار والروايات التي تشيد بكرمه ، منها ما يرويه الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي الحالي لسلطنة عمان عن المهنا بن أبي مسلم من أن أحد طلاب العلم – واسمه الشيخ حسن – طلب من أبي مسلم جبة ، فأمر ولده المهنا بإعطائه جبة وصفها له ، فلما دخل المهنا المنزل وجد أنها أفضل جبة عند أبيه ، فقال في نفسه : " أعطي الشيخ جبة أقل منها جودة وأترك هذه الجبة لأبي " ، ولما دخل أبو مسلم منزله في المساء وجد الجبة التي أمر ابنه بإعطائها للشيخ حسن ، فسأله عن سبب بقائها بالمنزل ، فأخبره بما فعل ، فغضب وأمره أن يحملها إليه في الحال ، وكان الوقت مساء والمنزل على بعد ستة أميال[٢] .

وفي هذا ما يؤكد أن الشاعر كان ينفق من عيون ما يملك انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾[٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٧٥ .
(٢) المرجع السابق ص٧٥ .. وانظر في الحديث عن كرمه : مقدمة (نثار الجوهر) ص٦ .
(٣) سورة آل عمران – جزء من الآية (٩٢) .

أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾[١] .

ولقد لخص الرجل فلسفته في نظرته إلى المال بقوله[٢] :

المال لا شيء عندي كي أضن به ∴ في موضع الفضل واللاشيء مبتذل

عودت ربي إنفادي فواضله ∴ فيه وعودني التعويض ينهمل

عوائد الله أغنى لي وإن تربت ∴ كفيّ ونعمة ربي نعمة جلل

شاعريته :

مما لا شك فيه أننا إزاء شاعر كبير وقامة شامخة في سماء الشعر العماني قديمه وحديثه ، فأبو مسلم – كما يقول عبد الله الطائي[٣] – : " شاعر متدفق الشاعرية ، ورجل قوي الشخصية ، لذا نجده رمز البطولة لدى مواطنيه ، وموضع التقدير والثناء لدى قارئ شعره ، ودليل ذلك الوقع الحسن الذي تلاقيه قصائده ، فقد كان يرسلها من أفريقيا الشرقية – مهجر عرب الخليج – فتلاقي صداها في عمان جميعها ، بل إن هذا الصدى عم الخليج جميعه "[٤] .

قال بعض الكُتّاب : " إنه شاعر مصره " ، وقال بعضهم : " شاعر

---

(١) سورة البقرة – جزء من الآية (٢٦٧) .

(٢) ديوانه ص٣٦٩ – تحقيق الخزندار .

(٣) عبد الله الطائي (١٩٢٧–١٩٧٣م) أديب عماني متعدد الجوانب وإعلامي لامع ، له ديوانان مطبوعان هما : (الفجر الزاحف) و(وداعًا أيها الليل الطويل) ، وروايتان هما : (ملائكة الجبل الأخضر) و(الشراع الكبير) ، ومجموعة قصصية بعنوان (المغلغل) ، وبعض الدراسات الأدبية ، عمل نائبًا لرئيس الإعلام بحكومة أبو ظبي ، ثم وزيرًا للإعلام والشئون الاجتماعية والعمل بسلطنة عمان .. انظر : في الشعر العماني الحديث – ليوسف الشاروني ص٥٥ .. واتجاهات الشعر العماني المعاصر – لشبر بن شرف الموسوي ص٨.

(٤) شعراء معاصرون – لعبد الله الطائي ص٢٩ – ط/ مطبعة ألوان – مسقط .

عصره " ، وقال آخرون : " شاعر العرب "[١] .

وعلى الرغم من المبالغة التي تحملها بعض هذه الأوصاف فإن أبا مسلم يعد من أكبر شعراء مصره إن لم يكن رائدهم ، وعلى أقل تقدير فهو رائد الشعر العماني في عصره .

وهو – بلا شك – أحد أعلام الشعر الاستنهاضي ، ولو لم يكن له من الشعر سوى قصيدتيه الاستنهاضيتين النونية[٢] والمقصورة[٣] لكان شاعرًا مجيدًا .

وبتفوق أبي مسلم في هذا الفن استطاع أن يشق طريقه ويأخذ مكانه بين أعلام الشعر العربي الحديث ، ولاسيما في منطقة الخليج العربي ، ولولا ظروف حياته التي اقتضت أن يعيش في شرق أفريقيا بعيدًا عن قلب العالم العربي وأضوائه الإعلامية ، ولو تأخر النهضة العمانية الحديثة بما تحمله من طباعة وصحافة ونشر إلى ما بعد وفاته ، لنال حظًا أوفر وشهرة أعم .

إيضاح لابد منه :

مع تسليمنا بشاعرية أبي مسلم ووضعه في المرتبة التي يستحقها ، فإننا نفرق في دراستنا لنتاجه الأدبي بين أشعاره من جهة وأذكاره وابتهالاته وقصائده السلوكية من جهة أخرى ، فهو في الجانب الأول شاعر مجيد يقف في مصاف

---

(١) انظر : مقدمة كتابه (نثار الجوهر) لسالم بن حمود السيابي ص٥ .. ونهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص٣١٨ – ط/ عيسى الحلبي – القاهرة – بدون تاريخ .

(٢) ديوانه ص٢٩٩–٣١٥ – تحقيق الخزندار ، ومطلعها :

تلك البوارق حاديهن مرنان ∴ فما لطرفك يا ذا الشجو وسنان

(٣) ديوانه ص٣٣٦–٣٥٢ – تحقيق الخزندار ، ومطلعها :

ملك ربوع الحي في سفح النقا ∴ تلوح كالأطلال من جد البلى

شعراء العربية الكبار في عصرنا الحديث ، وفي الجانب الآخر أقرب إلى النظم منه إلى الشعر ، وإن كنا لا نعدم في بعض هذا النظميات جانبًا لا بأس به من الحس الشعري ، وبعض اللفتات الفنية التي تشف عن شاعرية الرجل وامتلاكه ناصية البيان .

وكان أبو مسلم نفسه يعي هذه الحقيقة ، ففرق بين أشعاره ونظمياته ، فجمع أكثر هذه النظميات في كتاب سماه (النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني) ، وترك لابن أخيه الأديب سالم بن سليمان الرواحي جمع أشعاره ، فجمعها في ديوان سماه (ديوان أبي مسلم) .

وقد عرض أحد الباحثين لدراسة المصادر المخطوطة لشعر أبي مسلم ، فقسمها إلى قسمين أساسيين ، هما : مخطوطات الديوان ، ومخطوطات النفس الرحماني[١] ، مما يدل على أن بعض النسّاخ والكُتّاب قد فطنوا إلى هذه التفرقة، لكن من قاموا بطباعة ديوانه جمعوا نتاجه الشعري والنظمي فيما يشبه الأعمال الإبداعية الكاملة ، فجعلوا القسمين في ديوان واحد سموه (ديوان أبي مسلم) ، وبعضهم يكتفي بهذه التسمية ، وبعضهم يضيف إليها كلمة الرواحي أو البهلاني أو العماني .

وفي النسخ المطبوعة تشكل الأذكار والابتهالات وقصائد السلوك القسم الأول من الديوان ، وتشكل قصائد الاستنهاض ، والحنين إلى الوطن ، والرثاء، والإخوانيات ، وغير ذلك من الأغراض الشعرية القسم الثاني منه .

ودراسة شعر أبي مسلم بمعزل عن هذه التفرقة تؤدي إلى عدم الدقة في الحكم عليه ، ولعل هذا ما جعل الأستاذ/ علي النجدي ناصف يقول في تقديمه

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٤٧ .

لديوانه : " وشعر أبي مسلم ليس في درجة واحدة ، لكن فيه تفاوتًا "[١] ، ذلك أنه نظر إلى قسمي الديوان (المنظومات ، والقصائد) نظرة واحدة ، مما أدى به إلى التسرع في أطلاق هذا الحكم على جملة شعره .

مؤلفاتـــه :

على الرغم من كثرة تبعات أبي مسلم واشتغاله بالصحافة والقضاء ، ثم رئاسته لقضاء زنجبار ، فإنه قد ترك مؤلفات تنم عن سعة ثقافته وتنوع مشاربها، حيث جاءت معبرة عن اهتماماته الدينية والشعرية وأدب الرحلات ، وكشفت عن تبحره وسعة أفقه في كثير من علوم الدين واللغة ، ومن أهم مؤلفاته :

١ – ديوانه المعروف بـ (ديوان أبي مسلم الرواحي) .

وقد طبع هذا الديوان بالقاهرة سنة ١٩٢٨م ، وطبع عدة مرات بوزارة التراث القومي والثقافة بمسقط ، وهو أول ديوان في الشعر العماني يعرف طريقه إلى المطبعة .

٢ – نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر .

كتاب في علم الفقه أقرب ما يكون إلى الفقه المقارن ، وقد تضمن مقدمة في أصول العقيدة ، وكان الشاعر ينوي أن يجعل منه موسوعة فقهية في اثنين وعشرين جزءًا ، غير أن المنية لم تمهله ، فلم يكتب منه سوى ثلاثة أجزاء انتهى فيها إلى باب الصوم .

وقد نشرت وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط الجزء الأول من هذا الكتاب ، فجاء في اثنتين وستمائة صفحة من القطع الكبير ، وانتهت موضوعاته بباب (حكم تارك الصلاة) .

---

(١) مقدمة ديوان أبي مسلم – لعلي النجدي ناصف ص١٣ .

واطلعت في أناة على هذا الجزء ، فرأيت أنه ينم عن علم واسع ، ودراسة كبيرة في علم الفقه وأصوله ، وقدرة فائقة على الاستدلال والمناقشة والترجيح ، وطبعي ألا يكون ذلك مستغربًا من رجل أفنى حياته في أمور القضاء والفتوى .

٣ – اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الأفريقية الشرقية .

وهذا الكتاب نشرته وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٩٨٣م، وفيه سجل أبو مسلم مشاهداته وانطباعاته عن مدن أفريقيا الشرقية التي زارها في صحبة السلطان المذكور ، وكانت في الفترة من ٤ رجب سنة ١٣١٦هـ/١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٨م إلى ٣ شعبان سنة ١٣١٦هـ/١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٨م .

٤ – رسالة في شئون السياسة والحكم .

وهذه الرسالة نشرها الأستاذ/ محمد صالح ناصر في ذيل كتابه (أبو مسلم الرواحي : حسان عمان) .

٥ – العقيدة الوهبية .

كتاب في علم التوحيد في صورة حوار بين تلميذ وأستاذه .

٦ – السؤالات : كتاب في علم الفقه .

٧ – النشأة المحمدية .

٨ – النور المحمدي .

٩ – ألواح الأنوار وأرواح الأسرار .

١٠ – النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني .

مخطوط يجمع قصائد الشاعر في الأذكار والسلوك ، ويغلب عليه طابع النظم ، وقد تم ضم هذه القصائد إلى ديوان الشاعر عند طباعته، فشكلت القسم الأول منه .

١١ – شرح البكلفية .

وهو شرح قصيدة للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في رؤية الباري ﷻ .

وفاتـــــه :

كانت وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ بزنجبار سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م بعد رحلة حياة حافلة بالجد والعلم ، بالفقه والأدب ، بالشعر والصحافة والتأليف .

وتاريخ وفاته هذا يكاد يكون موضع إجماع المصادر الأدبية والتاريخية التي ترجمت له[١] ، لا يشذ عن ذلك سوى سعيد الصقلاوي في كتابه (شعراء عمانيون) ، والزركلي في كتابه (الأعلام) ، أما الصقلاوي فيذكر أن وفاته كانت سنة ١٣٠٨هـ[٢] ، وغريب أن يند مثل هذا الأمر عن رجل عماني شاعر وكاتب كالصقلاوي ، لأن ما عرضناه من مسيرة حياة أبي مسلم لا ينسجم وهذا التاريخ الذي سجله الصقلاوي لوفاته ، فصحيفة (النجاح) التي أصدرها الشاعر في زنجبار وتولى رئاسة تحريرها فترة غير قصيرة من الزمن لم يصدر العدد

---

(١) انظر : شقائق النعمان – للخصيبي جـ٢ ص٣٥٧ .. ومقدمة (نثار الجوهر) ص٦ ، ١٣ .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص١٣ .. والشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٧٥ .. ومدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٥٣ .. وأضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا – لعبد الله بن سالم الحارثي ص٥٧ .. ومقدمة ديوانه – لعلي النجدي ناصف ص٤ .

(٢) شعراء عمانيون – للصقلاوي ص٣٣٥ .

الأول منها إلا في سنة ١٣٣١هـ ، ورحلته مع السلطان حمود بن محمد بن سعيد المسجلة في كتابه (اللوامع البرقية) إنما كانت سنة ١٣٣٤هـ ، كما أنه راسل الإمام سالم بن راشد الخروصي ، وأنشأ عدة قصائد في الحث على مناصرته ، وكانت ولاية هذا الإمام من سنة ١٣٣١هـ إلى سنة ١٣٣٨هـ[١] ، فكيف يستقيم كل ذلك مع القول بأن وفاته كانت سنة ١٣٠٨هـ ؟!

ولولا أن الصقلاوي قد نص على هذا التاريخ حرفيًا – حيث يقول : " لقد توفي ابن عديم بزنجبار سنة ثمان وثلاثمائة بعد الألف هجرية ، أي في عام ١٣٠٨هـ " – لقلت : " ربما كان بالرقم تصحيف " ، لكن الأمر – فيما يبدو – اختلط على السيد/ الصقلاوي .

أما صاحب (الأعلام) فيذكر أن وفاته كانت نحو سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م[٢] ، ويرد عليه بما ذكره صاحب (نهضة الأعيان بحرية أهل عمان) من أن أبا مسلم قد أرسل إحدى قصائده إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م[٣] ، وبما ذكره أحمد بن سليمان الكندي من أن آخر قصيدة كتبها أبو مسلم وجد عليها بخط : " انتهى من تخميسها يوم ٢٨ من محرم الحرام عام ١٣٣٩ للهجرة " ، وكانت وفاته بعد يوم أو يومين من كتابتها في أول صفر سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م[٤] .

---

(١) راجع : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص١٢٠ ، ٣٠٩ ، ٣٧٧ ، وفي ص٣٠٩ : أن أبا مسلم أرسل إحدى قصائده من شرق أفريقيا إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي في شهر شوال سنة ١٣٣٨هـ .

(٢) الأعلام – لخير الدين الزركلي جـ٧ ص٣٤٨ .

(٣) نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص٣٠٩ .

(٤) انظر : مجلة المنتدى الأدبي (فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي – مسقط – يونيو ١٩٩١م) ص٤١٣ .. وتطور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٦٧ .

على أنني لم أجد في المصادر التي ترجمت للرجل سواء أكانت لكُتّاب عمانيين أم لغيرهم أي ذكر لهذا التاريخ أو مجرد إشارة إليه ، ولعل هذا ما دفع أحد الكُتّاب العمانيين إلى التعقيب على ما ذكره صاحب (الأعلام) بقوله : " وقد وهم صاحب الأعلام ، إذ جعل وفاته عام ١٩١٦م ، ولا ندري من أين له بهذا التاريخ ؟! "[١] .

(١) الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٧٥ .

الفصل الثاني

بواعث الخطاب الديني في شعره

الفصل الثاني

بواعث الخطاب الديني في شعره

لا شك أن الخطاب الديني البارز المكثف في شعر أبي مسلم الرواحي إنما كان وليد عوامل أدت إلى هيمنته على شعره سواء من حيث مضامينه الفكرية أم حيث معجمه الشعري وتقنياته الأسلوبية ، وتتمثل هذه العوامل فيما يلي :

أ – نشأته وتكوينه الثقافي :

كان لنشأة أبي مسلم في بيت علم وفقه وأسرة يغمرها الدين بتعاليمه السمحة أثر كبير في إذكاء الشعور الديني وتعميق الفهم العام للإسلام وقضاياه في نفسه ، فقد تعهدت الأسرة وليدها منذ طفولته المبكرة بالرعاية الدينية والثقافية ، فدفعته إلى حفظ القرآن الكريم ، فدراسة علوم الدين واللغة ، وكان لها دورها السلوكي في تهذيبه وتوجيهه الوجهة الصحيحة حتى في اختيار رفاقه وأصدقائه ، ولاسيما في المرحلة الأولى من حياته ، فقد رافق في طلبه للعلم الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي – وهو من بيت علم ورئاسة وفقه وأدب[1] ، فأبوه العالم الرباني الفقيه المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي – وكان أبو مسلم وأحمد صديقين متلازمين متعاونين على طاعة الله تعالى ، وعلى الجد والاجتهاد في طلب العلم ، وقد توجت

---

(١) أسرة الخليلي أسرة معروفة بالعلم والفقه ، والشرف والرئاسة ، وإليها آلت إمامة عمان سنة ١٣٣٨هـ ، حيث تولاها محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي بعد وفاة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، فساس الناس بالرحمة والعدل ، وكان يجلس إلى الخاصة والعامة يباسطهم ويعلمهم أمور دينهم ، فملك قلوبهم بالمحبة والسياسة لا بالقوة والجبروت .. راجع : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص٣٧٧ ، ٣٧٩ .

صداقتهما بشاعر فقيه هو أبو مسلم الرواحي ، وفقيه مصلح جريء هو الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي .

ب – حياته العلمية واشتغاله بالقضاء والفتوى :

كان طبعيًا أن تؤثر حياة أبي مسلم العلمية التي عني فيها بالعلوم الشرعية – من الفقه والأصول ، والعقيدة ، والسيرة النبوية ، دراسة وتأليفًا – على نتاجه الأدبي ، فيأتي استجابة لصدى هذه العلوم في نفسه ، وهو الفقيه القاضي الذي آلت إليه رئاسة القضاء والفتوى ومهمات الدعاوى وعظائم الأمور بشرق أفريقيا[١] .

جـ – عقيدته المذهبية :

ارتبط أبو مسلم عقديًا وفكريًا بمذهب الشراة ارتباطًا وثيقًا ، فطالما تغنى بمواقفهم وتضحياتهم ، وأعلن عن انتمائه إليهم وحبه لهم ، على شاكلة قوله[٢] :

جزى الله أهل النهراون رضاءه ∴ وما فوق مرضاة الإله أجور
كما جاهدوا في الله حق جهاده ∴ وقاموا بما يرضى وفيه أبيروا[٣]
وماتوا كرامًا قانتين وكلهم ∴ على الموت صبار هناك شكور
شراة سراة لا يخط غبارهم ∴ وإن أبلجت فوق الأمور أمور
ندين لوجه الله طوعًا بحبهم ∴ وما شنآن الملحدين مضير

---

(١) راجع في مكانته العلمية والفقهية : قراءات في فكر البهلاني الرواحي – إصدار المنتدي الأدبي بالسلطنة – سنة ١٩٩٨م .. مقال سماحة المفتي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي (البهلاني فقيهًا وأديبًا) ص٢٣ ، وفيه أشاد الخليلي إشادة بالغة بمكانة أبي مسلم العلمية والفقهية .
(٢) ديوانه ص٣٢ – تحقيق الخزندار .
(٣) أبيروا : أهلكوا .

وقوله مشيدًا بهم في قصيدته العينية (أفيقوا بني القرآن)[١] :

أولئك أهل الحق ما ضل مقتف ∴ هداهم ولا يغوي عليهم متابع
أولئك أهل الفهم ما جار فهمهم ∴ عن الله ما يقضى وما هو شارع
هم القوم أحرار الوجود سمت بهم ∴ إلى الله عن حظ سواه المنازع
محبتهم ديني بها أبتغي الرضا ∴ إلى الله والزلفى وهم لي ذرائع
ودعوتهم لي سنة وجماعة ∴ أجاهد في إحيائها وأقارع

وهذا الإحساس القوي بالانتماء إلى الشراة كثيرًا ما دفعه إلى تقمص شخصيتهم التعبدية الجهادية الثورية التي لا ترضى بالضيم ولا تقر على الهوان .

د – اتصاله بكثير من العلماء والمصلحين في عصره :

اتصل أبو مسلم بكثير من العلماء والأئمة ، وزعماء ودعاة الإصلاح في عصره ، من أمثال : العلامة نور الدين السالمي[٢] ، والعلامة القطب الشيخ محمد بن يوسف أطفيش[٣] ، وسليمان باشا الباروني[١] ، والإمام

---

(١) ديوانه ص٣٣٢ – تحقيق الخزندار .

(٢) هو العلامة الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي ، الملقب برئيس النهضة العمانية ، عالم فقيه ، وكاتب مؤرخ ، ومصلح جريء ، كان شديد الغيرة على دين الله ، معروفًا بالبسالة والصلابة في الحق ، مشغولاً بقضايا وطنه وأمته ، وإليه آلت زعامة المذهب الإباضي بعمان في زمانه ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ .. انظر في أخباره : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص١١٨ وما بعدها .. وشقائق النعمان – للخصيبي جـ٣ ص١٠ .. والأعلام للزركلي جـ٤ ص٨٤ .

(٣) هو العلامة الجزائري الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ، مرجع الإباضية في عصره ، له ما يزيد على ثلاثمائة مؤلف في علوم الدين واللغة ، منها : (شرح كتاب النيل وشفاء العليل) الذي يعد من أهم مصادر المذهب الإباضي ، و(تيسير التفسير) ، و(شرح عقيدة التوحيد) ، و(نظم المغني) ، وكان الرجل ذا أثر بارز في قضية بلاده السياسية ونضالها ضد

سالم بن راشد الخروصي[٢] ، وتذكر بعض المصادر أنه اتصل بالشيخ محمد عبده ، وكانت بينهما مراسلات[٣] .

وكان الرابط الرئيس بينه وبين هؤلاء الأعلام هو وحدة القضية والهدف ، وكانت علاقته بهم علاقة تلاحم وتآزر ، وقد ذهب أكثر شعره الاستنهاضي في الدعوة إلى قيام دولة الإمامة ومناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، وعندما تمت له البيعة أرسل إليه أبو مسلم من شرق أفريقيا رسالة مطولة[٤] في شئون السياسة والحكم ، تنم عن فهم راق ، وفقه

الاستعمار ، وتوفي سنة ١٩١٤م .. انظر في ترجمته وأخباره : قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش : حياته ، آثاره الفكرية ، جهاده – لبكير بن سعيد أغوشت – ط/ مكتبة الضامري – مسقط – سنة ١٩٨٩م .. والأعلام للزركلي جـ٧ ص١٥٦ ، ١٥٧ .

(١) هو سليمان (باشا) بن عبد الله بن يحيى الباروني ، الطرابلسي ، الليبي ، زعيم سياسي مجاهد ، أبلى بلاء حسنًا في مقاومة الاستعمار الأوروبي ، فتعرض للاضطهاد والنفي ، وأخيرًا استقر به المقام في عمان ، فعمل مستشارًا لسلطان مسقط السيد/ تيمور بن فيصل البوسعيدي ، وكانت وفاته سنة ١٩٤٠م .. انظر : الأعلام للزركلي جـ٣ ص١٢٩ .. وشقائق النعمان – للخصيبي جـ٢ ص٢٤٠ .

(٢) هو الإمام سالم بن راشد الخروصي ، أحد أئمة الهدى والعدل بعمان ، بويع بالإمامة سنة ١٣٣١هـ ، وظل إمامًا لأهل عمان إلى أن وافته منيته سنة ١٣٣٨هـ .. انظر في إمامته وأخباره : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص١٩٧–٢٠٣ .

(٣) انظر : شعراء عمانيون – لسعيد الصقلاوي ص٣٢٨ ، والشيخ محمد عبده واحد من أكبر رجال الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، تخرج من الأزهر الشريف سنة ١٨٧٧م ، وعمل في التدريس ، والصحافة ، والقضاء ، حتى صار قاضيًا لمحكمة الاستئناف ، ثم مفتيًا للديار المصرية سنة ١٨٩٩م ، وله مواقفه النضالية ضد الاستعمار ، وبخاصة في الفترة التي التقى فيها بجمال الدين الأفغاني ، وقد أسسا معًا صحيفة (العروة الوثقى) سنة ١٨٨٤م في باريس ، وكانت وفاته سنة ١٩٠٥م .. انظر في ترجمته : الأعلام للزركلي جـ٦ ص٢٥٢ – ط/ دار العلم – بيروت – سنة ١٩٩٧م – الطبعة ١٢ .. والأدب العربي المعاصر في مصر – د/ شوقي ضيف ص٢١٨ – ط/ دار المعارف – سنة ١٩٩٢م .

(٤) تقع الرسالة في عشر صفحات من القطع المتوسط ، وقد حققها د/ محمد بن صالح ناصر ، وألحقها بكتابه (أبو مسلم الرواحي : حسان عمان) ص١٩٨–٢٠٧ .

عميق في مناصحة الحكام ، ومما جاء فيها : " أيها العبد الصالح : إن الله نظر نظرة في عباده فرآك للوقت أصلبهم عودًا ، وأتقاهم قلبًا ، وأنفذهم بصيرة ، وأزكاهم نفسًا ، وأوفاهم ميزانًا ، وأعظمهم صبرًا ، وأشدهم شكيمة، وأنفذهم عزيمة ، وأزهدهم في الدنيا ، وأرغبهم في العقبى ، ولا يصلح للخلافة الكبرى إلا من كانت هذه الصفات صفاته ، ولله السياسة الكاملة ، والخبرة التامة ، والتربية الزاكية ، يختار لعباده من فيه الخيرة لهم ، وإذا اختارك لحمل هذه الأمانة العظيمة فولاّك قسمًا من بلاده ، وحكّمك على طائفة من عباده ، فقف لله حيث أنت يكن لك في عونه وتسديده وتوفيقه حيث هو ..

إن الله لم يورثك سلطانًا وملكًا دنيويًا ، ولكن قلّدك سلطانًا نزل به جبرائيل *عليه السلام* من فوق سبع سماوات ، أنت مسئول عنه يوم الفزع الأكبر عن مثقال ذرة وأقل منه ، فقدم للسؤال جوابًا في الحركات والسكنات ..

أيها العبد الصالح : إني لا أسددك عن عوج ، ولا أقومك عن زيغ ، ولا أنبهك عن غفلة ، ولكنها نصيحة مسلم على أخيه مفترض أداؤها ، متعيّن إخلاصها ، أعط السياسة حقها الديني في تربية هذه الأمة ، بأن تتجاوز عن مسيئهم إلا في حق حتى يؤدى ، وإلا في حد حتى يقام ، فاحتمل الكريهة حيث يكون الاحتمال مرضاة لله ، وارحم الضعيف كما ترحم نفسك ، ولا تؤخر حدًا عن وقته ، ولا حقًا عن أجله ، وكن على القوي حتى تأخذ الحق منه ، ومع الضعيف حتى تأخذ الحق له ، إن صلاح المملكة في الرفق بالرعية ، وأخذ الحق منها بغير عنف ، والتودد إليها بالعدل ، وأمن السبل ، وإنصاف المظلوم ..

لا عليك من فساد النيّات ، وخبث الضمائر إذا حكمت بالعدل لا

بالهوى ، وفحصت عن الأعمال لا عن السرائر ، ولا يكون العمران إلا حيث يعدل السلطان ، والعدل حصن وثيق في رأس منيف لا يحطمه سيل، ولا يهدمه منجنيق ، والعدل ميزان الله ، والجور مكيال الشيطان ..

وأحثك سيدي على فتح المدارس العلمية في بلادك ، وحث أهل الخير على التبرعات في سبيل هذا المشروع العظيم ، فإن مصرك عمان لم يسقط هذه السقطة العظيمة إلا من جهة الجهل ، وبودّي لو ساعدني العلماء هناك[١] على الرأي الذي أراه ، وهو جواز جبر الأولاد على التعلم، وهي لعمري مصلحة عظيمة في الأمة ، ثم تجعل نفقة الفقراء منهم على بيت المال ، ونفقة أبناء الأغنياء على آبائهم ، وهي طريقة سياسية دينية تدل لها أصول من الكتاب والسنة ، وبقاؤكم على عدم تعليم الجهلة على اختيار الآباء لأبنائهم مضر جدًا بالأمة لا يتقدم بها شبرًا عن مركزها في الجمود ، ولو تركت الأمم الراقية على جمودها في الظلمة والجهل ولم يزعها وازع قسري من جهة الحكومات لما بلغت مبلغها من التقدم في العصرية .. "[٢] .

وتعد هذه الرسالة من أصدق الوثائق دلالة على عمق فكر أبي مسلم ونزعته الإصلاحية ، وأنه لم يكن شاعرًا كبيرًا ، أو فقيهًا محققًا ، أو عابدًا متبتلاً فحسب ، إنما كان إلى جانب هذا كله ذا وعي شديد بشئون السياسة وأصول الحكم ، وقيادة الشعوب والمجتمعات[٣] .

---

(١) الإشارة هنا إلى عمان ، حيث كان الشاعر – آنذاك – يقيم بشرق أفريقيا .
(٢) أبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر (رسالة أبي مسلم إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي) ص١٩٨ وما بعدها بتصرف .
(٣) انظر : المرجع السابق ص١٩٧ .

ولا شك أن اتصال أبي مسلم بهؤلاء الأعلام من رجال الدين والإصلاح والسياسة قد أثر في اتجاهه الفكري ، وزاده قوة وصلابة وتمسكًا بالحق ، واطلاعًا وبصيرة بأحوال وقضايا أمته ، وقوّى فيه روح الكفاح والاستبسال ، مما انجلى أثره واضحًا في حياته وشعره .

هـ – شفافيته الإيمانية ومنحاه السلوكي :

سلك أبو مسلم في حياته مسلكًا روحيًا أخذ فيه نفسه بكثير من الأذكار والأوراد والرياضة الروحية ، متأثرًا في ذلك بمدرستين من مدارس السلوك[١] في عمان ، هما :

١ – المدرسة الجاعدية أو البونبهانية :

وتنسب هذه المدرسة إلى العلامة الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي[٢] ، وتقوم على عمق التأمل في الكون والحياة ، والإبحار في علم الكلام ، والخلوة ، وكثرة الأوراد[٣] .

---

(١) مصطلح السلوك عند الإباضية يطلق على المسلك التعبدي الذي ينحى منحى صوفيًا من غير أن يشتمل على طقوس ، أو طلسمات ، أو أفكار تتناقض ونزعتهم الجهادية .. انظر : قراءات في فكر البهلاني الرواحي – إصدار المنتدى الأدبي بسلطنة عمان سنة ١٩٩٨م (مقال لأحمد بن سعود السيابي بعنوان : أبو مسلم البهلاني الرواحي : حياته ، شيوخه) ص٥٠ .

(٢) هو العلامة الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس بن مبارك بن يحيى بن عبد الله الخروصي ، الملقب بالشيخ الرئيس ، كان عالمًا ، ومربيًا ، ومصلحًا اجتماعيًا ، ورائدًا لمدرسة فكرية سلوكية ، توفي سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م .. انظر في أخباره : قراءات في فكر أبي نبهان (مجموعة بحوث ومقالات حول حياة الرجل وفكره) – إصدار المنتدى الأدبي – مسقط – سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م – الطبعة الأولى .

(٣) انظر : قراءات في فكر البهلاني الرواحي – إصدار المنتدى الأدبي – مسقط – سنة ١٩٩٨م (مقال لأحمد بن سعود السيابي بعنوان : أبو مسلم البهلاني الرواحي : حياته ، شيوخه) ص٤٩ ، ٥٠ .

وقد تأثر أبو مسلم – إلى حد كبير – بأحد أعلام هذه المدرسة ، وهو الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، وقام بتخميس قصيدتين من قصائده الابتهالية هما (سموط الثنا) و(ثمرات المعارف) .

يقول في مقدمة تخميسه لقصيدة (سموط الثنا) : " ولكني امرؤ حالفت خدمت الأذكار ، وأشربت حب الاختراف من بحار الأسرار ، وعلمت أن لهذه الدعوة[١] أثرًا ساطعًا ، وبرهانًا قاطعًا ، أشهر من الشمس في كبد السماء ، وأغزر بركة من عيالم الدأماء[٢] ، فاستمسكت بعروقها ، وأخذت بحجزتها ، وجعلت مع التخميس لرب العزة نداء ، ولبست لها من أديم السحر رداء "[٣] ، ومن تخميسه لها قوله[٤] :

توجهت الآمال لله أجمع

ولم يبق غير الله من فيه أطمع

إلهي ترى ذلي وفقري وتسمع

فما كان لي في غير جودك مطمع ∴ وجودك منه طارفي وتليدي

---

(١) المراد بالدعوة (هنا) : قصيدة (سموط الثنا) ، فقد كان الشاعر يتخذ من إنشادها وترديدها دعاء يتقرب به إلى ربه .

(٢) الدأماء : البحار ، والمراد بقوله : " عيالم الدأماء " : مياه البحار .

(٣) ديوانه جـ١ ص١٥٣ ، ١٥٤ – تحقيق علي النجدي ناصف .

(٤) ديوانه ص١٥٨ ، ١٥٩ – تحقيق الخزندار ، وفي التخميس يأتي الشاعر بثلاثة أشطر على نفس روى الشطر الأول من البيت المراد تخميسه ، وتكون هذه الثلاثة الأشطر متقدمة على البيت المخمس .. انظر : فن التخميس في الشعر العماني – ليحيى البهلاني ص٥ – نشر مكتبة مسقط – سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م – الطبعة الأولى .

رفعت إليك الكف يا خير رافع

وأحسنت ظني فيك بين قواطعي

وما معك اللهم ليس بما معي

وحاشاك عن ردي وقطع مطامعي ∴ لشئوم جدودي واتضاح جمودي

وفي مطلع تخميسه لقصيدة (ثمرات المعارف) يقول[١] :

هو الله فاعرفه ودع فيه من وما

دعاك ولم يترك طريقك مظلما

عن الحق نحو الخلق يدفعك العمى

تقدم إلى باب الكريم مقدما ∴ له منك نفسا قبل أن تتقدما

وقد أفاد أبو مسلم من تعاليم هذه المدرسة ، وبخاصة في مرحلة الدرس والطلب ، حيث انكب على الكتب في خلوته ، وأخذ يطالع ويدرس في غير ملل ولا سآمة حتى صار قاضيًا كبيرًا وفقيهًا نابهًا .

٢ – المدرسة السالمية :

وتنسب إلى العلامة الشيخ نور الدين السالمي ، وهذه المدرسة كانت أكثر تفاعلاً مع شئون الحياة من المدرسة الجاعدية[٢] ، حيث

---

(١) ديوانه ص٤٤ – تحقيق الخزندار .. وفن التخميس في الشعر العماني – ليحيى البهلاني ص١٠٣ .

(٢) انظر : قراءات في فكر البهلاني الرواحي (مقال أحمد بن سعود السيابي : أبو مسلم البهلاني الرواحي : حياته ، شيوخه) ص٥١ ، ٥٢ .

عمل السالمي على النهوض بالشعب العماني ، وكان شديد الاهتمام بقضاياه السياسية والفكرية ، وعمل على إعادة دولة الإمام إلى عمان حتى تمت البيعة للإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ١٣٣١هـ[١] .

وقد تأثر أبو مسلم بهذه المدرسة تأثرًا كبيرًا انجلى أثره في دعواته الاستنهاضية والوطنية ، ولاسيما في المرحلة الأخيرة من حياته عندما بزغت شمس الإمام في عمان ، فأخذ يرسل قصائده من زنجبار يحث الشعب العماني أفرادًا وقبائل على مناصرة الإمام سالم والوقوف إلى جانب دولة الإمامة .

و – استشعاره ووعيه بخطورة المرحلة التي كانت تمر بها الأمة العربية آنذاك :

عاش أبو مسلم فترة من أحرج الفترات في تاريخ أمتنا العربية ، حيث رأى شعوبها تتهاوى وتسقط في يد الاستعمار الأوروبي بعد الحرب العالمية الأولى التي عاصرها الشاعر وعاش أجواءها ومآسيها على الأمة العربية الإسلامية ، كما شهد بوادر حركات التحرير والحركات الإصلاحية التي وقفت في وجه هذا الاستعمار الغاشم محاولة التخلص من شروره وآثامه .

وعلى الصعيد العماني شهد أبو مسلم التدخل الإنجليزي السافر في شئون بلاده ، وعمله على تقسيمها وتفتيت كيانها ، كما عاصر الفتن والخلافات التي دبّت في جسد وطنه الأم (عمان) ، وأسهم الإنجليز في إذكاء جذوة هذه الخلافات بوقوفهم إلى جانب السلطان فيصل بن تركي في مواجهة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، مما أدى إلى انقسام عمان –

---

(١) انظر : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص١٧٧ .

الشطر الآسيوي من الدولة العمانية التي كانت تبسط نفوذها على عمان وشرق أفريقيا – إلى قسمين : عمان الساحل ، وعمان الداخل .

وقد هال أبو مسلم ما رآه من تدخل الاستعمار الإنجليزي في شئون بلاده ، وبخاصة في زنجبار وشرق أفريقيا ، فقد وضعت الحكومة والإدارات هناك في أيدي مسئولين بريطانيين تحت الحكم الاسمي لسلطان زنجبار[١] الذي أصبحت سلطته محدودة للغاية ، أما السلطة الحقيقية فتمركزت في أيدي المسئولين أو المندوبين البريطانيين ، وهو ما يشير إليه أبو مسلم بقوله – في مقصورته – :

قد ذبح الملك وهذا دمه ∴ ومدية الذابح في نحر الهدى
وأصبح استقلالكم فريسة ∴ بين كلاب النار يا أسد الشرى

وفيها يقول[٢] :

إلى متى نهرع في طاعتهم ∴ ونتقي وليتها تحدي التقى ؟
إلى متى نهرع في أذنابهم ∴ لا ملتجى ، لا منتهى ، لا ملتحى ؟
إلى متى يعرقنا نكريهم ∴ وجورهم وكفرهم عرق المدى ؟[٣]
إلى متى تقضمنا أضراسهم ∴ إلى متى نحن لهم عبد العصا ؟
يسومنا الخسف خسيس ناقص ∴ لا دين لا حكمة لا فضل ولا

---

(١) كانت زنجبار – آنذاك – خاضعة من الناحية الشكلية (البروتوكولية) لحكم البوسعيديين .
(٢) ديوانه ص٣٤٤ – تحقيق الخزندار .
(٣) عرق المدى : نهش السكاكين ، والمدى – بضم الميم وفتح الدال – : جمع مدية ، وهي الشفرة كالسكين ونحوه ، والمراد بقوله : " يعرقنا نكيرهم " : يخيفنا ، ويرعبنا ، وينال من عزيمتنا .

ألـيس ممـا يـذهل اللـب لـه ∴ عسف الطواغيت بشرع المصطفى ؟

لله مـــا أفظعهـــا داهيـــة ∴ لـو عوفيـت قلوبنـا مـن العمـى

يستنكر الشاعر على بني جلدته تبعيتهم المهينة المقيتة التي لا تجدي نفعًا مـع المستعمر الغاشم ، كمـا يستنكر رضـاهم بهـذا الواقـع المريـر ، وسكوتهم على هذا المستعمر وأحكامه الجائرة ، وتطاوله على شريعتهم ، وعبثه بها ، فما أفظعها من داهية لا يمكن احتمالها أو السكوت عليها لو صحت قلوبهم من غفوتها ، وانزاح ما ران عليها من العمى .

وإنـه ليؤمن بـأن مـا أخذ بـالقوة لا يسترد إلا بـالقوة ، فالحديد بالحديد يفلح ، ولا بديل إذن عن الجهاد والتضحية لدفع هذا الذل والهوان ، ومن ثمة يدعو إلى ضرورة حمل السيوف وإعلانها ثورة عارمة ، فالسيف وحده هو الكفيل بتصحيح هذه الأوضـاع المتردية ، وأوفـى حق مـا بـه السيف أتي، يقول[١] :

كـم نظلـم السـيف بمنـع حقـه ∴ أمـا يجـازى ظـالم بمـا جنـى

إن الســيوف طبعــت لحقهــا ∴ وحقها تحكيمها على الطلى[٢]

والسيف لا يرضى الدليل صاحبا ∴ إن الــذليل بالشــتار مكتــوى

والسيف أقضى بالحقوق حاكما ∴ أوفـر حـق مـا بـه السـيف أتـى

إن السـيوف عاهـدت أرباهـا ∴ بالمصدر الأقصى وتقريب القصا

والمجـد حيـث أبرقـت وأرعـدت ∴ ينبــت مــن ســاعته ويرتعــى

---

(١) ديوانه ص٣٤٦ – تحقيق الخزندار .

(٢) الطلى – بضم الطاء – : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق ، جمع طلاة (على وزن تفاه وحفاة) ، وقيل : جمع طلية (على وزن دمية) ، وهي صفحة العنق .

مـــا بالنـــا نحصـــنها عقـــائلا ∴ مـــن المقاصـــير علـــيهن الحلـــى

وتلك هي قضية أبي مسلم الكبرى التي جند لها نفسه وقلمه شاعرًا وكاتبًا، وهو ما نقف عليه في الفصل التالي .

الفصل الثالث

البعد الديني في وطنياته

الفصل الثالث

البعد الديني في وطنياته

ارتكز أبو مسلم في خطابه الوطني على محورين رئيسين يدور حولهما سائر شعره الوطني ، وهما :

أ – مقاومة الاستعمار وإعلان الثورة عليه .

ب – مقاومة الطغاة المستبدين ونصرة دولة الإمامة[١] .

وقد أضفى على خطابه في كلا المحورين طابعًا دينيًا ، فالصراع مع المستعمر الغاصب – في واقع الأمر – إنما هو صراع ديني عقدي بين الإسلام والصليبية ، والصراع مع الطغاة المستبدين إنما هو صراع بين أهل الاستقامة أنصار الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي يناصره الشاعر ويدعو إلى مؤازرته ، وبين أهل الجور والفساد الذين لم يصرح بأسمائهم ، غير أن واقع شعره يدل عليهم ، وهم أعداء دولة الإمامة من سلاطين مسقط ومن والاهم[٢] .

---

(١) كانت عمان منقسمة إلى قسمين : عمان الساحل ويحكمها سلاطين مسقط حكمًا مدنيًا ، وعمان الداخل ويحكمها أحد أئمة المذهب الإباضي حكمًا شرعيًا ، غير أن دولة الإمامة كانت تقوم وتسقط على فترات متفرقة ، وكان أبو مسلم ممن يدعون إلى قيام هذه الدولة حتى تمت بيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ١٣٣١هـ .. انظر : نهضة الأعيان بحرية أهل عمان – لمحمد بن عبد الله السالمي ص٢٣٣ ، ٢٦٠ .. ومقدمة ديوان أبي مسلم – لعبد الرحمن الخزندار ص١٢ .

(٢) ولم يصرح الشاعر بذكرهم وإعلان الثورة عليه لأن ظروف حياته في كنف أبناء عمومتهم بزنجبار كانت تفرض عليه لونًا من التحفظ .

المحور الأول

مقاومة الاستعمار وإعلان الثورة عليه

ذكرنا – فيما سلف[1] – أن أبا مسلم عاش فترة عصيبة وحرجة في تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، لا تقل خطورة وحرجًا ومعاناة عما نعيشه اليوم في واقعنا المؤلم المرير ، وقد عانى أبو مسلم خلال تلك الفترة من مآسي الاستعمار الأوروبي الغاشم على المستويين العربي والعماني ، فتأججت مشاعره بالثورة والغضب على هذا الدخيل المستعمر ، فأرسلها صرخات مدوية، وأعلنها ثورة عارمة ، فألهب شعره حماس العمانيين ، وكان له وقع الصدى في منطقة الخليج كلها .

وكان لأبي مسلم من العقيدة والرؤية والثقافة الإسلامية ما يمكنه من كشف خبايا المستعمر ، وتشخيص حقيقة الصراع معه ، ورصد أسباب الهزيمة والانكسار ، وعوامل القوة والنصر ، والعمل على استنهاض الهمم ، وفق رؤية إسلامية واعية ، وقراءة دقيقة لواقع أمته وأحداث عصره ، فانطلق خطابه الوطني في هذا المحور من عدة ثوابت أبرزها :

أ – كشف حقيقة المستعمر وإضفاء الطابع الديني على الصراع معه :

كان أبو مسلم يرى في الاستعمار الأوروبي وجهه الصليبي ، الذي يحمل العداء للإسلام ويحاول النيل منه من جهة ، ويعمل على إضعاف الأمة العربية الإسلامية والتحكم في مقدراتها ، ونهب خيراتها وثرواتها من جهة أخرى فيقول[2] :

---

(١) راجع : ص٥٧ .

(٢) ديوانه ص٣٤٥ – تحقيق الخزندار .

قـد اسـتباحوا حرمـات ديـنكم ∴ ومنعــوا الأرض الحيــاة والحيــا
تحكمــوا في ملككــم ورزقكــم ∴ وكبسـوا البئـر وقطعـوا الرشـا[1]
منــوا علـيكم بغــذاء طفلكــم ∴ وحســوة المــاء ونفحــة الصــبا
وأزعجـوكم عـن ظـلال ريفكـم ∴ وليـتكم لـن تزعجـوا عـن الفـلا
وضـــايقوكم في بـــلاد ربكـــم ∴ حتى على مدفن ميت في الثرى
لا يرقبـــون فيكـــــم إلاً ولا ∴ ذمـة ديـن أو زمـام مـن رعـى[2]
قـد سـفكت دمـاؤكم وانتهكـت ∴ حرمــاتكم ولا حشــا ولا خــلا

يرصد أبو مسلم بعض صور الذل والهوان التي آل إليها حال أمته بصفة عامة وبني جلدته من العمانيين بصفة خاصة في ظل الاستعمار الغاشم الذي استباح حرماتهم ، وتحكم في أرزاقهم ومقدراتهم ، ومنعهم سبل الحياة ، فكبس البئر وقطع الرشا ، ولا يخفى ما في هذه الصورة المعبرة الموحية من ملامح الحياة البدوية التي اختزنها الشاعر في مخيلته أيام الصبا قبل أن يرحل إلى زنجبار ويلقى بها عصا الترحال ، ويتفيأ ظلالها الوارفة .

وقد وفق أبو مسلم في تصويره لمدى تحكم الاستعمار في شئون مواطنيه ، وانتزاع المعاني الإنسانية من تصرفاته ، فاختار ضمن صوره لقطتين معبرتين عن ذلك أبلغ تعبير : الأولى لطفل تنكد في غذائه ،

---

(١) الرشا – بكسر الراء – : أصله الرشاء ممدودًا ، وقصره هنا لضرورة الشعر ، وهو حبل الدلو ، وجمعه : أرشية ، وفي المثل : " اتبع الدلو رشاءها " يضرب لاتباع أحد الصاحبين للآخر .

(٢) الإل – بتشديد اللام – : العهد والميثاق ، وهذا البيت مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً** ﴾ سورة التوبة – جزء من الآية (٨) .

والأخرى لميت لا يكاد يجد الأرض التي تواريه ، وهما مشهدان في غاية الشناعة والتأثير[١] .

لقد نهب هذا المستعمر خيراتهم ، ثم صار يمن عليهم بغذاء أطفالهم ، وبحسوة الماء القراح التي يشربون ، ويعد نفحة الصبا منه وهبة من هباته .

إنها صورة أشبه ما تكون بما آل إليه حال بعض المسلمين الذين يرزحون تحت وطأة الحصار الذي فرضته عليهم القوى الاستعمارية في إطار ما يعرف بالنظام العالمي الجديد ، فبعد أن خربت ديارهم ، ودكت بنيانهم ، تزعم أنها الوصية عليهم ، الحريصة على مصالحهم ، وترى أن حصول بعض أطفالهم على بقية من فتات منة كبرى تهدد بقطعها صباح مساء ، وكأني بأبي مسلم لا يتحدث عن واقعه فحسب ، بل لكأنه يستشرف واقعنا مع تصوير واقعه .

ويلح أبو مسلم على إبراز هذه المآسي فيقول[٢] :

يا للرجال ألم يدهش عقولكم ∴ صوت الأرامل والأيتام إذ هانوا

هذا اليتيم قد انحازت مفاصله ∴ من جلبة الجوع والظلام تخمان

يا للرجال دماء المسلمين غدت ∴ هدرًا كما عبثت بالماء صبيان

فلا قصاص ولا أرش ولا قود ∴ كأن لحم بني الإسلام جعلان[٣]

يرصد أبو مسلم بحسه الديني والاجتماعي بعض الصور المأسوية

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٢٥ .

(٢) ديوانه ص٣٠٧ – تحقيق الخزندار .

(٣) الأرش : الدية ، وقيل : دية الجراحات خاصة .. القود : القصاص ، أو قتل القاتل بالقتيل .. الجعلان – بضم الجيم فسكون العين – : جمع جعل – بضم ففتح – ، وهو دويبة صغيرة كالخنفساء .

التي خلفها الاستعمار الغاشم ، فنسمع صراخ اليتيم الذي انحازت مفاصله من جلبة الجوع ، وفي انحياز المفاصل دلالة على شدة الضعف والهزال الناشئين عن الحاجة والعوز ، وفي مقابلة صورة هذا اليتيم نرى صورة الظلام المتخم بما سلب ونهب من أموال هذا اليتيم ، وقد أبرزت هذه المقابلة بل تلك المفارقة صورة من صور الظلم والطغيان المروعة ، وجسدت مظهرًا بشعًا من مظاهر الاستبداد يتمثل في التناقض السافر بين طرفي اللوحة : يتيم منهك ، وظلام متخم .

وإلى جانب صراخ الأيتام نسمع استغاثة الأرامل في ذل وهوان لما حل بهن من القهر والفاقة ، وإذا أضيفت استغاثة الأرامل إلى صراخ الأيتام أثارا في النفس ما لا يمكن لذوي المروءة احتماله .

ونرى بيوت الله تهدم ، وينهب العدا أموالها ، ويستولون على أوقافها دون حاجز ورادع ، وهدم بيوت الله دلالة على تجاوز الظالمين المدى ، ولاسيما أننا نقدر أن المسلم قد يصبر على هدم بيته لكنه لا يحتمل أن يرى بيوت الله تهدم وتنتهك حرماتها ثم لا تثور ثائرته .

أما دماء المسلمين فقد غدت هدرًا يعبث بها كما يعبث الصبيان بالماء ، فلا قصاص ولا قود ولا دية ، كأن لحم بني الإسلام جعلان ، وما ذلك إلا لتفريطهم في حقهم ، وخروجهم على شرعة ربهم ، ونكوصهم عن الجهاد والتضحية .

وبذا نستطيع القول : " إن أبا مسلم نجح في رصد مجموعة من صور الذل والهوان والاستبداد من شأنها أن تثير الهمم ، وتلهب المشاعر، وتبعث الأنفة والحمية ، وتحمل على الفداء والاستبسال ، وهو عين ما يصبو إليه .

واعتمادًا على رصد هذه الصور يصرخ شاعرنا مستنهضًا[1] :

يا للرجال ألم يأن الجهاد لكم ∴ بلى لقد فات إبان وإبان
يا للرجال احفظوا أحساب مجدكم ∴ إن لم تكن فيكم للدين أشجان
يا للرجال لقد ذلت حفيظتكم ∴ إذ استطالت على الأساد حملان

ثم يقول[2] :

كتائب الله لا يحتل بيضتكم ∴ خصم مساعيه في الإسلام ثعبان
كتائب الله ذودوا عن حياضكم ∴ كي لا يهدمها بغي وكفران
كتائب الله ما عيش الذليل لكم ∴ عيش ولا في منايا العز نقصان
كتائب الله لم يعهد بكم خور ∴ وللجبال على الأزمات أقران
كتائب الله حاموا عن حنيفتكم ∴ قد لوثتها خنابز وصلبان

يرتكز أبو مسلم في ندائه واستغاثته على شريحة مميزة ، إنه يريد هؤلاء الرجال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلالات ، وما تحركه أو تثيره من همم وعزائم ، سواء أكان هؤلاء الرجال ممن تأخذهم حمية الدين أم ممن تأخذهم الحمية للوطن ، فالهدف هو اتحاد القوى وتضافر العزائم ، ثم يلح في ندائه كتائب الله ويناشدها أن تتحرك ، فهذه الكتائب هي الأجدر بخوض المعركة ، والأقدر على تحقيق النصر ورد كيد المستعمر في نحره ، وفي إسناد الكتائب إلى الله تعظيم لشأنها ، وحث لها على أن تكون عند مستوى هذا الشرف المستمد من إضافتها إلى رب العزة وكونها

---

(١) ديوانه ص٣٠٦ – تحقيق الخزندار .
(٢) المصدر السابق ص٢١٢ .

من جنوده .

وينبه أبو مسلم إلى شيء هام وخطير ، وهو محاولة هذا المستعمر النيل من الإسلام وقيمه ومبادئه ، وزعمه أن تشبث العرب والمسلمين بالإسلام وراء تخلفهم عن ركب الحضارة والمدنية والرقي ، وأن بني الإسلام وحوش وهمج ، يقول في سخرية مريرة[1] :

يعدون دينا بهتا وهجنة ∴ وأن ليس من صوب الإله شرائع
وأن وقوع الدين في الأرض مفسد ∴ وأن قوانين السماء فظائع
وأن الذي جاءت به الرسل كله ∴ مضر لأسباب الرقي مصارع
وأن هدى الإسلام في الأرض ظلمة ∴ ولو زال بانت للرقي سواطع
وأن بني الإسلام في همجية ∴ وحوش تعادي في الفلا أو ضفادع
هلم بنا نقطع حبالة ديننا ∴ إذ الدين عن نور التمدن قاطع
ونرسل أطيار النفوس إلى الهوى ∴ فإن هواها للسعادة جامع
ونذروا وصايا الله في الريح تربة ∴ فليس بها – أستغر الله – نافع
وفي دولة التعطيل مرعى ونصرة ∴ وفي دولة الدين الديار البلاقع
لقد ملأوا الآفاق إفكًا وخزية ∴ وبغيًا ولا مقصود إلا المطامع

يقول : إن هؤلاء المارقين يعدون دين الله إفكًا وبهتانًا ، وينكرون شرائع الله جملة وتفصيلاً : " وأن ليس من صوب الإله شرائع " ، ويرون أن الدين أفسد حياة الناس ولم يصلحها ، وأن ما جاءت به الرسل من شرائع مناف لأسباب الحضارة والرقي ، وأن هدى الإسلام في الأرض ظلمة ،

---

(١) ديوانه ص٣٢٧ ، ٣٢٨ – تحقيق الخزندار .

وقد أحدث الطباق بين الهدى والظلمة لونًا من المفارقة ، حيث جعل بصائرهم تنطمس فلا ترى في الهدى والنور سوى الظلمة والضلال .

وإنهم ليحاولون تصوير بل تسويق صورة بني الإسلام على أنهم وحوش وهمج ، وأنهم من الهوان والحقارة بمثابة الضفادع ، وإن كنت أرى أن الشاعر لم يوفق في استخدامه هذه الكلمة .

ثم يتهكم أبو مسلم ساخرًا من هذه الدعاوى ، فيلتفت إلى أصحابه ويخاطبهم في مرارة وحسرة : " إن كنتم رضيتم بالذل والهوان ، وبعتم آخرتكم بدنياكم ، وأسلمتم قيادكم إلى هذا المستعمر الغاصب ، وخدعتم بأكاذيبه وحماقاته ، فهلموا – حتى نرضيه – نقطع حبالة ديننا ، ونجعله وراءنا ظهريًا ، إذ حال بيننا وبين أنوار الحضارة والتمدن المزعوم ، ونطلق لأنفسنا عنان الشهوات والملذات ، ونذروا وصايا الله رمادًا في ريح عاصف ، ونعطل أحكامه وشرائعه ، فلن يرضى المستعمر الغاصب منا بأقل من هذا " .

وقد وفق الشاعر في استخدام أسلوب الاحتراس في قوله : " فليس بها – أستغفر الله – نافع " ، إذ وجد نفسه غير متقبل لنفي النفع عن وصايا الله وشرائعه ، حتى لو كان ذلك على سبيل التهكم والسخرية من دعاوى هؤلاء المارقين .

ثم يكشف أبو مسلم ما وراء هذا الإفك والافتراء ، ويفضح خبايا المستعمر ونواياه ، حيث يدرك هذا المستعمر الغاشم أن تمسك المسلمين بدينهم ، وتشبثهم بأحكامه وشرائعه سيخلق منهم أمة قوية لا تذل ، وشعبًا أبيًا لا يقهر ، وفي ذلك تهديد لمصالحه ومطامعه ، لذا فإنه يعمل جاهدًا على إضعاف شأن هذه الأمة ، والحيلولة بينها وبين أسباب القوة والنصر ،

حتى تظل خاضعة لسلطانه ، يعبث بأبنائها ، وينهب خيراتها وثرواتها ، ويتحكم في شئونها ومقدراتها ، ويكون في مأمن من صحوتها التي لو تحققت لما استطاعت أي قوى بشرية مهما كان عنفها وجبروتها أن تقف في طريقها ، أو تحول دون تقدمها .

إن ما يشير إليه أبو مسلم هنا هو عين ما تردده القوى الاستعمارية في عصرنا الحاضر من محاولات النيل من الإسلام والتطاول على مقدساته ، فترميه بالجمود تارة ، وتجعله سببًا لتخلف الأمة الإسلامية وتأخر مكانتها بين الأمم تارة أخرى ، وتربط بينه وبين العنف والإرهاب والتطرف ثالثة ، متناسية بل متجاهلة أن ديننا الإسلام الحنيف هو دين الرحمة والتسامح ، وأن حضارتنا الإسلامية العربية العريقة قادت العالم وأضاءت ربوعه قرونًا طويلاً كان الغرب إبانها غارقًا في ضلاله وجهالته ، وأن أبناء هذه الأمة قادرون على استعادة مجدها لو أنهم رجعوا – بحق – إلى دينهم ، وأخذوا بأسباب الحياة ، وخاضوا المعترك بعزيمة وإباء .

ب – أسباب الهزيمة والانكسار :

وتتمثل هذه الأسباب في تخاذل هذه الأمة وركونها إلى جانب الضعف والاستسلام ، وتفرقها ، واختلاف كلمتها ، وغفلتها عن منهج ربها ، وتضييع حدوده ، وتعطيل أحكامه .

وقد مارس أبو مسلم نوعًا من نقد الذات ، وكان موضوعيًا في تناوله لأسباب الهزيمة والانكسار ، إذ يرى أن أقوى الأسباب فيما آل إليه حال العمانيين من الضعف والهوان هو اختلاف كلمتهم ، وقصر نظر ولاة أمورهم الذين قدموا مصالحهم الخاصة على مصلحة الأمة ، فتناحروا على السلطة ، وبلغ الأمر ببعضهم حد التحالف مع هذا المستعمر في

مواجهة إخوانه وبني جلدته[1] ، بل إن بعضهم قد صار من أتباع هذا المستعمر وأذنابه ، وهذا ما يكاد ينخلع له قلب أبي مسلم ، فيستفهم في دهشة واستنكار[2] :

أحقًا عباد الله بعض قواكم ∴ لقوة عباد الصليب دعائم

في عزة الطاغوت يشهر مؤمن ∴ حسامًا وتهوي في أخيه اللهائم

وينعي عليهم تماديهم في الفرقة والاختلاف ، فيقول[3] :

يا قوم أهل عمان كم تخالفكم ∴ إن التفرق لا يرضاه إيمان

ما ذا الشقاق الذي يغوي جنوبكم ∴ والمؤمنون بذات الدين إخوان

أطلقتم السيف في أفراد ملتكم ∴ وقيدته عن الأعداء أجفان

هانت عليك ترات الكفر واشتعلت ∴ فيكم على بعضكم للبعض أضغان

يخاطب الشاعر قومه في شيء من التودد الذي يوحي بالإشفاق ، ويحمل على تقبل النصح والإرشاد ، يتجلى في قوله : " يا قوم " ، " أهل عمان " ، فهم قومه وأهله وعشيرته ، فمن حقهم عليه أن يصغوا إليه ، ويستجيبوا له مادام ناصحًا أمينًا .

وإنه ليستنكر ما يراه واقعًا بهم من الشقاق الذي يأباه دينهم وإيمانهم

---

(١) أشرت فيما سبق – ص١٨ – إلى استعانة السلطان فيصل بن تركي بالإنجليز في مواجهة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، وكان للإنجليز أطماعهم في المنطقة ، فعملوا على إضعاف شأن الدولة العمانية بتقسيمها وتشتيت كيانها حتى تحقق لهم ما أرادوا ، فضعف نفوذها ، وانحسر الحكم العماني عن شرق أفريقيا سنة ١٩٦٣م ، وحقًا – كما قال المتنبي – :

وَمَن يَجعَلِ الضِرغامَ بازاً لِصَيدِه ∴ تَصَيَّدَهُ الضِرغامُ فيما تَصَيَّدا

(٢) ديوانه ص٣٢٥ – تحقيق الخزندار .

(٣) المصدر السابق ص٣١٤ .

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾[1] ، فالمؤمنون ينبغي أن يتحدوا ويعتصموا بحبل الله كما أمرهم سبحانه حيث يقول : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[2] .

ويأتي التقابل في البيتين الثالث والرابع ليكشف عن حقيقة مرة ، حيث أعمل بعضهم في بعض السيف ، في حين أن أعداءهم في مأمن من ضربهم وطعانهم ، وهنا تتوارد خواطر الشاعر مع قول شوقي[3] :

إلامَ الخُلفُ بَينَكُمُ إلاما ∴ وَهَذي الضَجَّةُ الكُبرى عَلاما[4]

وَفيمَ يَكيدُ بَعضُكُمُ لِبَعضٍ ∴ وَتُبدونَ العَداوَةَ وَالخِصاما

شَبَبتُم بَينَكُم في القُطرِ ناراً ∴ عَلى مُحتَلِّهِ كانَت سَلاما

مما يؤكد أن أحزان الأمة وأشجانها كانت واحدة ، وأن خواطر الشعراء كانت تتلاقى وإن نأت الديار أو اختلفت الأوطان .

ويرى أبو مسلم أن الفرقة والشقاق من أهم الأسباب التي مكنت الأعداء منهم ، فيقول[5] :

لقد مكن الأعداء منا انخداعنا ∴ وقد لاح آل في المهامه لامع

وسورة بعض فوق بعض وحملة ∴ لزيد على عمرو وما ثم رادع

---

(١) سورة الأنفال – جزء من الآية (٤٦) .

(٢) سورة آل عمران – جزء من الآية (١٠٣) .

(٣) الشوقيات جـ١ ص٢٢١ – ط/ دار الفكر – بيروت – سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(٤) الألف في قوله : " إلاما ، علاما " للإطلاق ، ومعروف أن حرف الجر إذا دخل على (ما) الاستفهامية وجب حذف ألفها على نحو ما حدث في قوله : " إلام " في مستهل البيت الأول ، و" فيم " في صدر البيت الثاني .

(٥) ديوانه ص٣٢٨ ، ٣٢٩ – تحقيق الخزندار .

ومـا ذبـح الاسـلام إلا سـيوفنا ∴ وقـد جعلـت في نفسـها تتقـارع
ولـو سـلت السـيفين يمـنى أخـوة ∴ لـدكت جبـال المعتـدين المصـارع
وما صدعة الاسلام من سيف خصمه ∴ بـأعظم ممـا بـين أهليـه واقـع
هراشاً على الدنيا وطيشاً على الهوى ∴ وذلـك سـم في الحقيقـة نـاقع

فلفظ (مكن) يوحي بإحكام الأعداء قبضتهم على زمام الأمور ، فليس الأمر مجرد احتلال أو تدخل في شئون البلاد ، إنما هو تمكن بكل ما تثيره هذه الكلمة من دلالات التحكم ، وربما التسخير والإذلال .

وحذف الشاعر متعلق الفاعل (انخداع) ليستوعب كل ألوان الخداع سواء أكانت من زيف الأعداء أم من أباطيل أذنابهم من الطغاة المستبدين .

ويبين أبو مسلم أثر الخلاف والفرقة في ضعف الأمة وهوانها ، فيختار لذلك معادلاً أسلوبيًا يتناسب وخطورة الموقف ، فيعبر عن أثر هذا التناحر بقوله : " وما ذبح الإسلام إلا سيوفنا " ، إذ تفجر كلمة (الذبح) من الطاقات الدلالية ما لا يمكن أن تفجره أي صيغة من صيغ القتل الأخرى ، وتدل على تمكن القاتل من المقتول ، فكيف إذا وقع هذا الذبح على الإسلام ؟ وكان بيد أبنائه لا أعدائه ؟!

على أن سيوف هؤلاء المتناحرين إذا اتحدت شكلت طعنة نافذة في صدور أعدائهم المتربصين بهم ، فلو سلت السيفين المتناحرين يمنى أخوة، ووجهت نصليهما إلى الدخيل المستعمر لزلزلت الأرض تحت أقدامه .

وقد وفق الشاعر في تصوير ما يمكن أن يصيب العدو إذا اتحد أبناء الإسلام حين عبّر عن ذلك بقوله : " ودكت جبال المعتدين المصارع " ، فلفظ (الدك) فيه قوة وعنف وتدمير ، وإيقاع (الدك) على

الجبال يوحي بقوة الضربة وعنفها ، وقدرتها على تدمير حصون العدو مهما كانت قوتها وصلابتها ، وإسناد الجبال إلى المعتدين يوحي بعدم قدرتها على الصمود ، لأن الظلم والعدوان لا قرار له ، على أن الذي يدك هذه الجبال هو مصارع الأعداء الذين لا يملكون ساعتها حراكًا أو فكاكًا .

إنه تشخيص دقيق للداء ، ودعوة صريحة إلى نبذ أسباب الفرقة والخلاف ، لأن ما يصيب الإسلام بسبب الشقاق الواقع بين أبنائه أشد خطرًا وتأثيرًا مما يصيبه من كيد أعدائه المتربصين به ، فليتنا نفيد من قراءة التاريخ ، ودراسة أسباب الانكسار ، وعوامل القوة والنصر في تاريخنا العربي الإسلامي على امتداد عصوره ودوله المتتابعة .

وإلى جانب الخلاف والفرقة يذكر أبو مسلم سببين آخرين من أسباب الهزيمة والانكسار أو الضعف والهوان الذي حل بالشعب العماني :

السبب الأول : تضييع حقوق الله وانتهاك حرماته :

مما لا شك فيه أن تضييع حقوق الله وانتهاك حرماته يستوجب مقت الله وغضبه ، ويعرض الأمة للبوار والخذلان ، وفي ذلك يقول أبو مسلم[1] :

ولا تعجبن مما تراه مسارعاً ∴ إلينا فعدل اللّه هذا المسارع

إلى ما أفضنا فيه من ترك أمره ∴ واتيان منهياته العدل صادع

ففيم صراخ المسلمين وجأرهم ∴ وأغلبهم للمقسطين منازع

في هذه الأبيات يرجع أبو مسلم ما حل بالمسلمين عامة والعمانيين خاصة إلى مخالفتهم منهج الله ، بترك ما أمر به ، واقتراف ما نهى عنه، ويستفهم متعجبًا من جأرهم وصراخهم في حين أن أكثرهم يناوئون أهل

---

(١) ديوانه ص٣٣١ – تحقيق الخزندار .

العدل والاستقامة ، ويوالون أهل الظلم والجور والاستبداد ، ولا شك أن أبا مسلم قد أفاد في ذلك من ثقافته الإسلامية التي تربط النصر بالإيمان والاستقامة ، والهزيمة بمخالفة منهج الله وتجاوز حدوده

السبب الآخر : ما صار إليه حال كثير من العمانيين من الغفلة والتخاذل ، والركون إلى حياة الدعة والاستسلام .

ويعبر أبو مسلم عن ذلك في صورة حية مؤثرة ، فيقول[1] :

فتحت عيني فرأيت غافلاً ∴ يحمله السيل وليته درى

ونائماً والنار في جثمانه ∴ كأنه جزل الغضى وما وعى

وراضياً بذلة مفتخراً ∴ بأن يعيش خازياً ومزدرى

وبائعاً لوطن فيه انتشى ∴ بلقمة يلذها وهي الودى

فهل لنا استقامة وعزة ∴ وحالنا مشؤومة كما نرى

وأغلب الناس الوفاء عندهم ∴ مستهجن وعهدهم على شفا

وقد وفق أبو مسلم في رسم صورة المتخاذلين والمغيبين عن الإحساس بواقعهم المرير ، فأرانا صنفًا منهم يحمله السيل الجارف وهو لا يدري بالخطر الذي يحدق به أو المصير الذي ينتظره ، أما الصنف الثاني فسادر في نومه ، تشتعل النار في جسده وتأتي عليه فما يكاد يشعر ، ولا تجد له حراكًا ولا مقاومة كأنه جزل الغضا ، مما يوحي بمنتهى الاستسلام لهذه النار التي تأكله ، فقد خلق ليكون وقودًا لها ، وخلقت هي لتلتهمه .

---

(١) المصدر السابق ص٣٥١ .

وكأني به يريد أن يقول : إن هناك صنفًا من الناس لا أنفة له ، وما خلق إلا ليسخر ويستعبد ، فاختار لذلك صورة من تأكله النار ولا يكاد يعي أو يتحرك ، فعبر عن مراده أبلغ تعبير .

وإن هناك صنفًا آخر بلغ به التبجح حد الافتخار بما هو فيه من ذل وخزي وهوان ، وهناك العملاء والخونة الذين يبيعون وطنهم بثمن بخس حقير ، بأكلة أو شربة يلذونها وفيها هلاكهم وما يدرون ، فهل على يد أمثال هؤلاء يمكن أن يتحقق النصر أو يرد كيد العدو في نحره ؟!

لذا كان على أبي مسلم أن يبحث عن صنف آخر من الرجال ، يكون قادرًا على المجابهة ودحض هذا المستعمر الغاشم ، وهذا الصنف هو محور حديثه ومناط خطابه الاستنهاضي في العنصر التالي (عوامل القوة والنصر) .

جـ – عوامل القوة والنصر :

إذا كانت أسباب الهزيمة والانكسار قد تمثلت في الشقاق والفرقة ، ومخالفة منهج الله ، والغفلة والتخاذل ، فإن عوامل النصر تتمثل في نقيض هذه الصفات ، كوحدة الصف ، واتحاد الكلمة ، والأخذ بأسباب القوة ، والجهاد والتضحية والاستبسال ، وهو ما يعبر عنه أبو مسلم في ختام مقصورته الوطنية ، بقوله[1] :

ما تنتظرون في التماس طبكم ∴ قد نكأ الجرح وادنف الضنى[2]

ليس لها إلا التفاف قوة ∴ بقوة ومقتدى بمقتدى

---

(١) ديوانه ص٣٢٥ – تحقيق الخزندار .

(٢) نكئ الجرح : فتح قبل أن يبرأ .. أدنف : لازم ، يقال : أدنفه المرض إذا لازمه .. والضنى : المرض المشرف على الموت .

لـيس لهـا إلا نفـوس طفئـت ∴ أضـغانها واشـتعلت فيهـا التقـى
يلمهـا الايمـان قلبـاً واحـداً ∴ وجهتـه اللّـه وحشـوه الهـدى
إذا رمـت فقوسـها واحـدة ∴ ومـا رمـت وإنمـا اللّـه رمـى
ولـو تـآلفتم علـى ايمـانكم ∴ وكانـت الأوجـه وجهـاً ينتحـى
ومحصـت أنـواره قلوبكـم ∴ فصفيت من فتنة ومن شذا[1]
ضاق على الخسم الفضاء دونكم ∴ وعزه الاركاس من حيث نزا[2]

بدأ أبو مسلم بما ينبغي أن يكون من نبذ روح التخاذل والاستسلام ، ومواجهة القوة بالقوة ، إذ لا يفل الحديد إلا الحديد ، ثم أكد بقوة وإلحاح على ضرورة الوحدة والتئام الصف ، فبدت هذه النبرة مهيمنة على الأبيات ، نجدها في قوله : " طفئت أظغانها " ، فهذه الأضغان نار تلتهم أصحابها إن لم تطفأ ، وفي قوله : " يلمها الإيمان قلبًا واحدًا " ، فالإيمان وحده هو القادر على جمع هذا الشتات وجعله صفًا واحدًا كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، فبغير هذا الإيمان لا يتحقق الوفاق ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[3] ، وبهذا الإيمان والاتحاد : " إذا رمت فقوسها واحدة ".

ثم يعود فيؤكد على ضرورة أن يكون هذا الاتحاد على أساس الدين:

---

(١) المراد بقوله : " فصفيت من فتنة ومن شذا " أن قلوبهم صفيت من الفتنة ورائحتها .
(٢) عزه الإركاس من حيث نزا : لم يستطع الهروب والرجوع من حيث أتى ووثب ، يقال : عز عليه الأمر إذا عجز عن فعله ، وأركست الخصم أي رددته على رأسه ، وركسته رددت أوله على آخره .
(٣) سورة الأنفال – جزء من الآية (٦٣) .

" لو تآلفتم على إيمانكم " ، وعلى ضرورة تحديد الهدف : " وكانت الأوجه وجهًا ينتحي " ، وهذا الهدف – على ما يفهم من جملة شعره الوطني – هو نصرة دين الله ، ودحض أعدائه ، وتخليص الوطن من شرورهم وآثامهم ، وتطهيره من رجسهم ودنسهم ، سواء أكان هؤلاء الأعداء من المستعمرين الغاصبين أم من الطغاة المستبدين .

ولا شك أن الإلحاح على ضرورة الاتحاد راجع إلى إحساس أبي مسلم العميق بأثر الخلاف والفرقة في ما أصاب الشعب العماني من الضعف والهوان .

وفي قوله : " وما رمت وإنما الله رمى " يستدعي أبو مسلم النص القرآني : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾[1] ، ليفيد من إيحاءاته الدلالية التي تذكر بنصرة الله جنده وعباده ، وتستدعي أن يكون الإنسان في معية الله حتى يظفر بنصره وتأييده ، وتحيل إلى مصدر النص ومناسبته ، حيث نصر الله المسلمين في بدر على ضعفهم ، بل على ذلتهم وفق تعبير النص القرآني[2] .

على أن الشاعر لم يوفق في قوله : " حشوه الهدى " ، لأن الحشو يعطي معنى سلبيًا يوحي بالإقحام والزيادة غير المستحبة ، فما كان ينبغي أن يكون الهدى حشوًا ، إنما كان ينبغي أن يكون لبًا وصلبًا ، ولو قال : وملؤه الهدي ، لكان أبلغ .

---

(١) سورة الأنفال – جزء من الآية (١٧) .

(٢) وذلك حيث يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة آل عمران – الآية ١٢٣ .

وقد سلك أبو مسلم مسلكًا استنهاضيًا في سبيل إثارة العزائم والهمم ، يقول[١] :

أيــن رجــال اللّــه مــا شــأنكم ∴ إلى مــتى في ديننــا نرضــى الــدنا
إلى مــــتى نعجــز عــن حقوقنــا ∴ إلى مــتى يسـومنا الضـيم العـدا
إلى مـــــتى نخـــزى ولا يؤلمنـــــا ∴ كالميـت لا يؤلمـه حـز الشـبا[٢]

ثم يقول[٣] :

أيــن بنــو القــرآن هــل ثــبطكم ∴ كتـابكم عـن الجهـاد للعـدى[٤]
أيــن غطــاريف الجــلاد بــالظبى ∴ أيــن مشــائيم الطعــان بالقنــا
أيــن بنــو التوحيــد لــو صــدقتم ∴ توحيدكم ما رقص الشرك على[٥]
أيـن بنـو الأحـرار مـا سـكونكم ∴ والملـك والـدين حريـب والحـرى

في هذا السيل الجارف من الاستفهامات المتلاحقة المفعمة باستنكار ما حل بالأمة من الضعف والاستكانة يبحث أبو مسلم عن رجال الله ، بني القرآن ، بني التوحيد ، بني الأحرار ، رجالات الضراب والطعان ، متسائلاً : أين هؤلاء جميعًا ؟ وهو تساؤل تطرحه مرارة الغياب ، وفي

---

(١) ديوانه ص٣٤٤ – تحقيق الخزندار .
(٢) الشبا : جمع شبأة ، وهي حد السيف وطرفه .
(٣) المصدر السابق ص٣٤٧ .
(٤) تكرار لفظ (العدا) الذي نجده في هاتين المقطوعتين المختارتين من مقصورته لم يقع إلا بعد واحد وستين بيتًا ، مما يجعله بعيدًا عن عيب الإيطاء الذي يعرفه العرضيون بأنه : تكرار الكلمة في القافية قبل أن يمض على ذكرها سبعة أبيات ، وإن كان الأولى بالشاعر المجيد ذي الثقافة اللغوية الواسعة أن ينأى عن تكرار قوافيه في القصيدة الواحدة مهما بلغ طولها .. انظر في تعريف الإيطاء : فن التقطيع الشعري والقافية – د/ صفاء خلوصي ص٢٧٨ .
(٥) حذف الشاعر معمول حرف الجر (على) لتذهب فيه النفس كل مذهب .

نسبتهم إلى الله والقرآن والأحرار ما يذكرهم بضرورة الحفاظ على ما تقتضيه هذه النسبة ، ويستوجب عليهم حق الإقدام والذود عن دينهم ووطنهم .

ويسائل أبو مسلم هؤلاء جميعًا في استنكار مفعم بالأسى والحسرة : " إلى متى في ديننا نرضى الدنا ؟ " ، و" إلى متى يسومنا الضيم العدا " ، و" إلى متى .. إلى متى ؟ " ، وكأني به يريد أن يقفز فوق الزمن ويختزل المسافة مستعجلاً الخلاص مما هم فيه من ذل وهوان .

إنها نفثة مكلوم وصرخة ثائر يفجرها في وجوه هؤلاء الأحرار لعل عدوى هذه الثورة تنتقل إلى صدورهم فيحسوا بما يحس به ، فيتحول إحساسهم وشعورهم بالضيم إلى حمم تنفجر في وجه المستعمر الغاصب .

وقد حذف الشاعر معمول (علي) في قوله : " ما رقص الشرك على " لتذهب فيه النفس كل مذهب ، فترى كل نفس فيه ما يؤلمها ويوجعها ، ويجعلها تنتفض وتهب ثائرة في وجه الاستعمار وعملائه .

وفي سبيل حشد كل القوى وتهيئتها لمواجهة الاستعمار ووقوفها في وجهه صفًا واحدًا يستنجد أبو مسلم بالقبائل العمانية ، ويدعوها واحدة واحدة ، يستثير فيها حميتها الدينية وأنفتها العربية ، على شاكلة قوله[1] :

ويا بني غافر عليا قريش لكم ∴ أصل وأنتم لذاك الأصل أغصان
قوموا إلى الله واعتدوا لنصرته ∴ فموعد الله جنات وغفران
وأين قوام أمر الناس قادتهم ∴ بنو خروص حماة الدين مذ كانوا
وأين يا آل سعد عزم نجدتكم ∴ وأنتم لرسول الله أحضان

---

(١) ديوانه ص٣١٠ – تحقيق الخزندار .

ثم يتجه بحديثه إلى سائر القبائل العمانية قحطانية كانت أم عدنانية، فليس الوقت وقت عصبية قبلية لا يحتملها الموقف ، إنما هو مقام اللحمة والتضافر ، واليقظة والثورة ، يقول[1] :

أين العصائب من قحطان أجمعها ∴ وأين من نتجت للمجد عدنان

هبوا لأحد المعالي من مراقدكم ∴ فليس يستدرك العلياء نومان

هبوا لداعي الهدى هبوا لعزتكم ∴ وكيف نومكم والخصم يقظان

جدوا فديتكم في نصر دينكم ∴ فاليوم فيكم لنصر الدين إمكان

اتجه أبو مسلم في هذه الأبيات بخطابه الاستنهاضي إلى القبائل العمانية لأنه كان يقدر دورها ومكانتها على الساحة العمانية ، حيث كان النظام القبلي ما يزال قائمًا قويًا ومؤثرًا في اتخاذ أي قرار سياسي ، وما كان لأي مصلح سياسي أو اجتماعي أن يتجاهل دور هذه القبائل وهي عماد المجتمع العماني ومصدر انطلاقته ، فحاول أبو مسلم أن يستثير نخوتها العربية وحميتها الدينية ، فذكرها بأمجادها وبلائها في الدفاع عن دينها ووطنها ، لعل ذلك يحرك هممها وعزائمها ، فتهب من سباتها ، وتستيقظ من غفوتها ، فليس يستدرك العليان نومان .

ويضع أبو مسلم هذه القبائل في مواجهة صريحة مع النفس والواقع، فكيف تنام وتغط في سباتها وغفلتها في حين أن عدوها يقظ ساهر على تدبير أمره لإحكام السيطرة على هذه القبائل وإخضاعها راغمة لسلطانه؟!

وأخيرًا يفتح أبو مسلم باب الأمل أمام هذه القبائل لو اتحدت كلمتها، وهبت لنصرة دينها : " فاليوم فيكم لنصر الدين إمكان " ، هذا التعبير

---

(١) المصدر السابق ص٣١١ .

الذي يحمل في طياته إغراء بالإقدام والمواجهة ، ويؤكد أن الفرصة سانحة لنصرة دين الله ، وما على هذه القبائل إلا أن توحد صفها وتنبذ ما بينها من فرقة وشقاق .

المحور الثاني: مقاومة الطغاة المستبدين ونصرة دولة الإمامة

كان أبو مسلم – كما أسلفنا – إباضي العقيدة والنزعة[1] ، والإباضية إحدى فرق الشراة الذين يدينون بضرورة مواجهة الطغاة المستبدين ، والخروج على السلطان الجائر ، وموالاة ومبايعة أهل الصلاح والاستقامة ، ويرون التقاعس عن هذا الواجب خروجًا على منهج الله ومن موجبات سخطه ، فإذا كان الله ﷻ سيعاقب الطغاة على ظلمهم واستبدادهم فإنه سيعاقب المستضعفين إذا ما رضوا بهذا الذل والهوان ، واستسلموا له ولم يعملوا على دفعه والتخلص منه ، يقول ﷻ : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ

ويحمل أبو مسلم السلطة الجائرة تبعة ما حل بالشعب العماني ، إذ كان جورها وطغيانها وتجاوزها حدود الله مدعاة لسخطه وانتقامه منهم بتسليط أعدائهم عليهم ، يقول[2] :

ألم ترى أن اللّه سلط مشركاً ∴ على مسلم والعدل للكل وازع
ترى سلطة لا تعرف اللّه أفظعت ∴ بعارفه والعدل تلك الفظائع

---

(١) راجع : ص٣٣ .
(٢) ديوانه ص٣٣٠ – تحقيق الخزندار .

فأنــت إذا فكــرت لم تلــف ذرة ∴ من الظلم في شيء له اللّه صانع
ومـا يوجـب المقـت الالهي عـدوة ∴ عدوت بها في خرق ما هو شارع
ولـو ثبتـت رجـلاك دون حـدوده ∴ لمـا كـان عـن رضـوانه لـك قـاطع

ويعرض بالسيد فيصل بن تركي سلطان مسقط – آنذاك – ، ويتهمه بالعمالة والخيانة ومولاة الاستعمار ، والتنكر للإسلام ، والخروج على سيرة الآباء والأجداد ، وتضييع أمجادهم ومفاخرهم ، يقول[1] :

أقول للبعض منكم وهو عن أسف ∴ والحر يأسف للأحرار إن شانوا
قد كنت نخبة هذا الأمر من قدم ∴ واليوم أنت على الأبواب زبان[2]
ماذا تقول إذا كنت ابن بجدتها ∴ والأصل معرفة والفعل نكران
طالع صحيفة مجد أنت وارثه ∴ إن كان فيها مجيد القوم خوان[3]
إذا تنكرت للإسلام عن حسد ∴ فاسأل أباك ولي الطهر ما الشان
يخبرك أنك قد فارقت خطته ∴ وإنه للذي فارقت حسران
وقلت شأنك من باب السياسة في ∴ دفع الأجانب لا بغي وعدوان
تسوسها أنت والإيمان يتركها ∴ ما قام عمرك في دعواك برهان
سياسة الله في القرآن كافية ∴ وما يزيد على القرآن نقصان

واضح من البيت الأول أن ثمة جوادًا يكبو ، وخطأ فادحًا يرتكب : " والحر

---

(١) المصدر السابق ص٢١٢ ، ٢١٣ .
(٢) زبان : متدافع متهالك ، يقال : تزابن القوم إذا تدافعوا .
(٣) كان القياس يقتضي نصب كلمة (خوان) ولكنه اضطر لرفعها مراعاة لحركة الروي ، وكان الأولى به أن يحور عبارته بما ينأى به عن الوقوع في هذا الخطأ النحوي .

يأسف للأحرار إن شانوا " .

وفي الأبيات من الثاني إلى السادس يجيد أبو مسلم توظيف تقنية التقابل والإفادة منها في وضع المعرض به في مواجهة سافرة قاسية بين واقعه المخزي ومجد آبائه التليد ، فبينما كانوا هم نخبة الحكام في مواجهة قوى الاستعمار في عمان وشرق أفريقيا يعمل هو على ممالأة وموالاة الغاصب المستعمر ، ينتظر عطفه عليه أو رضاه عنه ، بل إنه ليقف خاشعًا ذليلاً على أبوابه : " واليوم أنت على الأبواب زبان " ، تلك العبارة التي تفجر كمًا هائلاً من السخرية اللاذعة ، غير أن الشاعر يراها المعادل الموضوعي المناسب لمن يبيع بلده أو وطنه ، ويتنكر لدينه وعقيدته .

وإذا كان النقاد يرون أن التقصير عن رتبة الآباء يعد عيبًا ومثلبة[1] ، فكيف بمن أتى على مجد أسلافه من القواعد ؟ وهو ما يرمي إليه أبو مسلم بقوله : " الأصل معرفة والفعل نكران " .

ثم ينعي أبو مسلم عليه مسلكه السياسي في التعامل مع قوى الاستعمار ، حيث يدعي السلطان فيصل أنه منحاز إلى جانب السياسة في دفع الأعداء ، لا إلى جانب الحرب والقتال ، وهي دعوى تقوم على المغالطة وتزييف الحقائق، وتحمل في طياتها الانهزام والتخاذل والاستسلام .

وفي قوله على لسان السلطان فيصل : " لا بغي وعدوان " ، تأكيد لتلك المغالطة التي تنبثق منها دعواه ، حيث يصبح استرداد الحق وتحرير الأرض بغيًا وعدوانًا ، في حين أن البغي الحقيقي والعدوان السافر هو ما كان من هؤلاء الأعداء الذين احتلوا الأوطان ، وخربوا الديار ، وفتكوا بأهلها لا يرقبون

---

(١) انظر : العمدة – لابن رشيق جـ٢ ص١٤٥ ، ١٤٦ – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط/ دار الجيل – بيروت – سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م – الطبعة الخامسة .

فيهم إلاً ولا ذمة .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، بل لكأني بالشاعر يستشرف واقعنا المر ، حيث يصور الباغي المعتدي على أنه حمل وديع يجب الحفاظ على أمنه وسلامته ، ويصور المجاهد المدافع عن وطنه وأرضه وحماه ، العامل على استرداد كرامة وطنه وأمته على أنه وحش كاسر أو إرهابي متطرف .

وطبعي ألا يقبل أبو مسلم من السلطان فيصل مثل هذه الدعوى التي لم يقم عليها دليل ولا برهان ، فسياسة الله في كتابه الكريم واضحة وكافية ، وما يزيد على القرآن أو ينقص عنه فهو رد على صاحبه ، يحيل أبو مسلم بذلك إلى تلك النصوص التي تؤكد على فرضية الجهاد في دفع العدو ، كقوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [2] ، وقوله سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

ويستنهض أبو مسلم الهمم للوقوف في وجه الطغاة المستبدين الذين أضاعوا سنن الإسلام وفرائضه ، وعطلوا أحكامه وشرائعه ، يقول في تخميسه

---

(١) سورة البقرة – الآية (١٩٢) .
(٢) سورة البقرة – الآية (١٩٣) .
(٣) سورة التوبة – الآية (١٢٣) .

لقصيدة (سموط الثنا) للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي[1] :

ومن لي وسيف العدل بين جفونه

وللجور سيف شاهر في يمينه

ومن لي وأهل اللّه تحت متونه

ومن لي بأن يرضى الاله لدينه ∴ بتعطيل أحكام ورفض حدود

ومن لي بأن يرضى بسلطان مفسد

مغير بحرب الاستقامة منجد

مذل لعز المؤمنين معبد

ومن لي بأن يرضي لأمة أحمد ∴ وقد سامها بالخسف كل كنود

والخلاص من هذه الأوضاع المتردية – في منظور أبي مسلم – يحتاج إلى إمام عادل ، يطبق منهج الله ، ويحكم بشريعته ، يقود الصف ، وينشر العدل ، ويخلص الوطن من الدخيل المستعمر والطغاة المستبدين ، وهو ما كان يؤمله أبو مسلم في الإمام سالم بن راشد الخروصي ، فعندما تمت بيعته انحاز إليه بقوة ، وأخذ يرسل أشعاره تترى من شرق أفريقيا يدعو فيها العمانيين إلى مؤازرته والوقوف إلى جانبه ، ويعد التخاذل عن بيعته ونصرته عصيانًا لله وخروجًا على منهجه ، يقول[2] :

أفي إمامة حق بعد ما ثبتت ∴ بحقها أنت يا ذا اللب حيران

---

(١) ديوانه ص١٦٤ – تحقيق الخزندار .. وفن التخميس في الشعر العماني – ليحيى البهلاني ص٧٣ ، ٧٤ .

(٢) ديوانه ص٣١٣ ، ٣١٥ – تحقيق الخزندار .

لا عذر لا عذر فيها حجة قطعت ∴ عذر الخلاف لها في الدين تبيان

فما انحرافك عنها بعد ما وجبت ∴ إلا خروج عليها وهو عصيان

يا قوم هذا إمام الدين بينكم ∴ مقصوده الحق لا ملك وسلطان

يدعو إلى الله قوامًا بملته ∴ له حسامان إقساط وإحسان

إن الإمام يمين الله بينكم ∴ فبايعوه وإلا حل خسران

يستفهم أبو مسلم في دهشة واستنكار لحال هؤلاء المترددين في بيعة الإمام سالم بعد ما قامت الحجة الدامغة على أحقيته بالإمامة ، فقد بايعه أهل الحل والعقد من الفقهاء والعلماء وأهل الصلاح والتقوى ، فما النكوص عن بيعته أو التخاذل عنها إلا خروج عن حق الإمامة ، وهو عصيان لله الذي أمرنا بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر .

ويزيد من دهشة أبي مسلم حال هؤلاء الذين لا يكادون يلتفتون لهذا الأمر على عظمته وخطورته ، فيصرخ فيهم : " هذا إمام الدين بينكم " ، وفي هذه العبارة ما يشير إلى غفلة هؤلاء القوم وعدم اكتراثهم بهذا الحدث الجلل ، الذي ما كان ليتحقق – والظروف كلها في مواجهته – لولا تأييد الله لهذا الإمام ، بل إن الشاعر يعد الحدث كله كرامة من كرامات الإمام سالم ، حيث يقول[1] :

وحسب الإمام المهتدي من كرامة ∴ بأن قام والدنيا جميعًا تراغم

ويذكّر أبو مسلم قومه بأن رسالة الإمام رسالة دينية إصلاحية ، فالإمام مقصوده الحق والعدل لا الملك والسلطان ، وهدفه الدعوة إلى الله وتطبيق أحكامه ، له في ذلك سلاحان : أولهما العدل ، والآخر الإحسان .

---

(١) ديوانه ص٣٢٣ – تحقيق الخزندار .

وفي وصف الإمام بأنه يمين الله تكريم لهذا الإمام ، وبيان لمكانته الدينية، فهو يمين الله وخليفته في الأرض ، ومن ثم تجب بيعته وطاعته : " فبايعوه وإلا حل خسران " .

ويؤكد أبو مسلم على أن مولاته للإمام سالم وحثه على مؤازرته واجب تمليه عليه عقيدته ، وأنه ماض في نصره هذا الإمام غير عابئ بما يصيبه في سبيل ذلك ، يقول[1] :

ومالي وللأعداء جاشت صدورهم ∴ وغصت بما تحوي الصدور الحلاقم
على أنني واليت في الله أهله ∴ وعاديت من نيطت عليه المآثم
ومن لهم أن أخذل الحق ظالما ∴ ويظفر مني بالولاية ظالم
وهذا محال لا ينالون نبله ∴ ولو ضغمت جسمي عليه الضياغم[2]
وكم عجموا عودي على الدين فانثنت ∴ كلالا عن المر الصليب العواجم
بحب أمير المؤمنين ابن راشد ∴ أدين وأنف الخصم خزيان راغم
محبة من باع الضلالة بالهدى ∴ يبيع ويشري مؤمنًا ويساوم
محبة من لا يتقي الموت مسلما ∴ يحارب في دين الهدى ويسالم

لا شك أن الاستعمار وأعوانه بل أذنابه وعملاءه كانوا يعملون جاهدين على وأد دولة الإمامة في مهدها ، وزرع الأشواك في طريقها ، وإثارة الشبهات حولها ، وبما أن أبا مسلم كان من أبرز المدافعين عن دولة الإمام سالم بن

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٥ .

(٢) ضغمت : الضغم : العض الشديد ، يقال : ضغمه إذا عضه بملء فيه ، وقيل : هو أن يملأ فمه مما أهوى إليه .. الضياغم : جمع ضيغم ، وهو الأسد .

راشد الخروصي ، الداعين إلى نصرته ، الناقمين على الاستعمار وأعوانه من الطغاة المستبدين – فقد تعرض لبعض المضايقات التي كانت تحاول زحزحته عن موقفه ، لكنه قطع الطريق أمام هؤلاء المتربصين بأي حركة دينية أو إصلاحية يرونها خطرًا على مصالحهم ، فأعلن أن القضية قضية موقف ومبدأ لا تقبل الجدل أو المساومة ، فهو على قناعة بأن إمامه هو رجل المرحلة القادر على قيادة الصف ، وجمع الشمل ، ودحر العدو ، ومقاومة الظالم المستبد ، والحكم بمنهج الله ، وتطبيق شريعته ، فاتباعه واجب ديني ، ومخالفته أو التخاذل عن نصرته عصيان لله وخروج على ما شرعه من وجوب لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر .

وقد بنى أبو مسلم موقفه على أساس ديني محض ، فبايع في الله أهله ، وعادى فيه خصومه وأعداءه ، يحارب في دين الهدى ويسالم ، غير عابئ بما يمكن أن يصيبه في سبيل موقفه .

وفي قوله : " محبة من لا يتقي الموت مسلما " يبدو الشاعر متأثر بقول الصحابي الجليل خبيب بن عدي[1] :

فلست أبالي حين أُقتل مسلمًا ∴ على أي جنب كان في الله مصرعي

وفي ذلك كله ما يؤكد عمق البعد الديني في خطاب أبي مسلم الوطني ، بل ما يؤكد هيمنة النزعة الدينية على مكونات هذا الخطاب .

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٦٣٠هـ) جـ٢ ص١٥٥ – تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .. والبداية والنهاية – لابن كثير جـ٤ ص٦٣ ، ٦٧ – نشر مكتبة المعارف – بيروت – سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، وفي بعض روايات البيت :

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا ∴ على أيّ شق كان في الله مصرعي

الفصل الرابع

النزعة الدينية في مراثيه

الفصل الرابع

النزعة الدينية في مراثيه

نظرة أبي مسلم إلى قضية الموت والحياة هي نظرة التفكر والتأمل والاعتبار ، فالرجل يبكي حاله قبل أن يبكي غيره ، ويحاول أن يوجه من خلال مراثيه ونظراته التأملية رسائل وعظية مؤثرة ، على شاكلة قوله[١] :

أتمرح أن شاهدت نعشًا لهالك ∴ إليك أكف الحاملين تشير

ستركب ذاك المركب الوعر ساعة ∴ إلى حيث صار الأولون تسير

نقى من غبار الأرض بيض ثيابنا ∴ وتلك رفات الهالكين تطير

ويشكل شعر الرثاء عنصراً بارزاً في شعر أبي مسلم ، ذلك أنه يخدم قضية التأسي والاستنهاض التي كانت تشغل باله من جهة ، ويتيح له فرصة إشباع غريزته الفقهية الدعوية التربوية من جهة أخرى .

وجاءت بنية الرثاء في شعره متوائمة مع فكرتها ، منسجمة معها غاية الانسجام ، إذ يتخذ – في أكثر مراثيه – من الحديث عن الدنيا وزخارفها ، والحدث على عدم الركون إليها أو الاغترار بمباهجها مدخلاً رئيسًا يكاد يشكل هدفًا في حد ذاته من ناحية ، ويهيئ النفوس للدخول في جو الرثاء من ناحية أخرى[٢] .

وقد وصلت هذه المقدمات في بعض قصائده إلى خمسة وستين بيتًا[٣] ،

---

(١) ديوانه ص٢٤ تحقيق عبد الرحمن الخزندار.

(٢) انظر : تطور الأدب في عمان د/ أحمد درويش ص١٨٩ .

(٣) انظر مقدمة قصيدته " الرائية " في رثاء العلامة نور الدين السالمي – ديوانه ص٣٩٩ تحقيق الخزندار .

وفى بعضها إلى خمسة وأربعين[١] ، وفي بعضها إلى أربعة وثلاثين[٢] ، يستهل مرثيته " اللامية " في العلامة الشيخ / محمد بن يوسف أطفيش بقوله[٣]:

عش ما تشاء راقب فجعة الأجل ∴ سينقضي العمر في بطء وفي عجل
تلهو بتصويرك الآمال مغتبطا ∴ وبين جنبيك ما يلهى عن الأمل
تناقلتك ليال غير راجعة ∴ وما تجاهك يوم غير منتقل[٤]
ماذا يغرك من دنيا نضارتها ∴ نهب المنون ومجراها إلى الزلل
رأى الركون إلى آفاتها سفه ∴ وصفوها بين نابي مهلك جلل
ما شأن صولاتها البقيا على أحد ∴ وإنما أجل يتلو خطا أجل

ولا يفوت أبا مسلم أن يغوص في أعماق النفس الإنسانية ، وبخاصة تلك النفوس المريضة التي ضلت طريقها فلا تكاد تتعظ أو تعتبر حتى في أحرج المواقف وأكثرها مدعاة للعظة والاعتبار ، لحظات الموت والفراق ، يقول[٥] :

زمازم الموت في الآذان صادعة ∴ لكن إلى لبب الألباب لن تصل
يارب نادبة ما جف مدمعها ∴ وعينها في نظام الحلي والحلل

---

(١) انظر : مقدمة قصيدته " الدالية " في رثاء الشيخ/ محمد بن يوسف أطفيش – ديوانه ص٣٩٢ تحقيق الخزندار .
(٢) انظر : مقدمة قصيدته " اللامية " في رثاء القطب الشيخ/ محمد بن يوسف أطفيش – ديوانه ص٣٨٥ تحقيق الخزندار .
(٣) ديوانه ص٣٨٥ تحقيق الخزندار .
(٤) يريد أن يقول : أيامك في الدنيا ذاهبة غير راجعة ، وأمامك في الآخرة حياة باقية ، غير فانية ، فينبغى على العاقل ألا يبيع الباقية بالفانية .
(٥) ديوانه ص٣٨٦ تحقيق الخزندار .

حتى متى نحن والأجال تحفزنا ∴ والجد والهزل منا تابع الأمل
نرى مصارع قوم جل فقدهم ∴ كفقدنا في الملاهي صالح العمل
نفني الدموع ونرثي من نضن به ∴ وما لنا برثاء الرشد من شغل
كأننا في أمان من مصارعهم ∴ أو المنايا عن الأحياء في كسل

يبين أبو مسلم في هذه الأبيات مدى تعلق الناس بالدنيا وارتباطهم بها ، فزمازم الموت وصواعقه لا تجاوز آذانهم أو مسامعهم ، أما أفئدتهم فقد عميت عن التدبر والعظة ، ولمزيد من الإيضاح والتأكيد اختار صورة النادبة التي لم يجف مدمعها في حين أن عيونها هائمة وذهنها شارد في نظام الحلي ونسيج الحلل .

وفى لفتة دعوية هادئة يصور الشاعر مدى انشغال الناس باللهو وتفريطهم في حقوق خالقهم ، فقد شغلتهم دور اللهو عن صالح العمل ، وصارت مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا ، إذ يبكون أهلهم وذويهم ومن يضنون به في حين أن أحداً منهم لم يبك حاله وما فرط في جنب الله ، أو حال أمته ما هي فيه من ضعف وهوان ، مما هو جدير بالتدبر والتأمل والرثاء ، وكأنهم قد أصبحوا في مأمن من المنايا أو أنها صارت في كسل عن ملاحقتهم .

وقد يهجم أبو مسلم على موضوعه مكافحة ويتناوله مصافحة على نحو ما نرى في لاميته التي رثى بها نور الدين السالمي ، فقد استهلها بقوله[١] :

نكسى الأعلام يا خير الملل ∴ رزئ الإسلام بالخطب الجلل
وانتثر يا دمع أجفان التقى ∴ قد أصيب العلم واغتيل العمل

---

(١) المصدر السابق ص٤٠٦ .

غير أنه لم يستطع التخلص من المعاني الوعظية التي كانت تلح عليه ، فانتقل من الحديث عن مصاب رجال الدين في فقيدهم إلى الحديث عن طبيعة هذه الدنيا ، وضرورة التنبه إلى غدرها ، والحذر من فتنتها ، يقول[١] :

هـــذه الـــدنيا وهـــذه أمرهـــا ∴ تنـدف الأعمـار نـدفًا لم تـزل
كشـفت عـن قبحهـا في حسـنها ∴ وأرتنـا السـم في هـذا العسـل
أيهـــا العاقـــل لا تحفـــل بهـــا ∴ سـوف ترمـى بـك مـن رأس جبـل
قـــد بلونهـــا ولكـــن سحرهـــا ∴ ينـزل الأعصـم مـن أعلـى القلـل
هكـــذا تخبطنـــا فتنتهـــــا ∴ بينمـا نـأنس منهـا بالحـــيل
رقمـــت آياتهـــا فـــي عبـــر ∴ بقـــــرون طحنتهـــم ودول

فوراء هذا التركيز على الجانب الوعظي تقف شخصية أبي مسلم العالم الفقيه الذي يرى أن مسئولية الكلمة تتجاوز مجرد رصد مشاعر اللحظة الطارئة – على جسامتها وشدة وقعها في نفسه – إلى التنبيه أو التأكيد على أن هذه اللحظة هي الأصل ما عداها من الاستكانة والركون إلى جانب الحياة عرض طارئ ينبغي الحذر منه[٢] .

ويمكن القول : إن أبا مسلم إنما كان ينتهز فرصة التجاوب العاطفي بينه وبين المتلقي في مثل هذه المواقف ، ليبث توجيهاته الوعظية ، فتخفف المصاب من جهة ، وتعمل على الأخذ بيد المتلقي إلى طريق النجاة بتحذيره من الركون إلى هذه الدنيا الخادعة الماكرة من جهة أخرى ، ولاسيما أنه كان يرثي أناسا لهم مكانتهم وأثرهم في قلوب الناس وفي شئون حياتهم : دينهم

---

(١) المصدر السابق ص٤٠٧ .
(٢) انظر : تطور الأدب في عمان د/ أحمد درويش ص١٨٩ ، ١٩٠ .

ودنياهم .

فإذا ما تجاوزنا هذه المقدمات إلى لب قصيدة الرثاء في شعر أبي مسلم فإننا نسجل الآتي :

أ – **أن الرابطة الدينية هي القاسم المشترك الذي يجمع بين من رثاهم أبو مسلم** ، فقد اشتمل فصل الرثاء في ديوانه عل تسع قصائد موزعة على النحو التالي[١] :

* قصيدتان في رثاء العلامة القطب الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ، أبرز علماء المذهب الإباضى في عصره ، وأحد زعماء الإصلاح في المغرب العربي ، وصاحب جهود بارزة في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، والمحافظة على الهوية الدينية[٢] .

* قصيدتان في رثاء العلامة الشيخ نور الدين السالمي الملقب برئيس النهضة العمانية ، لجهوده الفكرية والإصلاحية ، وهو أحد أبرز علماء المذهب الإباضي بعمان[٣] .

* قصيدة في رثاء صديقه ورفيق حياته في طلب العلم العلامة الفقيه المحقق الشيخ أحمد بن سعيد الخليلي ، وكان مصلحًا جريئًا في الحق ، غيوراً على دين الله ، وعليه كان مدار القضاء والفتوى في وادي سمائل بداخلية عمان[٤] :

* قصيدة في رثاء العلامة الشيخ سالم بن أحمد الريامي قاضي الجزيرة

---

(١) راجع ديوانه ص٣٨٥ – ٤٣٩ ، الباب الرابع " قصائد الرثاء " ، تحقيق الخزندار .
(٢) انظر في سيرته : قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش : حياته – آثاره الفكرية – جهاده ، لبكير بن سعيد أغوشت ط. مكتبة الضامري – مسقط سنة ١٩٨٩م .
(٣) انظر في أخباره : شقائق النعمان للخصيبي ج٣ ص١٤٦ .
(٤) انظر في أخباره : شقائق النعمان للخصيبي ج٣ ص١٤٦ .

الخضراء من أعمال زنجبار ، وكان من أهل العلم والفقه ، ومن أخص أصدقاء أبي مسلم[١] .

* قصيدة في رثاء الشيخ الفقيه راشد بن سليم الغيثي ، أحد قضاة زنجبار[٢] ، وكان من رجالات الإصلاح بها ، عرف بجوده وسعة إنفاقه في وجوه الخير ، وإلى ذلك يشير أبو مسلم بقوله في رثائه[٣] :

مآل اليتامى في الملمات من ترى ∴ تركت لهم إذ أزمة الدهر تأزم ؟

وقوله[٤] :

وكنت لحاجات المساكين ركنها ∴ فمن لهم والركن عنهم مهتم

وكنت مع الأكدار صفواً مهنئا ∴ رواؤك ممدود وكأسك مفعم

وما ضاعت الآمال عندك والذي ∴ نويت ولم يقدر من الخير أعظم

كأن الورى الأرحام لست تضيعها ∴ على أسوة في الوصل بر ومجرم

* قصيدة في رثاء الإمام سالم بن راشد الخروصي ، أحد أئمة الهدى والعدل بعمان ، وكان الشاعر يؤمل في إمامته الخير والاستقامة لأهل عمان ، وذهب أكثر شعره الاستنهاضي في الدعوة إلى مناصرته والوقوف إلى جانبه حتى لقب بشاعر دولة الإمامة .

* قصيدة في رثاء الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي ، الذي ولى إمامة عمان بعد وفاة الإمام سالم بن راشد الخروصي سنة ١٣٣٨ هـ

---

(١) انظر : المرجع السابق ج٣ ص٣٠٧ ، والشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائداً لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٥٩ .

(٢) انظر : شقائق النعمان للخصيبي ج٣ ص٣٠٦ .

(٣) ديوانه ص٤٢٧ تحقيق الخزندار .

(٤) المصدر السابق ص٤٢٧ .

، وكان عالمًا ، فقهيًا ، من بيت علم وفقه ، فوالده كان من أهل العلم ، وعمه الشيخ الفقيه أحمد بن سعيد ، وجده العلامة المحقق العالم الرباني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي .

فجملة من رثاهم أبو مسلم فقهاء ، وقضاة ، وأئمة ، ومصلحون دينيون ، ولم نجد في ديوانه بيتًا واحدًا في رثاء أحد من سلاطين عصره سواء في مسقط أم زنجبار ، مما يؤكد أن الرجل كان يصدر في رثائه عن عاطفة دينية صادقة لا تعرف الزيف أو النفاق ، وطبعي أن يكون أبو مسلم كذلك ، وهو رجل دين وفقه معروف بفكره الاستنهاضي ، وحثه على مقاومة الظلم والطغيان ومحاربة، الفساد والاستبداد .

ب – **يرتكز أبو مسلم في رثائه على إبراز المكانة الدينية للمرثي** ، وما خلفه فقده من فراغ ديني أو فكري أو إصلاحي ، فجميع من رثاهم أبو مسلم عمد في مجتمعاتهم ، وركائز في أوطانهم ، يشكل فقدهم مصابًا فادحًا ، وخطبًا جللاً ، وفراغًا كبيرًا ، ليس في مجتمعاتهم فحسب ، بل في رقعة الملة الإسلامية .

وتبدو عاطفة الشاعر أكثر تأججًا عندما يتصل الأمر برثاء أحد أقطاب المذهب الإباضي الذي يتعصب له ، يقول في رثاء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش[١] :

تمضي وتترك هذه الدين في جزع ∴ والأرض مظلمة والدهر في خبل
من للحنيفة يا قيامها علم ∴ يهدي إليها ومن يحمي من الغيل
من الشريعة قد قامت قيامتها ∴ ومن يسدد منها موضع الخلل

---

(١) ديوانه ص٣٨٨ تحقيق الخزندار .

من للطريقة من يصفى مشاربها ∴ للسالكين كئوس العل والنهل
قد كنت حاديها تحدو ركائبها ∴ بنغمة لحنتها زمرة الرسل
رجعت صوتك فاشتاقت معاهدها ∴ فاليوم تصغي لمن يا حادي الأبل

ثم يقول[١] :

يا راحلاً عن بني الإسلام تاركهم ∴ وللكآبة فعل السيف والأسل
ودع معاهدك الزهراء إن بها ∴ غمًا لو احتل غمر البحر لم يسل
ودع رجالك قد بانت عقولهم ∴ إن راجع العقل من توديع مرتحل
ودع تصانيفك الحق المبين فقد ∴ صار المداد حدادًا غير منفتل
فوا مصاباه إن ودعت مرتحلا ∴ وما وراءك للإسلام من بدل

وعلى قدر فداحة الخطب ينبغي أن يكون الحزن ، وبما أن أطفيش لم يكن رجلاً عاديًا فلا أقل من أن تلبس الأكوان ثوب حدادها لما أصاب ملة الإسلام بفقده ، يقول في مرثيته الدالية[٢] :

أبعد مليك الأولياء محمد ∴ يروق نضير أو يلذ رغيد
ألا تلبس الأكوان فيه حدادها ∴ كما نكست للدين فيه بنود
عزاء بني الإسلام أن مصابكم ∴ عظيم وأن الحزن فيه شديد

وفى قوله : " ألا تلبس الأكوان فيه حدادها " ما يذكرنا بقول ليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد أحد رءوس الخوارج ، وكان فارسًا مقدامًا[٣] :

---

(١) المصدر السابق ص٣٩١ .
(٢) ديوانه ص٣٩٨ تحقيق الخزندار .
(٣) الأغاني ج١٢ ص٣٣٤ ط ، دار أحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤١٤ هـ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م الطبعة الأولى .

أيـا شـجر الخـابور مالـك مورقـا ∴ كأنـك لم تحزن على ابـن طريـف

غير أن أبا مسلم لا يريد من الأشجار فقط أن تلبس ثوب حدادها ، إنما يريد من الكون كله أن يلبس ثوب الحداد ، ليكون الحزن على قدر فداحة الخطب ، ولا عزاء سوى أن المصاب أليم والحزن فيه شديد .

وفي العام الذي مات فيه أطفيش فقد أبو مسلم علمًا آخر من أعلام المذهب الإباضي كان معروفًا بصلابته في الحق ، وعمله على تثبيت أركان دولة الإمامة بعمان هو الشيخ نور الدين السالمي ، مما جعل نكبة الشاعر عظيمة بفقد شيخيه أطفيش والسالمي في عام واحد يمكن أن نطلق عليه عام الحزن في حياة أبي مسلم ، فالرجل كان يعلم أن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ، إنما ينتزعه بقبض العلماء ، وليس أطفيش والسالمي بعالمين فحسب ، إنما هما عالمان من طراز خاص ، عالمان عاملان مصلحان ، كان أبو مسلم يؤمل فيهما خيراً كثيراً للأمة الإسلامية ، ويرى فيهما الصورة المثلى للكفاح والجهاد الذي ينشده ويدعو إليه ، ومن ثمة كان مصابه فيهما مصابًا جللاً ، يذيب الصخر ، ويورث الأسى والحسرة ، وهو ما يعبر عنه في رثاء السالمي بقوله[١]:

يا من أذاب الصخر حر مصابه ∴ من ذا تركت لدولة الأحراز

تمضي وترسلها العراك مروعة ∴ والليل داج والذئاب ضواري[٢]

ارجع إلى الإسلام تمم نصره ∴ فالعز تحت عزائم الأنصار

ارجع فإن الاستقامة أرملت ∴ ارحم يتيمك وهو دين الباري

---

(١) المرجع السابق ص٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٢) الياء في " ضواري " حرف وصل ناشئ عن إشباع كسرة الراء .

ارجـع ومـا ظـني بأنـك مشتـــر ∴ بجـوار ربـك جـيرة الأشـــرار

وينتحي أبو مسلم باللوم والعتاب على صرعة الموت التي اتخذت من انتقاء المصلحين الأخيار هدفًا لها ، فكلما لمع نجم واحد منهم وأمل أبو مسلم فيه خيراً وصلاحًا للوطن أو للأمة عجلت المنية به ، يقول في رثاء السالمي[١]:

يا صرعة الموت انتقرت خيارنـــا ∴ وتركـــت أمتنـــا بغـــير خيـــــار

ناهيك من إطفاء أنوار الهـدى ∴ غشي الظلام وضل فيه الساري

ناهيك من إعدام أحبار التقى ∴ فالـــدين لا يبقـــى بـــلا أحبـــار

ويلاه أوحشت الديار من الآلي ∴ كـــانوا خلائـــف ســـنة المختـــار

أو كلمـا نجمـت فضـيلة سيـــد ∴ قـــدرتها وتـــراً مـــن الأوتـــــار

أسـرعت في الأغـواث والأقطـاب ∴ والأعـــلام والأبـــدال والأخيـــار

مهـــلاً فمـــا أبقيـــت ثم بقيـــة ∴ نـزح القطـين وجـف منـه الـدار

ويقول في رثاء العلامة الشيخ راشد بن سليم الغيثي[٢] :

أحقـا عميـد الـدين لاقى حمامـــه ∴ فـإني أرى نعـش الهـدى تتلـدم[٣]

أحقـا منـار العلـم أسـقطه الـــردى ∴ كـأن سـقوط العلـم للحتـف مغـنم

فيـا ثلمـة للـدين والفضـل مالهـــا ∴ سـداد ، ولا إذ يقـدم الـدهر تقـدم

حنانيـك للأبـرار يـا مـوت برهـــة ∴ وهيهـات ليسـت قسـوة المـوت تـرحم

---

(١) ديوانه ص٤٠٠ تحقيق الخزندار .

(٢) المصدر السابق ص٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٣) تتلدم : تضطرب وتتحسر ، يقال : التدم الرجل إذا اضطرب ، والتدمت النساء إذا ضربن وجوهن في المآتم .

تسارع في الأخيار تمحو وجودهم ∴ ويا ليت ما تمحوه بالمثل يرقم

وهكذا تبدو النزعة الدينية سيطرة على لب قصيدة الرثاء كما سيطرت على مقدمتها .

ج – **مارس النص الديني – قرآنًا وسنة – حضوراً ملموسًا في مرثيات أبي مسلم** ، فكثيراً ما يستدعى الشاعر هذه النصوص يدعم بها مسلكه الوعظي من جهة ، ويضفي بها على أسلوبه جانبًا من القوة والفخامة ، وعلى شعره طرفًا من السيادية أو التقديس من جهة أخرى ، ومن استدعائه بعض النصوص القرآنية قوله في رثاء أطفيش – مخاطبًا المتلقي –[١] :

وما هو إلا سكرة الموت بغتة ∴ وذلك أمر كنت منه تحيد

وقوله[٢] :

أما في الصروف الحادثات مواقف ∴ لفكر لملقى السمع وهو شهيد

وقوله[٣] :

أليس لأن الحشر والنشر آزف ∴ ولم يبق إلا سائق وشهيد

فالبيت الأول معنى ومعجمًا وتركيبًا مستمد من قوله تعالى : ﴿ **وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾[٤] ، أما البيت الثاني فمستمد من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ**

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٧ .
(٢) المصدر السابق ص٣٩٧ .
(٣) المصدر السابق ص٣٩٨ .
(٤) سورة ق – الآية (١٩) .

﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] ، ويدعم إشارته هذا الاستدعاء مجيئة ردف آية تتحدث عن هلاك الأمم الطاغية المتجبرة ، هي قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾[٢] ، وأما البيت الثالث فإحالة إلى قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[٣] .

ولا شك أن الشاعر قد أفاد من هذه الاستدعاءات سواء في دعم أفكاره الوعظية أم في الإفادة من مستوى الأداء الصوتي لفواصل هذه الآيات ، وكان موفقًا في ذلك نظراً لتناسب هذه الاستدعاءات وجو الرثاء الذي يتطلب التأسي والعظة .

ومنها قوله في رثاء الشيخ راشد الغيثي[٤] :

قضى الله أن الحي يجري لغاية ∴ فما ثم تأخير ولا متقدم

وهو مستمد من قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٥] .

وقوله في مقدمة قصيدة يرثي بها نور الدين السالمي – في معرض حديثه

---

(١) سورة ق – الآية (٣٧) .
(٢) سورة ق – الآية (٣٦) .
(٣) سورة ق – الآية (٢١) .
(٤) ديوانه ص٣٩٩ تحقيق الخزندار .
(٥) سورة الأعراف – الآية (٣٤) .

عن التحذير من الركون إلى الدنيا وزخارفها الكاذبة –[١] :

قرت على رنق وزخرف باطـــل ∴ مثـل الفـرار علـى شـفير هـار

متأثراً بقوله – تعالى – : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[٢] .

وواضح أن استدعاءات أبي مسلم لبعض النصوص القرآنية وإحالاته إليها نصب – في جملتها – في دعم اتجاهه الوعظي ، كالتحذير من الركون إلى جانب الحياة الفانية ، والحث على التأمل والاعتبار بأحوال من مضى ، مع ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره ، فلكل أمة أجل ، ولكل أجل كتاب ، والعاقل من وعظ بغيره .

وكما أفاد أبو مسلم من حفظه للقرآن الكريم أفاد من دراسته للسنة النبوية وحفظه الكثير من نصوصها ، فاستمد بعض معانيه منها ، كقوله في رثاء أطفيش[٣] :

يرفـــع العلـــم برفـــع العلمـــا ∴ وارتفـاع العلـم هلـك وخبـل[٤]

فالبيت مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن الله – عز وجل – لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسًا جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم ، فضلوا**

---

(١) ديوانه ص٤٢٦ تحقيق الخزندار .
(٢) سورة التوبة – جزء من الآية (١٠٩) .
(٣) ديوانه ص٤١٠ تحقيق الخزندار .
(٤) الخبل (بفتح الخاء والباء) ، الجنون وما يشبهه كالهوج والبله .

وأضلوا »[١] .

ويلح أبو مسلم في رثائه على استدعاء بعض الأحاديث المتصلة بأشراط الساعة وعلاماتها على شاكلة قوله[٢] :

وماذا نرجى بعد موت خيارنا ∴ قعاصا وأنواع الفساد تزيد[٣]

وقد صح مصداق الحديث فديننا ∴ غريب كيوم الإبتداء وحيد[٤]

وأكثر أشراط القيامة وارد ∴ وأوشك للباقي القليل ورود

فالبيت الثاني مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم : « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء** »[٥] .

كل ذلك يؤكد تمكن أبي مسلم من استيعاب الثقافة الإسلامية ، وقدرته على صهرها في بوتقته الشعرية ، والإفادة منها في دعم رؤاه الإسلامية ومسلكه الوعظي .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

(٢) ديوانه ص٣٩٧ تحقيق الخزندار .

(٣) قعاصا : من قولهم : قعص الرجل يقعصه قعصا إقعاصا إذا قتله ، مكانه ، والمراد : أننا بعد موت خيارنا لا نحرك ساكنا ولا نفيق من غفلتنا كمن ينتظر القتل في مكانه .

(٤) قطع الهمزة في كلمة " الإبتداء " إنما جاء لضرورة الوزن .

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : كتاب الإيمان باب أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين ج٢ ص١٧٥ ، ١٧٦ شرح النووي ط دار أحياء التراث العربي – بيروت سنة ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م الطبعة الأولى .

الفصل الخامس

ابتهالاته ومناجاته

الفصل الخامس

ابتهالاته ومناجاته

تشكل قصائد الابتهال والمناجاة محورًا هامًا في شعر أبي مسلم الرواحي ، بل إن أردنا الدقة قلنا : إنها تشكل محورًا هامًا في حياته وشعره على حد سواء ، فالرجل قد اتخذ من هذه القصائد مسلكًا عمليًا لحياته الروحية ، وجعل منها وسيلة يتقرب بها إلى ربه شأن أي عمل صالح يأخذ الإنسان به نفسه ويلزمها إياه ، فقد اتخذ أبو مسلم من قصائده الابتهالية أورادًا يقسمها بين اليوم والليلة ، ويحرص على أدائها حتى غدت عبادة قارة لديه ، ورياضة روحية يصفى بها نفسه من أدران المادة وعلائق الحياة الدنيا كلما أصابه شيء من غبارها .

وتأثر أبو مسلم في ذلك بشيخه سعيد بن خلفان الخليلي ، فقد اتخذ من ابتهالاته الشعرية أذكارًا وأورادًا يتقرب بها إلى ربه ، وبخاصة قصيدته : (سموط الثنا) التي طالما رددها أبو مسلم في أذكاره ، ثم قام بتخميسها ، وسمى تخميسه لها (درك المنى في تخميس سموط الثنا) ، مؤكدًا أن تعلقه بها كان ذا أثر مبارك في حياته[١] .

ويذكر بعض الكُتّاب أن أبا مسلم كان يهيئ نفسه لقصائده الابتهالية ، بل أوراده وأذكاره الشعرية بالطهارة والوضوء ، والتبتل والخشوع ، والصلاة في جوف الليل ، فتنساب تلك الأبيات على لسانه دعاء يناجي به ربه في تلك اللحظات الروحية الرفيعة ، تجيش بها عاطفته ، ويهيم بها وجدانه ، ويمتلئ

---

(١) انظر : ديوانه ص١٥٣ ، ١٥٤ – تحقيق على النجدي ناصف .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص٥٤ ، ٥٥ .

بها قلبه ، وتخفق بها جوانحه[١] .

إذن فقصيدة الابتهال عند أبي مسلم ليست مجرد فن شعري يشبع به جانبًا من غريزته الأدبية إنما هي ترجمة صادقة لمشاعره وحاجاته النفسية ، يطلب من الله أن يستجيب له ، وألا يرده خائبًا ، وهو على أمل كبير في قبولها ، لأن الله تعالى أكرم من أن يرد من وقف ببابه خاشعًا متضرعًا ، وفي ذلك يقول أبو مسلم – في ختام ابتهاليته الثانية (هو الله)[٢] – :

الهي هذا موقف الخوف والرجا ∴ وهذا مقام العائذ المتثبت

الهي ما أوقفتني موقف الدعا ∴ لطرد وابلاس ويأس وخيبة[٣]

الهي لا يشقى دعاتك بالدعا ∴ ولا باء بالحرمان إخبات مخبت

الهي بشيري بالاجابة دعوة ∴ أرتلها واللّه حاضر حضرتي

الهي أبواب الدعاء لمن دعا ∴ مفتحة فاسمع دعائي وصرختي

وإني لراج منك أن أدرك المنى ∴ بصدق الرجا مني والحاح دعوتي

وإني لراج إذ جعلتك مقصدي ∴ بأن تدفع الآفات عن بشريتي

محاور قصيدة الابتهال في شعره :

تقوم قصائد الابتهال والمناجاة عند أبي مسلم – في جملتها – على عدة محاور رئيسة ، هي :

---

(١) انظر : قصائد السلوك في شعر أبي مسلم – لأحمد بن سليمان الكندي (مقال بمجلة المنتدى الأدبي – عدد يونيو – سنة ١٩٩١م) ص٢٠٢ – ط/ وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط .. وأبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص٥٢

(٢) ديوانه ص١٢٥ – تحقيق عبد الرحمن الخزندار .

(٣) الإبلاس : القنوط وقطع الرجا من رحمة الله .

أ – تقديس الذات الإلهية .

ب – التوبة وطلب الغفران والصفح .

جـ – طلب النصرة على الأعداء والطغاة المستبدين .

د – طلب الغنى والسعة .

المحور الأول

تقديس الذات الإلهية

شغلت قضية (تقديس الذات الإلهية) حيزًا كبيرًا في فكر أبي مسلم وشعره الابتهالي ، وفي ذلك دلالة على شدة خشوعه لله ، وصدق توكله عليه ، ودقة تفكيره في بدائع صنعه ، يقول د/ على النجدي ناصف : " كان أبو مسلم في شعره الديني شديد الخشوع لله ، مذعنًا لعظمته وجلال سلطانه ، مأخوذًا بحكمته وحسن تدبيره وبديع صنعه في خلقه ، صادق الرجاء في رحمته له ولطفه به "[١] .

وكان أبو مسلم يتخذ من هذا التنزيه والتقديس للذات العلية منطلقًا لجميع دعواته وتوسلاته ، وكأني به يستحضر معنى الحديث القدسي الذي يقول فيه رب العزة جل شأنه : « ﴿ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ﴾ »[٢] ، ومن ثمة أكثر أبو مسلم من التوسل بأسماء الله الحسنى ، وأفرد لها مطولة تائية

---

(١) انظر : مقدمة ديوانه – لعلي النجدي ناصف ص١٢ .

(٢) الحديث ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١١ ص١٤٧ – شرح الحديث رقم ٦٣٤٦ – ط/ دار الفكر .. وأخرجه الترمذي في سننه – كتاب فضائل القرآن – باب رقم (٢٥) – حديث رقم (٢٩٢٦) جـ٥ ص١٨٤ – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ ، ولفظه : « ﴿ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ﴾ » .

يقف فيها أمام كل اسم من أسمائه تعالى متأملاً متوسلاً ، راجيًا أن يفتح الله له بعض أسرارها ، يقول :

بأسمائك الحسنى تقربت سيدي ∴ إليك مجداً في هتافي وقربتي

جعلت سمير الطبع ترتيل ذكرها ∴ لوجهك ربي جلوة بعد خلوة

بحقك أمطرني سحائب سرها ∴ بما خص كلاً من كمال وقوة

على أن تنزيه أبي مسلم لله تعالى وتقديسه له ارتبط في بعض المواقف بعقيدته المذهبية ، فقد أفرد قصيدة كاملة لنفي رؤية الله تعالى نفيًا مطلقًا ، سماها (طمس الأبصار عن إدراك رؤية ذات الجبار) ، عبّر فيها عن وجهة نظر الإباضية في رؤية الله تعالى[١] ، يقول في مطلعها[٢] :

نَزِّه إلهك أن يُرى كي تعرفه ∴ أتُراكَ تعرفه وتُثبتُ ذي الصفه

واعرف مقامك دون ما حاولتَهُ ∴ إن التي حاولتَها لك متلفه

يستلزم الادراك ويلك مُدركاً ∴ متحيزاً ذا صورةٍ متكيفه

---

(١) يذهب الإباضية إلى القول باستحالة رؤية الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة ، للمؤمنين أو لغيرهم ، مخالفين بذلك أهل السنة القائلين بوقوعها في الآخرة للمؤمنين ، وأكثر علماء أهل السنة على أنها وقعت لنبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا ليلة الإسراء والمعراج .. انظر في رأي الإباضية : بهجة الأنوار : شرح أنوار العقول في التوحيد – للعلامة نور الدين السالمي ص٨٢ – ط/ مطابع النهضة – سلطنة عمان – سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م – الطبعة الثالثة .. والإباضية بين الفرق الإسلامية – لعلي يحيى معمر جـ٢ ص١١٧ – ط/ المطابع العالمية – سلطنة عمان – سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م – الطبعة الثالثة .. وراجع في رأي أهل السنة : المواقف في علم الكلام – للعلامة عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ص٢٩٩ وما بعدها – ط/ عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ .. وشرح جوهرة التوحيد – للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري ص١١٦ وما بعدها – ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٢) ديوانه ص٢٦٨ – تحقيق الخزندار .

فالتركيب الذي استهل به الشاعر مطلعه : " نزه إلهك أن يرى " يحمل دلالة مكثفة لمضمون القصيدة ، ويضع المتلقي من الوهلة الأولى باتجاه الرأي الذي يعتقده الشاعر .

وقد بادر الشاعر باستخدام الفعل المضعف (نزه) وأسنده إلى ضمير المخاطب ، ومع أن صيغة الخطاب هنا تحتمل العموم ، فإنها – في الواقع – موجهة إلى من لا يرى رأي الشاعر في وجوب نفي رؤية الله تعالى نفيًا قاطعًا .

وفي الشطر الثاني : " أتراك تعرفه وتثبت ذي الصفة " يتحول الشاعر من أسلوب الأمر إلى منطلق الحوار ، فيستخدم أسلوب الاستفهام ، غير أنه لا يستفهم استفهامًا حقيقيًا ، إنما هو استفهام إنكاري مبني على ما تقرر في الشطر الأول من أن معرفة الله وتنزيهه يحصلان بنفي رؤيته ، فكيف تتم معرفته لمن يثبت رؤيته ؟

في هذا البيت مغالطة تركيبية ، فقد أقام الشاعر استفهامه الإنكاري على مقدمة قد لا يوافقه عليه المتلقي ، فربما كان من رأي هذا المتلقي أن تنزيه الله ومعرفته يحصلان بإثبات رؤيته لا بنفيها[١] .

وقد ينحو أبو مسلم في معرض تقديسه وتنزيهه لله تعالى منحى كلاميًا أو فلسفيًا ، وبخاصة عندما يحاول إثبات أمر عقدي يتصل بذاته تعالى أو بصفاته ، يقول في قصيدته التائية (هو الله)[٢] :

تقدست يا قدوس عن جنس علة ∴ وعن حد معلول ورسم طبيعة

لوجهك يا قدوس كل قداسة ∴ بلا شرط تقييد ولا حصر نسبة

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٨٥ .
(٢) ديوانه ص٦٥ – تحقيق الخزندار .

تنزهت عما شكل الوهم مطلقاً ∴ وعن حيطة التعقيل والنظرية
تقدست عن مثل وضد وشركة ∴ وفصل ووصل واتحاد وخلطة

ويقول في قصيدته (برهان الاستقامة)[١] :

سبحان ربي تقديساً لعزته ∴ في علمه النفي والاثبات منحصر
بالذات للذات معلوماته انكشف ∴ ما ثم واسطة في الذات تعتبر
وكونه النفي والاثبات حكمته ∴ يقضي بادراكه المنفي لو نظروا
أأوجبت علمه آثار قدرته ∴ فيلزم الجهل لو لم يظهر الأثر
لو كان ذاك لمست ذاته علل ∴ إذ الصفات إلى الأحداث تفتقر
أو يلزم الدور فيها أو مرادفه ∴ أو ليس يعلم إلا حين يقتدر

ويمكن القول : إن أبا مسلم في شعره العقدي كثيرًا ما يتجاوز حدود الحقل الشعري ، ويخوض في غمار المنظومات متأثرًا بما شاع في التراث العماني من سيطرة هذه المنظومات على حلقات العلم والدرس وحركة التأليف ، حتى كادت تشكل لغة العلم الديني الذي كان يحتل بدوره مكانة العلم الأساسي ، ويكاد – أحيانًا – يكون هو العلم وحده[٢] .

المحور الثاني

التوبة وطلب الغفران والصفح

كان أبو مسلم يرى أن هدفه الأسمى – وهو مرضاة الله تعالى – لا يتحقق إلا بتطهير النفس وتخليصها من علائق الدنيا ، وأن ما يسعى إليه من طلب

---

(١) المصدر السابق ص٣٩ .
(٢) انظر في غلبة المنظومات على التراث العماني وعلى لغة العلم بعمان : تبلور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص٢٠٠ .

النصرة والتمكين للأمة الإسلامية لا يتحقق إلا بإصلاح النفوس أولاً ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[١] ، والإنسان لا يستطيع أن يجاهد عدوًا وعدوه الذي بين جنبيه متحكم فيه أو مسيطر عليه ، ومن ثمة حاول أبو مسلم قهر نفسه وكبت شهواته ، وألح في طلب العفو والصفح معلنًا عن توبته وندمه ، يقول[٢] :

الهي من حاجات نفي توبة ∴ عليَّ وغفران وعفو لزلتي
الهي إن كانت ندامة من عصى ∴ متاباً فإني نادم من خطيئتي
ندامة مضطر ندامة متق ∴ ندامة مغرور بدنيا دنية
ندامة عبد فارق الكون كله ∴ إليك ولم يعبأ بكثر وقلة
ندامة عبد أحرق الخوف قلبه ∴ بنفس لإحسان الرجاء مسوقة

ويؤكد أبو مسلم في معرض توبته على عبوديته وخشوعه لله ، ويلح على ذلك كثيرًا ، يقول في مستهل ابتهاليته (الكلم الطيب)[٣] :

غفرانك اللهم يا رباه ∴ يا سامعاً دعاء من دعاه
عبدك قد باء بما جناه ∴ فاغفر له ما كسبت يداه
بحقّ لا إله إلا اللّه
عبدك للذنب العظيم مقترف ∴ عبدك للوزر الثقيل محترف
عبدك عبد السوء رب معترف ∴ حقق له التوبة عن هواه

---

(١) سورة الرعد – جزء من الآية (١١) .
(٢) ديوانه ص١٢٦ – تحقيق الخزندار .
(٣) المصدر السابق ص١٩٢ .

بحـــــقّ لا إلـــــه إلا اللّـــــه

إنه يريد إبراز ضعفه أمام عظمة ربه ، وفي إضافة عبوديته لله إظهار لمدى خشوعه وخضوعه واستسلامه في مخاطبة الحضرة الإلهية .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أمرين يتصلان بإلحاح أبي مسلم على التوبة وطلب المغفرة ، وهما :

أ – إلحاح أبي مسلم على ذلك لا يعني بالمرة أن الرجل كان كثير الاقتراف للذنوب ، ومن ثمة معاودة التوبة المرة تلو الأخرى ، فالرجل معروف بتدينه وحسن سيرته ، إنما كان يتخذ من ذلك ضربًا من الرياضة الروحية التي يحرص عليها المتصوفة ، وهذا رسولنا *صلى الله عليه وسلم* يقول : « **وَاللَّهِ إِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِى الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً** »[١] ، وما كان ذلك من ذهب يقترفه *صلى الله عليه وسلم* إنما هو مقام من مقامات إظهار العبودية لله تعالى ، وهو عين ما كان يحرص عليه أبو مسلم .

ب – أن توبة أبي مسلم غالبًا ما تمتزج بالرجاء والأمل في رحمة الله وعفوه ، وتحمل ذلك في طياتها ، على شاكلة قوله[٢] :

أقل عثرتيا غافر الذنب إن لي ∴ يقينا بغفران وجود ورحمة

إذا انتباك المستغفرون بحجة ∴ فجودك ربي حجتي ووسيلتي

وقوله[٣] :

ولو أن وزن الكون ذنبي لم يكن ∴ إلى جنب حلم اللّه في وزن ذرة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة *رضي الله عنه* – كتاب الدعوات – باب استغفار النبي *صلى الله عليه وسلم* في اليوم والليلة – حديث رقم (٦٣٠٧) .

(٢) ديوانه ص٢١٧ – تحقيق الخزندار .

(٣) المصدر السابق ص٧٩ .

وإنه ليطمع في أن يبدل الله سيئاته حسنات ، فيقول[١] :

أتيت ذنوباً يا غفور فكن لها ∴ وقد تبت منها يا حليم مبدلا

محيلاً بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢]

المحور الثالث

طلب النصرة على الأعداء والانتقام منهم

لم يغفل أبو مسلم حتى في لحظات صفائه وخلوته وانقطاعه لربه عن مصير أمته وواقعها الأليم ، فقد اغتنم أوقات هذا التجلي الروحي والسمو الابتهالي ليضرع إلى الله تعالى أن ينصر دينه ، ويمكن لأهل الصلاح والاستقامة ، ويدحض أعداء دين الله من الكافرين والطغاة المستبدين ، ويرد كيدهم في نحورهم .

وخطاب أبي مسلم الديني لا يكشف هوية هؤلاء الأعداء بشكل سافر ، ولا يذكر أسماء أو وقائع محددة ، فلم تكن الظروف التي عاشها في ظل سلاطين زنجبار تحت الحماية البريطانية مواتية لذلك ، لكن مرمى شعره واضح جلي ، فأعداؤه هم أعداء دين الله وشريعته ، وهم ينقسمون – في الجملة – إلى فريقين، هما :

الفريق الأول : المستعمرون الغاصبون ، الذين كانوا يحتلون بعض مناطق عمان وغيرها من أقطار الأمة العربية الإسلامية ، ويفرضون حمايتهم

---

(١) المصدر السابق ص١٥١ .

(٢) سورة الفرقان – الآية (٧٠) .

على الحكم العماني بزنجبار حيث يعيش الشاعر .

ويرى أبو مسلم أن هؤلاء المحتالين المغتصبين قد عاثوا في الأرض فسادًا ، وطغوا وتجبروا ، فيرفع يديه بالشكوى إلى الله ، ويدعوه أن ينتقم منهم ، فهو القادر على ذلك حيث عجز عباده ، يقول[١] :

إلى اللّه أشكو وهو منتقم يداً ∴ عتت وبغت واستعبدت خير أمة

إلى اللّه أشكو فعلها في عياله ∴ وغيرته للحق أعظم غيرة

الهي جهد العبد أن يرفع الدعا ∴ بتوفيقك اللهم عند البلية

وقد حل بالإسلام ما لست راضياً ∴ من الفئة الباغين فوق البسيطة

وكلمتك العليا وأنت بأخذهم ∴ قدير وفي الإملاء أعظم أخذة[٢]

فعاجلهم بالأخذ واقصم ظهورهم ∴ فقد أصبح الاسلام منهم بذلة

أبدهم شديد الإنتقام[٣] وردهم ∴ مرداً وبيلاً بين خزي ولعنة

فقوله : " إلهي جهد العبد أن يرفع الدعا " يعبر عن واقع الأمة آنذاك ، حيث عجزت عن دفع عدوها واستسلمت له ، وربما أظلمت بعض اللحظات في عيني أبي مسلم فلم ير أملاً إلا في الله وقدرته .

غير أن ذلك لا يعدو كونها لحظة طارئة تملكه فيها اليأس من القدرة على المواجهة ، فشخصية أبي مسلم لم تكن هروبية أو انهزامية ، إنما كانت شخصية نضالية صلبة ، فقد أرسل الرجل صيحاته وصرخاته عالية مدوية في

---

(١) ديوانه ص١٠٤ – تحقيق الخزندار .

(٢) يشير بقوله : " في الإملاء أعظم أخذة " إلى قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ سورة القلم – جزء من الآية (٤٤) وآية (٤٥) .

(٣) همزة (الانتقام) همزة وصل ، ولكن الشاعر قطعها هنا لضرورة الوزن .

وجه الدخيل المستعمر وأذنابه في الطغاة المستبدين ، وكان لشعره وقع الصدى في نفوس العمانيين ، بل إن هذا الصدى تجاوز حدود الأفق العماني إلى منطقة الخليج كلها .

ولا يكف أبو مسلم عن دعائه على هؤلاء الأعداء ، إنه يكاد يتميز غيظًا من تطاولهم واستعلائهم ، فيدعو الله أن يقطع دابرهم ، ويستأصل شأفة أولهم وآخرهم ، وألا يبقى منهم على الأرض ديارًا ، يقول في تخميسه لقصيدة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي[١] :

الهي عدو اللّه يشفي غليله
سبيلك يدنيها ويعلي سبيله
يغالب أمر اللّه حتى يحيله

فيا غارة اللّه اغضبي وخيوله ∴ اركبي ومواضيه انعمي بورود
ودائرة السوء استمري بدورة
عليه ومقت اللّه خذه بسورة
ويا بطشة اللّه اسحقيه بثورة

ومني على الأعداء منك بزورة ∴ تريحهم من كل كفرهم بلحود
ومزقهم اللهم كل ممزق
بأهلك غلبا فيلقاً بعد فيلق
ونكل بهم وأمحقهم بالتفرق

ويا رب مزق كل سور وخندق ∴ عليهم وحصن شامخ ووصيد

---

(١) ديوانه ص١٦٦ – تحقيق الخزندار .

الفريق الثاني : الطغاة المستبدون الذين يعطلون حدود الله ، ولا يطبقون شريعته وأحكامه ، ويتمادون في غيهم واستبدادهم .

وكان أبو مسلم يرى أن خطر هؤلاء الطغاة لا يقل عن خطر الغاصب المستعمر ، فما يصيب الإسلام من بعض أبنائه قد يكون أشد وأعتى مما يصيبه من أعدائه ، ومن ثمة يدعو أبو مسلم ربه أن يعجل بكل طاغية متجبر ، وأن يمكن لأهل الصلاح والاستقامة ، يقول[١] :

رب أشكو إليك طاغية فاكبته ∴ كبتاً وابهله أعظم بهل[٢]

رب نكل به وشدد عليه ∴ وطأة الانتقام في غير مهل

ويقول[٣] :

ويا قاهر اقصم دولة السوء وامحها ∴ وشرد بها واشدد عليها معجلا

ويا باعث ابعث راية الحق حولها ∴ جنودك تبلو في رضاك وتبتلى

ويا قائماً بالقسط قوم مسددا ∴ قوياً على اظهار دينك فيصلا

يصول سريعاً يا سريع بنقمة ∴ على كل ضليل عن الحق اجفلا

على أنني أؤكد أن دعاء أبي مسلم على الطغاة المستبدين إنما جاء استجابة صادقة لفطرته الدينية ، وميوله السياسية ، وانحيازه إلى جانب دولة الإمامة ودعاتها في مواجهة سلاطين مسقط ومن والاهم .

---

(١) ديوانه ص١٤١ – تحقيق الخزندار .

(٢) أبهله : ألعنه ، والبهل : اللعن ، يقال : بهله الله بهلاً أي لعنه ، وعليه بهلة الله أي لعنته .

(٣) ديوانه ص١٥٢ – تحقيق الخزندار .

المحور الرابع

طلب الغنى والسعة

كان أبو مسلم – كما عرفنا من دراسة حياته وسيرته – رجلاً جوادًا منفاقًا لا يبقي من متاع الدنيا على شيء ، ويرى أنه ليس في متاعها الزائل ما ينبغي أن يضن به ، فعرضه سخاؤه الشديد لفترات من العسر والإملاق ، مما كان يضطره أحيانًا إلى اللجوء إلى بعض أصدقائه كالشيخ سالم الريامي[١] ، لكن لجوءه الحقيقي كان إلى الله تعالى ، يطلب منه العون والغنى ، ويضرع إليه أن يدفع عنه الفاقة والإملاق ، يقول[٢] :

رب أشكو إليك فقراً وذلاً ∴ واحتياجاً لبين الفقر مثلي

رب إن تعطني فقد نضب الما ∴ ء وجف المرعى لشدة مجلي

رب أشكو إليك طرق الرزايا ∴ جلبت لي حرباً بخيل ورجل

ويقول[٣] :

ادقعني الفقر وأنت الشاهد ∴ وأنت ذو الطول الغني الواجد

بيدك الفضل ومنك الوارد ∴ وكل موجود سواك نافد

وقد وفق الشاعر هنا في تصوير شدة فقره ، حيث عبّر عن ذلك بجملة أساليب كنائية هي : نضوب الماء ، وجفاف المرعى ، وإعلان الرزايا الحرب

---

(١) هو الشيخ سالم بن أحمد الريامي أحد قضاة الجزيرة الخضراء من أعمال زنجبار ، وكان من أخص أصدقاء أبي مسلم ، وعند وفاته رثاه أبو مسلم بقصيدة أربت على ثلاثين ومائة بيت بكى فيها صحبته ، وعلمه ، وسخاءه ، وكانت وفاته سنة ١٣٣٧هـ .. انظر : ديوان أبي مسلم ص٤١٧ – تحقيق الخزندار .

(٢) ديوانه ص١٤١ – تحقيق الخزندار .

(٣) المصدر السابق ص١٨٦ .

عليه ، وإدقاع الفقر إياه ، وقوله : " جلبت لي حربًا بخيل ورجل " مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[١] .

وقد دفعه إحساسه الممض بالفقر مع كرمه وشدة حيائه إلى التضرع إلى الله أن يهبه مالاً وفيرًا غير ناقد يكفيه ذل السؤال مادام حيًا ، يقول[٢] :

بطولك ملكني غنى غير نافد ∴ وهب لي ملكاً مدة العمر كافيا

وصن بالغنى يا مالك الملك والرضا ∴ صحيفة وجهي عن ذليل مثاليا

ولا تلق حاجاتي إلى غير قادر ∴ على النزع والايتاء ما دمت باقيا

ويبدو أن ما عاشه أبو مسلم من فاقة في بعض مراحل حياته ، وبخاصة تلك السنوات الخمس التي قضاها بعمان بعد عودته من زنجبار[٣] ، وتعرض فيها لشيء من مضايقة بعض سفهاء قومه له ، وازدرائهم إياه بسبب فقره ، وتعييرهم له بذلك – قد ترك جرحًا غائرًا في نفسه ، مما كان له أثره الواضح في إلحاحه الشديد والمتكرر على طلب الغنى والسعة في ابتهالياته ، ولا غرابة في ذلك ، فالفقر – كما يقول الجواهري[٤] – داء قتال تنسحب أوجاعه على

---

(١) سورة الإسراء – جزء من الآية (٦٤) .

(٢) ديوانه ص١٤٥ – تحقيق الخزندار .

(٣) كان ذلك بين سنتي ١٣٠٠هـ ، ١٣٠٥هـ ، في نهاية العقد الثالث وبداية العقد الرابع من حياته ، ويبدو أن ما تعرض له أبو مسلم من أذى قومه ، وتعيير بعض سفهائهم له بفقره كان من أهم الأسباب التي أدت إلى عودته إلى زنجبار مرة أخرى .. انظر : اشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٦٨ ، ٧٧ هامش (٢٥) .

(٤) هو الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري ، أحد عمالقة الشعر العربي في عصرنا الحديث ، ويسلك في عداد أكبر شعراء المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، وكانت وفاته سنة ١٩٩٧م .. انظر : الجواهري شامخًا في حياته ومماته – لفاروق سعد أبو جابر ص٨٤ – ط/ المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) – سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م – الطبعة الأولى .

كل مراحل حياة المرء ، وقد يشكل عقدًا في النفس لا يمكن لأي زمن أو حدث أو سلطة أن تمحوها[١] .

وقفة مع ابتهالياته :

أولاً : أول ما يلفت النظر في هذه الابتهاليات هو ذلك الطول المفرط ، فقد أربت ابتهاليته التائية (هو الله) التي نظمها في أسماء الله الحسنى على خمسمائة وألف بيت[٢] ، وزادت ابتهاليته الهائية (الباقيات الصالحات) على خمسمائة بيت[٣] ، كما بلغت ابتهاليته اللامية (القاموس الأسنى في أسماء الله الحسنى) سبعين ومائتي بيت[٤] ، وهناك أكثر من مطولة ابتهالية أخرى[٥] .

وقد بنى الشاعر ابتهالياته على هذه الصورة المفرطة من الطول لتتناسب وحلقات الذكر التي يفترض فيها أن تستحوذ على وقت طويل ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك في تقديمه لمطولته التائية (هو الله) ، يقول : " إن طريقتي في تلاوة هذا الذكر هي توزيعه على أيام الأسبوع مبتدئًا بليلة الجمعة مختتمًا بمساء الخميس .. ومن قدر على تلاوته في أقل من ذلك ولو في مقام واحد فلكل درجات مما عملوا "[٦] .

وهذا الطول في ابتهالياته وإن دل على طول نفس الشاعر ومقدرته اللغوية

---

(١) ذكرياتي – للجواهري جـ٢ ص٢٠٥ – نشر دار الرافدين – دمشق – سنة ١٩٨٨م – الطبعة الأولى .
(٢) ديوانه ص٥٨–١٣٠ – تحقيق الخزندار .
(٣) المصدر السابق ص٢١٤–٢٣٧ .
(٤) المصدر السابق ص١٣١–١٤٣ .
(٥) المصدر السابق ص١٧٢–٢١٣ .
(٦) ديوانه جـ١ ص٧ – تحقيق علي النجدي ناصف – ط/ وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط مسقط – سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

فإنه قد هبط بمستوى هذه القصائد إلى إطار المنظومات ، وأدى إلى خلخلة كثير من قوافيه ، فجاء بعضها متكلفًا أو مجتلبًا ، وبعضها لا يحمل دلالة شعرية مؤثرة ، بل إن بعض ألفاظها غير شعري بالمرة ، ومن ذلك كثرة تردد المصادر الصناعية الغريبة المجتلبة ، مثل : العدمية ، الأولية ، الأخروية ، الصفتية ، الأبدية ، الزمنية ، الباطنية ، الظاهرية ، الأحدية ، المددية ، الممكنية ، الصمدية ، الجهنية ، المقسطية ، الأوسعية ، القدرية ، الفاعلية ، السابقية ، الماكية ، الأرشدية ، الكرمية ، العالمية ، البرزخية ، الصورية ، الجسدية ، الحيوية ، الأجلية ، يقول[١] :

وإمهالك الأعداء مقت يلفهم ∴ إلى نقمة موعودة مقسطية

الهي لم يعجز نكيرك عنهم ∴ وإن أمهلتهم حكمة الأجلية

ويقول[٢] :

كأن خطاياهم وسائل للرضا ∴ تعاليت هذا غاية الكرمية

ويقول[٣] :

ويا نافع انفعني بأوصافك التي ∴ تقاصر عنها مدرك الواصفية

ويا نافع انفعني بنور محمد ∴ وباركني اللهم بالتبعية

ثانيًا : ينبغي أن نفهم ابتهاليات أبي مسلم في إطار كونه شاعرًا جماهيريًا حاول أن يرضي أذواق المجتمع العماني على اختلاف طبقاته مثقفة وغير مثقفة ، فشِعْر أبي مسلم يتردد على ألسنة العمانيين سواء عشاق الشعر الجيد

---

(١) ديوانه ص ١٠٦ ، ١١٦ – تحقيق الخزندار .
(٢) المصدر السابق ص١١٣ .
(٣) المصدر السابق ص١٠٩ .

من المثقفين وأهل العلم أم عشاق أبي مسلم من الطبقات المختلفة ، يجد كل في شعره هوى خاصًا ونغمة مرضية[١] .

وقد أنشأ أبو مسلم شعره الابتهالي إشباعًا لحاجاته النفسية السلوكية من جهة ، واستجابة لرغبة شريحة اجتماعية فتنت بهذا الشعر من جهة أخرى ، وهذه الشريحة أو تلك الطائفة التي أحاطت بالشاعر وتلقفت شعره الابتهالي أخذت تردد هذا الشعر في خلواتها وأذكارها وتتخذ منه منهجًا سلوكيًا يتفق وما أراده الشاعر من جعله أذكارًا وأورادًا ووسيلة للتعبد والتقرب إلى الله تعالى .

وأغرت القراءة الشفوية والترديد الجماعي لهذا الشعر أبا مسلم بأن ينتج لهذه القلوب الظمأى والمتلهفة إلى أشعاره ماءها الذي ترتوي به[٢] ، يدفعه إلى ذلك مسلكه الصوفي ومنهجه الوعظي ، فقد رآها فرصة سانحة ينفذ من خلالها إلى ما يصبو إليه من محاولات تربوية وإصلاحية واستنهاضية .

غير أن هذه الجماهيرية قد أثرت على المستوى الفني لهذه القصائد ، حيث عمل أبو مسلم على الاقتراب من جمهوره الواسع ، وحاول أن يشبع رغباته على اختلاف أذواقه ومشاربه ، فهبط بأكثر ابتهالياته وشعره السلوكي إلى مستوى النظم ، فغلبت عليه النثرية ، والخطابية ، والتكرار الذي يتناسب وطبيعة الذكر والإنشاد الجماعي ، وقل فيه التصوير ، وكاد يفتقد عنصر الخيال .

ويبدو أن هدف أبي مسلم ومرماه كان سلوكيًا تربويًا أكثر منه فنيًا في تعاطيه لهذه الابتهاليات ، وإن كان من الأولى به وهو الشاعر الكبير أن يرتفع بأذواق محبيه ومريديه لا أن يهبط إلى مستوى أذواقهم ، مما أضفى على أكثر ابتهالياته طابع النثرية ، وجعلها أقرب إلى باب المنظومات منها إلى الشعر .

---

(١) انظر : تطور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٦٨ .
(٢) انظر : تطور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص٢٠٢ .

وهاكم بعض النماذج لتكراره الذي يتناسب والتردد الشفوي فرديًا أو جماعيًا في حلقات الذكر وخلواته ، يقول في ابتهاليته التائية (هو الله)[١] :

هو اللّه بسم اللّه تسبيح فطرتي ∴ هو اللّه إخلاصي وفي اللّه نزعتي
هو اللّه بسم اللّه ذاتي تجردت ∴ وهامت بمجلى النور عين حقيقتي
هو اللّه بسم اللّه أوقفت رؤيتي ∴ عليه وديني مخلصاً نفسي رؤيتي[٢]
هو اللّه بسم اللّه أسنى معارجي ∴ إليه نزولي في مدارك خشيتي

ويكرر هذا التركيب : " هو الله بسم الله " ستًا وستين مرة متتابعة ، مستوعبًا بذلك مطالع جميع أبيات القسم الأول من القصيدة ، ثم ينتقل إلى القسم الثاني فيستهله بقوله[٣] :

ببابك يا اللّه عبدك مخبت ∴ تعلقه باللّه من كل وجهة
تعلقت باللّه الذي لا إله لي ∴ سواه ولا ضاعت لديه عبودتي
تعلقت باللّه العليم بموقفي ∴ وما أنا فيه من ضروب البلية
تعلقت باللّه الكريم ولم تخب ∴ أمان على باب الكريم استقرت

ويكرر هذا التركيب : " تعلقت بالله " ثمانيًا وأربعين مرة متتابعة ، ثم ينتقل إلى اسم (الرحيم) فيقول[٤] :

عسى نفحات اسم الرحيم وروحه ∴ تهب على ضري بروح ورحمة

---

(١) ديوانه ص٥٨ – تحقيق الخزندار .
(٢) الرؤية الأولى في البيت هي الرؤية القلبية ، ويراد بها هنا اليقين والاعتقاد ، أما الرؤية الثانية فهي الرؤية البصرية ، وفي ذلك تأكيد لوجهة الشاعر المذهبية الإباضية التي تقول بنفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ص٣٤ .
(٣) ديوانه ص٦١ – تحقيق الخزندار .
(٤) المصدر السابق ص٦٤ .

ويكرر قوله : " عسى نفحات اسم الرحيم " إحدى عشرة مرة ، ويتكرر نحو ذلك في كثير من ابتهالياته[١] ، حتى صار التكرار اللفظي لازمة من لوازم أغلب هذه القصائد الابتهالية ، " والسبب في ذلك يعود إلى أن الشاعر إنما نظمها لتنشد في خلوة الذكر ، والإنشاد لا يكون إلا بصوت موزون فيه جرس وإيقاع يبعث النشوة في القلب ، ويساعد الذاكر على الجذب والخروج من عالم الماديات كما نرى ذلك في حلقات الذكر عند الصوفية "[٢] ، ولا شك أن التكرار الذي عمد إليه أبو مسلم يسهم في خلق هذا الإيقاع المؤثر ، غير أنه يأتي على حساب عنصر الخيال والتصوير الذي يعد من أهم عناصر الإبداع الشعري المتميز إن لم يكن أهم عناصره .

ثالثًا : ومع ما تقدم فإننا لا نعدم في ثنايا هذه الابتهاليات بعض اللمسات الإبداعية الفنية أو التصويرية التي تنم عن أن وراءها حسًّا شعريًا كان يتحيّن الفرصة للانطلاق نحو عالم الإبداع الشعري المتميز ، وهو ما تحقق في وطنياته وبعض مراثيه بعد أن نضجت شاعريته ، وتحركت البواعث لإثارتها وإظهار مكنوناتها الإبداعية على نحو ما رأينا في الفصلين السابقين .

ومن اللمسات التصويرية التي ظهرت في ثنايا ابتهالياته قوله[٣] :

فيا لرجال الحب والكأس مفعم ∴ هلم اشربوا هذا المغنى ترنما

عصرت لكم من خمرة اللّه صفوها ∴ فموتوا بها سكراً فما السكر مأثما

لقد هام أهل الاستقامة قبلنا ∴ بها فانتشوا بين الخليقة هيما

---

(١) انظر : المصدر السابق ص٦٥ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ .

(٢) أبو مسلم الرواحي : حسان عمان – لمحمد بن صالح ناصر ص١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) ديوانه ص٢٧٤ – تحقيق الحزندار .

مـلأت لكـم دَني شـراباً مروقـاً ∴ وحركـت أوتـاري فأنطقـت أعجمـا
وغنيت في شرب هـم الرسل كلهـم ∴ تقـدم إلى بـاب المليـك مقـدما[١]

فـي هذه الأبيـات يستوحي أبـو مسلم التجربـة الصـوفية بأبعادهـا الدلاليـة والرمزية ، فاللغة الصوفية لغة مرموزة من شأنها أن تؤلب ، وأن تحمل دلالات مكثفـة ، فألفـاظ الحـب ، والغنـاء ، والخمـرة ، والكـأس ، والشـراب ، والسـكر – تحمل عند المتصوفة أخيلة وأبعاد دلالية ورمزية متعددة ، وهذا ما يبدو واضحًا فـي هذه الأبيـات التـي غلـب عليهـا الجانـب الرمـزي والتصـويري ، فـأبو مسـلم ينـادي رجـال الحـب ، وحبـه ليس ذلك الحـب البشري العذري أو غير العذري ، إنمـا هـو ذلـك الحـب الـذي نجـده فـي أشـعار كبـار المتصـوفة مـن أمثـال ابـن الفارض ورابعـة العدويـة وغيرهمـا ، والكـأس مفعم ، لكنـه مفعم بنـوع خـاص من الخمـرة هـي خمـرة الله ، وقـد هـام بهـذه الخمـرة أنـاس مخصوصـون هـم رجـال الاستقامة ، وأبو مسلم يدعو هؤلاء الرجال ليشربوا من دنه وغنائه .

والأبيـات – كمـا نـرى – مفعمـة بالصـور المكثفـة التـي تتمثـل فـي دعـوة أصحابه رجال الحب إلى شرب الغناء ، وملء دنه شرابًا ، وتحريك أوتاره التي أنطقت الأعجم الذي لا يبين ، وغنائه في شرب هم الرسل كلهم ، وكلها تحمل إشارات ودلالات رمزية صوفية مكثفة .

غير أن أبا مسلم أراد أن يحدث لونًا من المصالحة بينه وبين المتلقي عندما

---

(١) هذا الشطر مأخوذ على سبيل التضمين والإحالة إلى قصيدة (ثمرات المعارف) – للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ، ومطلعها :
تقـــدم إلى بـــاب الكـــريم مقـــدماً ∴ لـــه منـــك نفســـاً قبـــل أن تتقـــدما
وقد قام أبو مسلم بتخميسها .. ديوانه ص٤٤ – تحقيق الخزندار .

أبان عن نوع خمرته بإضافتها إلى لفظ الجلالة ، وعن ندمائه شاربي هذه الخمرة وهم أهل الاستقامة ، وعن حكم السكر بأنه ليس بمأثم ، لأنه كان يقدر أنه قد يصطدم بمخاطبة الإباضي إذا ما تجاوز هذا المستوى الرمزي إلى شطحات بعض شعراء الصوفية وتهويماتهم وإغراقهم في لغتهم وعوالمهم الخاصة .

وقوله[١] :

مددت يدي والفقر حشو أهابها ∴ إلى يد ذي المن العظيم العطية

وأوفدت آمالي صوارخ خشعاً ∴ إلى بابه وهو البصير بوفدتي

فكنى بقوله : " والفقر حشو إهابها " عن شدة فاقته وإملاقه ، ثم أوفد آماله على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة بقوله : " صوارخ " ، ولا يخفى ما في هذه الكلمة من دلالة على شدة الفاقة والعوز ، وفي إسناد الصراخ إلى الآمال تشخيص يضفي على المعنى قوة وحيوية ، ولا شك أن وقوع هذه الكلمة موقع الحال قد زاد من قوة دلالتها على ما آل إليه حال الشاعر .

وتأتي المفارقة في قوله : " خشعًا " فتكسر حاجز التوقعات ، وتعود بالشاعر إلى ما يجب أن يكون في مخاطبة الحضرة الإلهية ، فصراخه ليس صراخ الشاكي أو المتبرم أو الساخط ، إنما هو صراخ الخاشع الذليل الواقف بباب ربه لا يبغي أكثر من التعبير عما آل إليه حاله بصورة تتناسب وقسوة واقعه ، وهو في النهاية راض مستسلم لأنه واثق في كرم ربه وهو ما يعبر عنه بقوله[٢] :

وما أنا في شكواي ما لا أطيقه ∴ غضوب على الأقدار أو لست راضيا

---

(١) ديوانه ص ١٢٦ – تحقيق الخزندار .

(٢) المصدر السابق ص١٤٦ .

رضيت بما تقضي وآمنت أنه ∴ قضاؤك عدل أي ما كنت قاضبا
ولكن قصارى العبد شكوى يبثها ∴ إليك ودمع يستهل الماقيا

الفصل السادس

أثر الاتجاه الديني
في تشكيل أغراضه الشعرية الأخرى

الفصل السادس

أثر الاتجاه الديني
في تشكيل أغراضه الشعرية الأخرى

يتميز أبو مسلم باتزان شخصيته وثبات موقفه ، وقد انعكس ذلك على شعره فجاءت أغراضه متسقة مع سيرة حياته التي شب فيها الإسلام وشاب عليه ، لم تزحزحه الأيام أو تثنيه الخطوب عن مواقفه العقدية ورؤاه الفكرية والدينية .

ومن ثمة بدا أثر النزعة الدينية واضحًا في سائر أغراضه الشعرية ، وأدى دوراً كبيراً في تشكيلها سواء على المستوى الموضوعي أم على مستوى التقنيات الأسلوبية .

وقد وقفنا – فيما سبق – على أثر هذا التيار وعمقه في خطابه الوطني ، وفي مرثياته ، وفي ابتهالياته ، وهاكم أثر هذا الخطاب في تشكيل أغراضه الأخرى .

أ – المواعظ والحكم :

لم ييأس أبو مسلم لحظة أنه رجل دين وفقه ، فكثيراً ما تقمص شخصية الداعية أو الواعظ سواء في شعره أم في رسائله[١] ، وقد ساعد على بروز الاتجاه الوعظي في شعره أمران :

أحدهما : ثقافته الدينية .

---

(١) انظر – على سبيل المثال – رسالته المطولة إلى الإمام ناصر بن راشد الخروصي ، الملحقة بكتاب : أبو مسلم الرواحي حسان عمان لمحمد بن صالح ناصر ص١٩٨–٢٠٧.

الآخر: الواقع الذي عاشه أبو مسلم في شرق أفريقيا ، حيث وجد قطاعًا كبيراً من الشعب الأفريقي يعتنق ديانات متعددة معظمها وثنى ، ومع اتساع النفوذ الاستعماري هناك عملت القوى الاستعمارية على زعزعة القيم الإسلامية في نفوس أبناء الجاليات العربية بشرق أفريقيا .

وقد مارس المحيطان : الغربي والأفريقي تأثيراً كبيراً على المجتمع العربي في شرق أفريقيا ، وازدات حدة هذا التأثير عندما تضاءل النفوذ العربي هناك ، فتسللت بعض الأفكار والقيم التي لا تتناسب ومبادئ الدين الحنيف إلى نفوس كثير من أبناء الجالية العربية في هذه المنطقة[١] .

ولم يكن الأمر قصراً على المجتمع العربي بشرق أفريقيا ، فقد رأى أبو مسلم بعض القيم تتهاوى في وطنه الأم ، حيث دبت روح التخاذل والاستسلام والركون إلى الدنيا والتفريط في شرع الله في نفوس بعض العمانيين .

وكان على أبى مسلم _ وهو العالم الفقيه _ أن يتحول من دور المراقب إلى دور النذير الذي يحذر قومه من مغبة الابتعاد عن دينهم ، فأفرد لهذا الجانب الوعظي بعض قصائده ، وحمل مرثياته الكثير من المواعظ وبخاصة فيما يتصل بالتحذير من الركون إلى الحياة الدنيا ، إضافة إلى ما نجده منثوراً في ثنايا هذه القصيدة أو تلك ، مما يؤكد عمق النبرة الإصلاحية في شعره .

وقد تلونت أكثر مواعظه بطابع حكمي ، وذلك لنزعته التأملية ، وعمق تجاربه وخبراته ، فقد عاش الرجل حياة مليئة بالصراعات السياسية والاجتماعية ، وكان لقربه من دهاليز السياسة ، وعمله الصحفي ، وتدرجه في منصب القضاء إلى أن صار رئيسًا لقضاة زنجبار – أثر كبير في صقل خبراته

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائداً لمحمد بن ناصر المحروقي ص٦٥ .

وتجاربه .

يقول في إحدى قصائده الوعظية المفعمة بالحكمة[١] :

لا تكثرت بالليالي إنها دول ∴ لا يستمر لها حزن ولا جزل
كأن حلة حرباء تلونها ∴ لا تظهر الشكل إلا ريث تنتقل
ولا تضق بالقضايا في تقلبها ∴ في طي كل شديد خيرة جلل
إذا اعتبرت صروف الدهر مرسلة ∴ أيقنت أن القضايا كلها نقل
وإن تفكرت في خطب لتنسفه ∴ بصولة الرأي غرت فكرك الحيل
ما فكرة المرء فيما ليس يملكه ∴ من أمر مولاه إلا فكرة خطل

***

لا تحترس بذكاء عند مقدرة ∴ قد يهشم الأنف أمر تتقي المقل[٢]
تيقظ الحزم والأقدار جارية ∴ هم برد قضاء ماله قبل
صك الخطوب بخطب اسمه جلد ∴ والق الأمور بحلم شخصه جبل
وصانع الناس لا نكسا ولا ملقا ∴ بما يسرك من تلقائه الرجل
والبس لدهرك إن لم تزك سيرته ∴ من التجمل ما تزكو به الخلل

وقد تأثر أبو مسلم في مطلع هذه القصيدة بمطلع نونية أبي البقاء الرندي[٣] :

لكل شيء إذا ما تم نقصان ∴ فلا يغر بطيب العيش إنسان

---

(١) ديوانه ص٣٦٧ ، ٣٦٨ .
(٢) مقدرة (وزان مرسلة بالبناء المفعول) : الأمر المقدر .
(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري ج٢ ص١٢٤٦ ، المطبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٢٧٩ هـ .

هـي الأمـور كمـا شاهدتهـا دول ∴ مـن سـره زمـن سـاءته أزمـان
وهـذه الـدار لا تبقـى علـى أحـد ∴ ولا يـدوم علـى حـال لهـا شـان

ومع ما لأبي البقاء من فضل السبق فإن تناول أبي مسلم لصروف الدهر وتقلباته كان أكثر تأملاً وعمقًا من أبي البقاء ، ولا يخفف من حدة الموازنة بينما في ذلك سوى فهم الظروف التي أنشئت فيها كل من القصيدتين ، فأبو البقاء يبكي أمة ضاعت ومزق كيانها ، فلم يكن ثمة هدوء ولا استقرار يمنحه فرصة للمزيد من التأمل ، فعجلة الصليبين تصرع وتطحن كل شيء حتى الأفكار ، أما أبو مسلم فكان في فسحة من أمره ، وكان على أمل في أن يتدارك العمانيون أمرهم ، على حد قوله[١] :

جـدوا فـديتكم في نصـر دينكـم ∴ فـاليوم فيكم لنصر الـدين إمكـان

ويذهب بعض الكتاب إلى أن عمق الجانب الحكمي والتأملي في وعظيات أبي مسلم يرجع إلى تأثره بأدباء الشراة الذين عرفوا بتأملهم الدائم في حقيقة الموت والحياة ، وقد عرف أدبهم بهذا الاتجاه حتى غدا سمة من سماته وموضوعًا من موضوعاته[٢] .

على أنني أرى أن الأمر يتجاوز إطار التأثر المذهبي ، وأؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن " مزج الحكمة بالزهد أو الوعظ من إفرازات التعاليم الإسلامية بصفة عامة دون أن ينفرد بذلك مذهب دون مذهب "[٣] .

---

(١) ديوانه ص٣١١ .
(٢) انظر : أبو مسلم الرواحي حسان عمان لمحمد بن صالح ناصر ص١٤٧ .
(٣) الشعر العماني الحديث أبو مسلم البهلاني رائداً لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٦٦ .

فبروز الطابع الحكمي التأملي في وعظيات أبي مسلم وغيرها من أغراض شعره يرجع إلى سعة أفق الرجل ، وكثرة خبراته وتجاربه ، وعراكه مع الدهر ، إضافة إلى نزعته التأملية ، وكثرة خلواته ، سواء تلك التي أخذ بها نفسه حين أكب على الدرس والتحصيل قبل توليه شئون القضاء وانخراطه في سلك الحياة العامة بزنجبار أم تلك الأوقات التي كان يعمل على اقتناصها ليخلو إلى نفسه عابداً متبتلاً أو حكيمًا متأملاً .

وتدور مواعظ أبي مسلم وحكمه – في جملتها – حلول التحذير من الركون إلى جانب الحياة الدنيا والانخداع بزخارفها ، والحث على التسليم المطلق لله ، وتفويض الأمور كلها له ، والتماسك في مجالدة الدهر ومجابهة الخطوب والمحن ، مع الدعوة هنا أو هناك إلى بعض القيم النبيلة والمبادئ السامية .

ويستحوذ الحديث عن الدنيا والتحذير من فتنها وزخارفها على الجانب الأكبر من مواعظه وحكمه ، فقد بدا ذلك واضحًا سواء في قصائده الوعظية أم في مقدمات مراثيه ، يقول في مطلع مرثيته للشيخ راشد بن سليم الغيثي[١] :

خذوا بجميل الصبر وارضوا وسلموا ∴ فإن فناء العالمين محتم

رضاء بقضاء الله إن حياتنا ∴ على السخط منا والرضا تتصرم

وإن حياة تقتضيها منية ∴ ركون إليها غفلة وتوهم

ألهوًا ومخبوء المنايا حبائل ∴ وأرواحنا فيها وقوع وحوم

أخو الحزم من لا يستقر إلى الهوى ∴ ومن نصب العقبى لعينيه أحزم

---

(١) ديوانه ص٤٢٣ .

ويقول في قصيدة وعظية أخلصها للحديث عن الدنيا[١] :

ماذا تريد من الدنيا تعانيها ∴ أما ترى كيف تفنيها عواديها
غدارة ما وفت عهدًا وإن وعدت ∴ خانت وإن سالمت فالحرب توريها
ما خالصتك وإن لانت ملامسها ∴ ولا اطمأن إلى صدق مصافيها
ما سالمت من نأى عنها وحاربها ∴ ولا تسالم قطعا من يداجيها
لا ترحم الطفل تردى عنه والده ∴ ولا الثكالى ولو سالت مآقيها
لم تهدأ الدور من نوح وصارخة ∴ ولا المقابر من مستودع فيها
أين الذين عهدنا أين مكثهم ∴ أين القرون لمن تبقى معانيها ؟
أين الحميم الذي كنا نخالطه ∴ أين الأحبة نبكيها ونرثيها ؟
أين الملوك ومن كانت تطوف به ∴ أو من ينازعها أو من يداريها ؟
أين الأباعد أين الجار ما فعلت ∴ بهم بنات الليالي في تقاضيها ؟

ثم يتجه إلى مخاطبه فيحذره ومن مغبة الحرص على الدنيا والشح بها ، ويخصه على أن يسلك سبيل النجاة ، ويبينه له ، يقول :

كم تخزن المال لا تعطي حقائقه ∴ تلك المخازن ملأى من مكاويها
ماذا تريد بجمر عشت تركمه ∴ جحيمه باشتداد الحرص تذكيها
هلا نجوت سليمًا من معاطبها ∴ فالنفس ميسور هذا العيش يكفيها
قرص وطمر وشكر فهي مملكة ∴ عظيمة ملك كسرى لا يوازيها
هي السلامة لا كي الجباه بما ∴ كنزت لا تتوخى فيه تنزيها

---

(١) ديوانه ص٣٧٤ .

وفى هذه المواعظ أو الزهديات نلمس روح أبي العتاهية وغيره من زهاد العصر العباسي ماثلة فيها ، كما تذكرنا تساؤلاته : أين الذين عهدنا ؟ أين القرون ؟ أين الحميم ؟ أين الملوك ؟ ، بتساؤلات أبي العتاهية في زهدياته[١] ، وأبي البقاء الرندي في نونيته حيث يقول[٢] :

أين الملوك ذوي التيجان من يمن ∴ وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم ∴ وأين ما ساساه للفرس ساسان ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب ∴ وأين عاد وشداد وقحطان ؟

والإجابة على هذه التساؤلات لدى الجميع واحدة ، وهي أن هؤلاء جميعًا قد أتى عليهم أمر لا مرد له ، ولا حائل دونه ، وجرى عليهم القلم الذي جرى على سائر الخلق ، فلقوا قدرهم المحتوم ، وذهبوا إلى مصيرهم الذي إليه كل الخلائق سائرة .

وقد أحال الشاعر في لطف إلى بعض النصوص القرآنية ، ففي قوله " لا كي الجباه بما كنزت " استدعاء لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

---

(١) انظر – على سبيل المثال – قصائده : القرون الفانية ص٤١٤ ، أين من كان قبلنا ص٤١٦ ، سبحان من يحيي العظام البالية ص٤٦٨ ، لم يبق إلا عظام بالية ص٤٨٥ ديوانه ط ، دار صادر بيروت سنة ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .
(٢) نفح الطيب للمقري ج٢ ص١٢٤٧ ط ، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٢٧٩ هـ .

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[١].

أما قوله : " بجمر عشت تركمه " ففيه استيحاء للغة القرآن الكريم ، وإحالة إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٢] .

والشاعر بذلك يجاري كثيرًا من شعراء الزهد الذين كان القرآن الكريم والسنة النبوية وقصص السابقين من أهم المصادر التي شكلت شعرهم بنية وأسلوبًا .

المدائح النبوية :

لم يفت أبو مسلم أن يعرج على فن المدائح النبوية ، وهو المتيم يحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول[٣] :

عليل وما بي من علة غير أنني ∴ سلوكي حب المصطفى صار علتي

ومن خلال دراستي لمدائحه النبوية أسجل الآتي :

أ – غلبة طابع التوسل والابتهال على هذه المدائح :

فأبو مسلم يتخذ من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة يتقرب بها إلى ربه في دعواته ، وفي أذكاره وابتهالاته ، وإذا كان فن المديح النبوي ينتمي إلى

---

(١) سورة التوبة – جزء من الآية (٣٤) والآية (٣٥) .
(٢) سورة الأنفال – جزء من الآية (٣٧) .
(٣) ديوانه ص٢٨٧ .

شريحة المناجاة الدينية التي نتج عنها على تعاقب العصور لون من المشاعر الرقيقة الصافية التي تجد في عالم الشعر مناخها المناسب للترعرع والامتداد ، وتجد في لغة الشعر المجازية طريقًا معبرًا يستطيع أن يستوعب النبض الوجداني الخاص الذي تضيق عنه عادة لغة النثر بتراكيبها التعبيرية التي تجنح إلى التحديد[١] – فإن ذلك يبدو واضحًا جليًا في مدائح أبي مسلم النبوية، فقد اتخذ منها مناجاة يناجي بها ربه ويتقرب إليه ، يقول[٢] :

إلهي بجاه السيد الأكرم الذي ∴ هو الرحمة العظمى لكل الخليقة
محمد البر الرحيم الذي أتى ∴ حريصا علينا بين بر ورأفة
توسلت ملتاذًا بسلطان قربه ∴ إليك وحسبي أن يكون وسيلتي
ومن يتوسل بالرسول محمد ∴ يلاق المنى من عين كل رغيبة

ومع اختلاف العلماء في حكم التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلافهم في مشروعية التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم عمومًا بعد وفاته ، وذهاب أكثر علماء السلف إلى عدم جواز ذلك[٣] – فإن أبا مسلم لم يقف عند هذا الحد ، فقد تجاوزه إلى بعض شطحات الصوفية ، فنراه يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم لما لا يجوز مخاطبة غير الله به ، يقول في إحدى مدائحه إياه[٤]:

يا مصطفى الله العظيم انظر إلى ∴ أملي ولا تنظر إلى أعمالي

---

(١) انظر : تطور الأدب في عمان د/ أحمد درويش ص١٩٩ .
(٢) ديوانه ص١٣٠ .
(٣) انظر : عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص١٢٢-١٢٧ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨١ .
(٤) ديوانه ص٢٨٥ .

وافيت بابك بالخطايا راجيا ∴ حط الذي أوعيت من أثقالي
مستشعرا حق اليقين بأن من ∴ وافاك لم يرجع بغير نوال
مولاي آمالي إليك جليلة ∴ وشكيتي ذنبي ورقة حالي
مولاي مالي غير بابك وجهة ∴ فإليك في حاجي أحط رحالي
مولاي أوشحني اقتراف هائل ∴ وعظيم جاهك دافع الأهوال
مولاي ضاق بي الفسيح خصاصة ∴ وإليك رفع يدي وبسط سؤالي
مولاي وانظر في خصائص فاقتي ∴ إني اعتمدت عليك في أحوالي

فقوله : " مالي غير بابك وجهة " ، وقوله : " إليك رفع يدي وبسط سؤالي، وقوله : " إني اعتمدت عليك في أحوالي " ، مما لا ينبغي أن يخاطب به غير الحق – سبحانه – ، فإليه وحده يكون المتجه ، وعليه المعتمد ، وله وحده يكون الدعاء وبسط اليد بالسؤال ، أليس هو القائل في محكم التنزيل : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾[1] ، وهو القائل – جل في علاه –: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2] .

على أن هذه الآية تنفرد عن نظائرها الأسلوبية بعدم اقتران الجواب فيها بلفظ " قل " على نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ

(١) سورة غافر – جزء من الآية (٦٠) .
(٢) سورة البقرة – الآية (١٨٦) .

﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ... ﴾[١] ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[٢] ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ﴾[٣] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[٤] ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾[٥] ، أما هنا في آية الدعاء فلم يقل " فقل " ، وإنما قال : ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[٦] ، تأكيدًا على أن دعاء العبد ربه لا يحتاج إلى واسطة أو مقدمات ، حتى لو كانت هذه الواسطة هي لفظ " قل " التبليغية .

وعندما قال أحد الناس : قوموا نستغث برسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **من هذا المنافق ؟ لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله وحده** »[٧].

ولا يخفف من حدة هذا الغلو سوى إعلان الشاعر في النهاية أن مقصده الأسنى هو عفو ربه ، وإنه يتخذ من مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى هذا العفو ، يقول[٨] :

مولاي عفو الله أسنى مقصدي ∴ وبك الوسيلة لا حميد فعالي

---

(١) سورة البقرة – جزء من الآية (٢١٥) .
(٢) سورة البقرة – جزء من الآية (٢١٩) .
(٣) سورة البقرة – جزء من الآية (٢٢٠) .
(٤) سورة البقرة – جزء من الآية (٢٢٢) .
(٥) سورة طه – الآية (١٠٥) .
(٦) سورة البقرة – جزء من الآية (١٨٦) .
(٧) حديث « **من هذا المنافق ؟ لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله وحده** » أخرجه العلامة علاء الدين الهندي المتوفي سنة ٩٧٥ هـ في كتابه : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج١٠ ، ص ١٦٨ حديث رقم (٢٩٨٤٨) عن عبادة بن الصامت ، تحقيق محمد عمر الدمياطي ط ، دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م الطبعة الأولى .
(٨) ديوانه ص٢٨٥ .

غير أنه يفاجئنا بعبارات لا يقبلها على ظاهرها غير المتصوفة ، على شاكلة قوله[١] :

إلفت[٢] حبيب الله نحو مطالبي ∴ نظر الرحيم ورأفة المفضال

فقوله : " إلفت .. نظر الرحيم " مما لا يراه علماء السلف وأهل السنة مقبولاً في مثل هذا المقام .

يقول الأستاذ / محمد صالح ناصر : وأبو مسلم عندما يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم يضفي عليه صفات ما تعودنا أن نضيفها إلى على الله – تعالى –[٣] ، ومن ذلك قوله في مناجاته صلى الله عليه وسلم[٤] :

غوث الوجود أغثني ضاق مصطبري ∴ سر الوجود استلمني من يد الخطر

أنس الوجود قد استوحشت من زللي ∴ وأنت أنسي في وردي وفي صدري

عين الوجود ترى بؤسي ونازلتي ∴ وفي محالك[٥] إنقاذي من الضرر

وقوله[٦] :

وجهت نحو رسول الله نازلتي ∴ وقلت يا نفس حُمَّ النصر فانتظري

بسطت كفي إلى فياض رحمته ∴ على يقين بدرك السؤل والظفر

ولا شك أن هذه الأبيات تحمل في طياتها كثيرًا من شطحات الصوفية التي تصطدم – في ظاهرها على أقل تقدير – مع ثوابت الشريعة الإسلامية

---

(١) ديوانه ص٢٨٦ .
(٢) " إلفت " : أمر من لفت ، وهمزته همزة وصل لكن الشاعر قطعها لضرورة الوزن .
(٣) انظر : أبو مسلم الرواحي حسان عمان لمحمد صالح ناصر ص٨٤ .
(٤) ديوانه ص٢٧٥ .
(٥) محالك : حولك وقدرتك .
(٦) ديوانه ص٢٧٥ .

التي تؤكد على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى عدم الغلو في إطرائه ، وعلى أن الأمور كلها بيد الله وحده ، وما الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بشير ونذير وشافع ، يقول الحق – سبحانه – على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾[١] ، ويقول – على لسانه أيضًا – : ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[٢] ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله** »[٣] .

ومع تأكيدنا على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب إتباع هديه ، وأن الإنسان لا يكون كامل الإيمان حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين – فإننا نفرق بين هذا الحب وبين الشطط والتجاوز في مديحه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الكهف – الآية (١٨٠) .

(٢) سورة الأعراف – الآية (١٨٨) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده محمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا** ...﴾ حديث رقم (٣٤٤٥) ج٦ ص٤٧٨ شرح ابن حجر ط ، دار الفكر .

ب – الميل إلى جانب الصنعة والإكثار من الزخرف البديعي :

أسرف أبو مسلم في استخدام بعض ألوان البديع في قصيدة المديح النبوي، وبخاصة المحسنات اللفظية كالطباق والمقابلة والجناس ورد الأعجاز على الصدر ، حتى أثقل كاهل بعض أبياته بهذه المحسنات ، على شاكلة قوله في مديحه صلى الله عليه وسلم[١] :

هو الجامع الأسماء جمع تحقق ∴ ومشكاة مصباح الصفات الجليلة
هو الأول المكنون في أبحر الخفا ∴ هو الآخر المقصود في كل رتبة
هو الظاهر المعلوم قبل ظهوره ∴ هو الباطن الخافي بكل حقيقة

وقوله في قصيدة أخرى[٢] :

يا آخر الرسل لا تأخير مرتبة ∴ وإنما السر مطوي عن الفكر
يا ظاهرًا بكمالات الظهور على ∴ كل الظواهر في سلطان مقتهر
يا باطنًا لم تفته الباطنات ولم ∴ يدرك مقاماته علم من الفطر

ونلاحظ أن الشاعر يسير على نفس الوتيرة التي أشرنا إليها سلفًا من إطلاقه على الرسول صلى الله عليه وسلم أسماء وصفات ما تعودنا إطلاقها على غير الله – تعالى – كالأول والآخر والظاهر والباطن ، مما يؤكد غلوه الصوفي وإغراقه في متاهات بحار المتصوفة في هذا الفن .

ولم يكتف الشاعر بهذا الإسراف البديعي الذي ذهب ببهاء أكثر مدائحه النبوية ، فقد ألزم نفسه ما لا يلزم ، وأثقل عاتق بعض قصائده بقيود فوق قيود

---

(١) ديوانه ص١٢٩ .
(٢) ديوانه ص٢٧٦ .

، ففي قصيدته التي مطلعها[١] :

أشمس أضاءت أم سنا وجه عـزة ∴ وليل سجى أم حالك الفود أبدت

بريق الثنايا لاح أم برق عـارض ∴ فهـيج بلبـابي وشـوقي ولوعتـي

يستهل البيت الأول من القصيدة بالهمزة ، والثاني بالباء ، والثالث بالتاء ، والرابع بالثاء ، وهكذا حتى انتهى إلى حرف الياء ، فعاد إلى البدء بالهمزة فالباء فالتاء ، فصار على هذا النهج حتى بلغ خمسة وثلاثين بيتًا .

وكان يعمل جاهدًا على إشاعة الحرف الذي يبتدأ به ، مما جعل بعض أبيات هذه القصيدة ، بل أكثر أبياتها يعج بالثقل والتنافر اللفظي ، كقوله مبتدئًا بحرف الزاي[٢] :

زمان زهت فيه أزاهير زهـرة الـ ∴ شـباب وحـبي لا يعـز بـزورة

وقوله مبتدئًا بحرف الطاء[٣] :

طبيـبي ومطلـوبي وطـبي وطيتـي ∴ ومعتمـدي في الأمـر سـاكن طيبـة

وقوله مبتدئًا بحرف الفاء[٤] :

فليـت فنـائي كـان في فيء طيبـة ∴ إذا فـاه فـوه القـبر فهـت بلهفـتي

ج – النثرية :

غلبت النثرية على قصيدة المديح النبوي عند أبي مسلم ، فجاءت – شأن سائر ابتهالياته ومناجاته – أقرب إلى النظم منها إلى الشعر .

---

(١) ديوانه ص٢٨٧ .
(٢) ديوانه ص٢٨٧ .
(٣) المصدر السابق ص٢٨٧ .
(٤) المصدر السابق ص٢٨٧ .

ففي مدحته النبوية التي مطلعها[١] :

بلـغ المـدى سـفر مـن الآزال ∴ بمواكـب الإعظـام والإجـلال

يستفتح الشاعر خمسة عشر بيتًا تباعًا بكلمة " مولاي " ، وعشرة أبيات بكلمة " أهلاً " منها ستة أبيات بقوله : " أهلاً بمن "[٢] :

أهـلا بمـن خلـق الوجـود لأجلـه ∴ سـر الوجـود وفـاتح الأقفـال

أهـلا بمـن نـزل البسـيطة رحمـة ∴ فالكـل منـه علـى يـد ونـوال

أهـلا بمـن رقـب الوجـود ظهـوره ∴ فقـرأ إلى معروفـه الهطـال

أهـلا بمـن لمـس الوجـود بلطفـه ∴ وشـفاه مـن متكـاثف الأعـلال

أهـلا بمـن مسـح القلـوب بنـوره ∴ فتقدسـت مـن قسـوة وضـلال

أهـلا بمـن جمـع المعـاجز كلهـا ∴ في نفـس معجـزة الكـلام العـالي

وقد ذهبت هذه النثرية المفرطة ببهاء مدائحه النبوية ، وأفقدها روح الفن وأصالته .

وكان الأولى بأبي مسلم أن يرقى بمستوى مدائحه إلى الدرجة التي تتناسب ومكانة هذه المدائح من جهة ، وتتناسب ومكانته كشاعر مبدع من جهة أخرى.

الإخوانيات :

عرف أبو مسلم بطيب النفس ، وحسن الصحبة والمعاشرة ، والأدب الجم، والكرم الوفير ، فكثر إخوانه ، وحسنت علاقته بهم ، وكانت بينه وبينهم مساجلات ومطارحات أدبية وشعرية ، ولم يفت أبو مسلم أن ينفح إخوانياته

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٣ .
(٢) المصدر السابق ص٢٨٣ .

بشيء من إشاراته الوعظية ونهجه الإصلاحي .

أهدى إليه أحد أصدقائه قصيدة قصيرة يهنئه فيها بالشفاء من مرض ألم به ، يقول في مطلعها[١] :

الحمد لله لا بؤس ولا سقم ∴ "المجد عوفي إذ عوفيت والكرم"

لبست من حلل الألطاف عافية ∴ "وزال عنك إلى أعدائك الألم"

وقد قام هذا الشاعر بتشطير بعض أبيات قصيدة المتنبي التي هنا بها سيف الدولة بالشفاء من مرض ألم به ، ومطلعها[٢] :

المجد عوفي إذا عوفيت والكرم ∴ وزال عنك إلى أعدائك الألم

وكأني بهذا الشاعر يربط بين سيف الدولة وأبي مسلم برباط وثيق ، فكل فارس في ميدانه ، وكأني به – أيضًا – يلاحظ أو يقدر ما بين المتنبي وأبي مسلم من وجوه التقاء أبرزها : الطموح والعراك مع الدهر .

فأجابه أبو مسلم بقصيدة يقول في مطلعها[٣] :

الشكر لله شكرا ليس ينصرم ∴ شكرا يوافق ما يجري به القلم

يأتي البلاء لتمحيص وتذكرة ∴ كأن كل بلاء نازل نعم

فارض المقادير في ضر وعافية ∴ فليس يثبت إلا بالرضا قدم

مصائب الدين أنكى ما نصاب به ∴ وما عداهن فيه الأجر يغتنم

استهل أبو مسلم إجابته لصاحبه بإعلان الشكر غير المنصرم لله – تعالى

---

(١) ديوان أبي مسلم الرواحي ص٤٧٨ .

(٢) ديوانه : شرح العكبري ج٣ ص٣٧٥ تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ط. مصطفى الحلبي سنة ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .

(٣) ديوانه ص٤٧٨ ، ٤٧٩ .

– ، وعدّ هذا البلاء نعمة ومنة ، فهو تمحيص وتذكير ، وكل بلاء دون الدين عافية وفيه الأجر يغتنم ، فما على الإنسان إلا أن يرضى بالقضاء ويسلم للمقادير في ضره وعافيته .

أما قوله : " كأن كل بلاء نازل نعم " فيذكرنا بقوله – تعالى – : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[١] ، ويستدعى قول أبي تمام[٢]:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ∴ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وعلى قصيدة إخوانية أخرى يجيب أبو مسلم أحد إخوانه الذين كانوا يعاتبونه على طول فراقه واغترابه ، فيقول[٣] :

أحبتنا ما العبد شيئًا نطيقه ∴ ولكنه من جملة الحكم في الأزل
بنا ظمأ اللقيا ونار من الأسى ∴ ولولا التآسى ذاب من حرها الجبل
تثير تباريح الجوى غصص النوى ∴ وتنكأها الذكرى إذا جرحها اندمل
أحبتنا لا يملك المرء أمره ∴ ولا يدفع المقدار ضرب من الحيل
نريد قرارا واغتباطا وألفة ∴ وذلك شأن لا يضاف إلى العلل
لقد دبر الرحمن أمر عباده ∴ فدع عنك حتى أو عسى أو متى وهل
يدبر ما يختار وهي سياسية ∴ وإن ضاق في رأى العيون بها الكبل[٤]

---

(١) سورة البقرة – جزء من الآية (٢١٦) .
(٢) ديوانه ج٢ ص١٨٤ تقديم وشرح د/ يحيي الدين صبحي ط. دار صادر بيروت سنة ١٩٩٧ م .
(٣) ديوانه ص٤٨١ .
(٤) الكبل (بفتح الكاف والباء) : التأخير أو الحبس ، يقال : كبَل (بالتضعيف) غريمه الدين إذا أخره منه ، والمكابلة : التأخير والحبس ، انظر : لسان العرب ، والقاموس المحيط : مادة "

علينا الرضا فيما يجيئ به القضـــا ∴ وأهلا بما نحسو من الصاب والعسل

وفي البداية يؤكد أبو مسلم – في تجاوب عاطفي صادق مع إخوانه – أن أمر الفراق ليس سهلاً ولا هينًا على نفسه ، فهو في ظمأ شديد إلى اللقيا ، ونار الأسى تشتعل في أحشائه ، ولولا التآسي لزلزل كيانه لهذا الفراق ، فكلما تذكر فراق إخوانه وأحبته نغص ألم النوى عليه حياته ، وأثار تباريح الوجد في قلبه ، وإذا ما اندمل الجرح نكأته الذكرى .

وإذا كان الشطر الأول من البيت الثالث قد بدأ ثقيلاً من أثر الصنعة فإن الاستعارة في الشطر الثاني منه وقعت موقعًا حسنًا ، وكان لها أثرها الواضح في التعبير عما يعتمل في نفس الشاعر من ألم الفراق والأسى ، حيث جعل الشاعر من أثر الفراق في نفسه جرحًا غائرًا كلما اندمل أو أوشك جاءت الذكرى فنكأته ، وفي وقوع جملة " تنكأها الذكرى " جوابًا لإذا الشرطية دلالة على كثرة وقوع الفعل ، ومن ثمة شدة ما يعترى الشاعر من ألم متكرر مستمر.

ومع ذلك فأبو مسلم على العهد في تسليمه المطلق لله ، وتفويض الأمور كلها له ، والرضا بما يأتي به القضاء ، حتى وإن جاء بما يراه الإنسان مكروهًا في عاجله فأهلاً بما نحسو من الصاب والعسل .

ونلمح في ثنايا ذلك رسالة وعظية رقيقة يبثها أبو مسلم إخوانه لحثهم على الرضا والتسليم بكل ما قضى الله وقدر فراقًا وغير فراق ، فالأمور كلها بيديه وحده يصرفها كيف يشاء ومتى يشاء .

وفي ذلك ما يؤكد أن أبا مسلم كان يحاول اغتنام أي فرصة سانحة لينفذ من خلالها إلى تحقيق مآربه الدعوية الإصلاحية ، وأن نفسيته المفعمة بروح

كبل " والمعنى في البيت أن الله سبحانه وتعالى قد يؤخر الأمر لحكمة تخفى على الناس ، بل ربما ضاقت نفوسهم بهذا التأخير .

الثقافة الإسلامية كانت مائلة في شعره وموجهة لسائر أغراضه .

المديح :

تأثر أبو مسلم بمنهج أسلافه الشراة في الرغبة عن التكسب بالمديح ، واعتباره ضربًا من التملق والزلفى التي لا تتناسب ومبادئهم العقدية والجهادية ، فلم يتكسب بشعره ، ولم يتخذه وسيلة للتقرب إلى ذوي الجاه والسلطان ، فقد عاصر الرجل ستة من سلاطين زنجبار ، هم ؛ السيد برغش بن سعيد بن سلطان ، والسيد خليفة بن سعيد ، والسيد علي بن سعيد ، والسيد حمد بن ثويني ، والسيد حمود بن محمد ، والسيد على بن حمود[١] ، وعلى الرغم من احتفاظه بمكانة عالية لدى أكثر هؤلاء السلاطين فإنه لم يمدح سوى السيد حمود بن محمد ، وفي ظروف فرضت عليه هذا المديح ، فقد صحب أبو مسلم السلطان حمود في رحلة بالأقطار الإفريقية سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م استغرقت شهرًا كاملاً ، ولقي فيها من السلطان حمود كل إكرام ، فسجل أحداث هذه الرحلة في كتاب سماه " اللوامع البرقية في رحلة مولانا المعظم حمود ابن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الإفريقية الشرقية "[٢] ، وفرضت عليه طبيعة الموقف أن يوشيها بشيء من مديح السلطان المذكور ، وذلك من باب حسن الأدب والصحبة أو من باب حفظ الجميل ، غير أن هذا المديح – في جملته – جاء متكلفًا ظاهر التكلف والصنعة ، لا تلمس فيه أثرًا للصدق الفني ، على نحو ما نرى في قوله[٣] :

---

(١) انظر : السلوة في أخبار كلوة ص٥٧ لمؤلف مجهول الاسم من كتاب القرن العاشر الهجري ، تحقيق محمد على الصليبي ، ط. وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

(٢) نشرت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان هذا الكتاب سنة ١٩٨٣ م .

(٣) اللوامع البرقية في سيرة مولانا المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سعيد بن سلطان

خليفة الله هل أبقيت من شرف ∴ إلا وعندك منه أشرف الأثر
تناقلتك من الأصقاع أشرفها ∴ سجية الشمس في الأبراج والقمر
حبوت ملكك حظا من مشاهدة ∴ فشاهد العين واستغنى عن الخبر
باركت إفريقيا لما سفرت بها ∴ أنت المبارك في حل وفي سفر

فلم يوفق الشاعر في إسناد الشرف إلى الأصقاع التي تناقلته ، وكان الأولى أن يسند هذا الشرف إلى السلطان ، ويجعل مجرد مروره على هذه الأصقاع تشريفًا لها وفخرًا تتيه به على ما سواها .

وليس في قوله : " حبوت ملكك حظا من مشاهدة " شيء يعتد به في مديح الملوك ، أما التعبير عن السلطان بالعين في قوله : " فشاهد العين " فممجوج ظاهر التكلف ، وأما البيت الأخير فليس مما يختص به الملوك أو مما يشرفون به إنما هو مما يقال لعامة الناس ، كقولهم : شرفت الديار ، بارك الله فيك حالا ومرتحلا ..

وفي ذلك دلالة واضحة على عدم صدق الشاعر في مديحه ، وتأكيد على أن هذا الشعر لا يخرج عن كونه شعر مناسبة أو مجاملة أملته ظروف خاصة.

وشتان بين هذا التكلف وبين ما نراه في ثنايا وطنياته من إشادة بالإمام سالم بن راشد الخروصي ، كقوله[١] :

وإن إمام المسلمين على هدى ∴ مخالفة باغ عن الحق ظالم
إمامته حق وفرض إتباعه ∴ على ساكني المصر العماني لازم

بالأقطار الإفريقية الشرقية لأبي مسلم الرواحي ص١٥ نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٩٨٣ م ، نسخة مصورة عن طبعة زنجبار سنة ١٣١٦هـ/١٩٩٠م .

(١) ديوانه ص٣٢٣ ، ٣٢٤ .

وإن الـــذي وفي بطاعـــة أمـــــره ∴ ولي وإلا فالعـــــدو المخاصـــــــم
إمام الهدى إن ينتضي الدين سيفه ∴ فأنـت لـه حـد ونصـل وقاتـــــم
ومـا أنتقـى التمجيـد فيـك وإنـما ∴ إليك اهتدى حر الكلام الملائـم
ولست بأقصى الحمد فيك مموها ∴ إلى العرض الفاني بشعري أزاحم
فكـل رجـالي بالثنـاء عليكـــم ∴ ذخـــائر عنـــد الله لي ومغانـــــم
أحاول فوزًا من حياتي بقربكـــــم ∴ يراعي وسيفي والنهى لك خادم

فهنا يظهر الولاء الصادق ، حيث كان أبو مسلم على قناعة بأحقية ممدوحه بالإمامة ، وجدراته بها ، إن لم يكن رجلها الوحيد بعمان آنذاك ، فهو على حق وهدى ، وطاعته واجبة على ساكني المصر العماني ، ومخالفه باغ خارج على الإمام ، عاص الله مخالف لشرعه .

والشاعر عندما يشيد بإمامه لا ينتقي المدح والتمجيد ، إنما ينساب حب الكلام على لسانه ، فيعرف طريقه إلى الممدوح كما تعرف الفرائد اليتيمة طريقها إلى التيجان ، يعبر عن ذلك قوله[١] :

ولكـن حـر القـول ينحـو مقـــره ∴ كمـا أن للتيجـان تنحـو اليتـائم

وهو لا يملح أو يموه بعرض فإن يزاحم فيه بشعره ، فكل رجائه أن يكون هذا الثناء ذخرًا له عند ربه ، فالمديح هنا ليس مديح زلفى أو مصلحة فانية ، إنما هو كلمة حق لا يبغي بها سوى مرضاة ربه .

الاعتذار :

ذكرنا في ترجمة الشاعر أنه تبوأ مكانة رفيعة لدى بعض سلاطين زنجبار ، وبخاصة السلطان حمد بن ثويني ، والسلطان حمود بن محمد بن

---

(١) ديوانه ص٣٢٤ .

سعيد[١] ، وكان طبيعيًا أن ينقم الشانئون والحساد عليه مكانته ، وأن يعملوا على الإيقاع به ، فوشى بعضهم إلى السلطان حمد بن ثويني بأن أبا مسلم يعرض به في إحدى قصائده الوطنية .

وبما أن أبا مسلم كان معروفًا بمواقفه الوطنية ، وعدم مديحه للسلطان حمد مع قربه منه ، فقد تمكن الوشاة من إحكام وشايتهم ، واستطاعوا أن يوغروا قلب السلطان عليه ، فأقصاه عن مجلسه ، وهم بقطع راتبه[٢] .

وأدرك أبو مسلم أن الظروف ليست في صالحه ، وأن لا حيلة له إزاء غضب السلطان عليه ، فعمل على امتصاص هذا الغضب بالاعتذار إليه ومصانعته[٣] ، فأخذ يعتذر في أسلوب تقليدي يقوم على تعظيم شأن الممدوح ، ووصفه بالحلم والكرم ، مع الإقرار بالذنب وطلب العفو ، يقول[٤] :

ملك جبلته على الحلم انطوت ∴ إن الملوك تزينها أحلامها

يؤتى بأثقال الجبال جرائما ∴ فيزول بالعفو العظم لزامها

وبتلك يمتلك الرقاب مليكها ∴ وبتلك يقتاد الصعاب همامها

***

يا أيها الملك الذي أرجو عوام ∴ طفه وأعظم منيتي إلمامها

عبد ببابك مستجير عائذ ∴ بجبال حلمك نفسه استعصامها

---

(١) راجع ص٣٣ .

(٢) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا لمحمد بن ناصر المحروقي ص١٤٤ .

(٣) يمكن قبول مثل هذه المصانعة من أبي مسلم وتفسيرها في ضوء ما يدين به بعض الإباضية من مبدأ " التقنية الدينية " ، وبخاصة في تلك الفترات التي يطلقون عليها إمامة الكتمان ، حيث لا يقوون على إعلان إمامتهم أو الجهر بالدعوة إليها ، فيعملون لها سرًا .

(٤) ديوانه ص٤٦٠ .

مستمسك بحبال عفوك آئبا ∴ أن ليس ينقض في يدي إبرامها
مولاي إن تأخذ فلست بظالم ∴ نفسي جنت وجناؤها ظلامها
مولاي إن تكن الذنوب عظيمة ∴ فمقام حلمك دونه إعظامها

على أن أثر الثقافة الدينية يبدو واضحًا في ثنايا شعره الاعتذاري ، فتارة يتوسل بآية الكرسي ، ويتخذ منها شفيعًا له عند السلطان حمد حيث عزا الشفيع من البشر ، فيقول[١] :

خذ جوهرًا آية الكرسي تنظمه ∴ أرسلته شافعًا عني لما فرطا
عز الشفيع فما عزت مشفعة ∴ في التائبين إلى ذي العرش بعد خطا
أرسلتها رائدًا عني ومنتجعا ∴ غيوث حلمك فاصفح وانبذ السخطا

وتارة يتوسل إليه بحق القرآن الكريم ، فليس بعد كلام الله من وسيلة يتذرع لها الإنسان أو يستشفع بها ، يقول[٢] :

أقل عثارى والقرآن شافعي ∴ إليك إن عز الشفيع المرتضى
فليس بعد كلمات الله من ∴ وسيلة يقبلها ذوو الحجا
وإن تكن من بعدها ذريعة ∴ فعصمة العفو رجاء من هفا

ويبدو أن الوشاة كانوا قد تمكنوا من إيغار قلب السلطان حمد عليه ، فلم يعف عنه بسهولة ، مما اضطره إلى الاعتذار بأكثر من قصيدة .

وتقول بعض الروايات : إن أبا مسلم عندما أنشأ هذه القصيدة التي يستشفع فيها بالقرآن الكريم دفع أحد تلاميذه إلى إنشادها في حضرة السلطان

---

(١) ديوانه ص٤٧٠ .
(٢) المصدر السابق ص٤٦٧ .

حمد ، فلما سمعا قال : ابعثوا إلى أبي مسلم فليحضر مجلسنا[١] ، وبذلك تكون هذه الاعتذارات قد أدت مهمتها ، ونجحت في إزالة ما علق بقلب السلطان حمد عليه بسبب وشاية الحساد الشانئين ، غير أنها من الناحية الفنية تدرج – شان مدائحه – في باب الصنعة والتكلف ، ومجانبة الصدق الفني ، لأنها لم تصدر عن قناعة أو عاطفة صادقة ، إنما كانت وليدة ظروف أجبرت الشاعر على نظمها .

الغزل :

أبو مسلم شاعر ملتزم صاحب نزعة دينية ، وقضية وطنية ، وأفكار إصلاحية ، طغت على حياته وشكلت شعره ، ولهذا لم يتح لعواطفه أن تبرز أو تعبر عن نفسها ، فانحصر غزله في أربع قصائد قصار[٢] بلغت في جملتها ستة وأربعين بيتًا ، تشكل أقل من ثلاث صفحات في ديوانه الذي بلغ سبعا وتسعين وأربعمائة صفحة .

وهذا النذر اليسير من الغزل يغلب عليه الطابع التقليدي ، ويسلك في إطار الغزل الذي يلجأ إليه الشاعر لإظهار قدرته على النظم في أغراض الشعر المختلفة لا أكثر ولا أقل ، سوى قصيدة قصيرة تنم عن مغامرة جريئة تحلل فيها – إلى حد ما – من وقار الفقهاء ، وانطلق على سجيته كشاعر

---

(١) انظر : الشعر العماني الحديث – أبو مسلم البهلاني رائدًا لمحمد بن صالح ناصر ص١٤٧ .

(٢) هناك مقطوعة بعنوان " ليس في الحب قياس " أدرجها جامع الديوان ضمن قصائد الغزل ، وهي – في الواقع – في الحب الإلهي وليس الغزليات ، لكن جامع الديوان – فيما يبدو – لم يلتفت إلى معناها الرمزي وإشاراتها الصوفية .

فنان[١] .

وقد فرض تأثره بالثقافة الدينية نفسه حتى على هذا النذر اليسير من الغزل ، فرأينا الشاعر يتكلف إقحام بعض النصوص القرآنية في إحدى قصائده الغزلية ، يقول[٢] :

يا غضيض الطرف هب لي نظرة ∴ إن إعراضك أدهى وأمر

عجبا في خدك النار وفي ∴ مهجتي منها لهيب وشرر

فاتني بعض رشادي في الهوى ∴ إن عذالي لقد قالوا كفر

صدقوا غاب رشادي في الهوى ∴ وعلامات الهوى إحدى الكبر

وإذا ذكرته عهد الصبا ∴ قال لي تلك ألاعيب الصغر

وإذا استعطفته القلب على ∴ فعلى عينيه تعاطي فعقر

فقد استلهم الشاعر في هذا النص أجواء سورة القمر ، وأفاد من فواصلها القرآنية في بناء قوافيه ، حيث استدعى قوله – تعالى – : ﴿ **وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ** ﴾[٣] ، وقوله – تعالى – : ﴿ **جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ** ﴾[٤] ، وقوله – سبحانه – ﴿ **فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ** ﴾[٥] ، كما سبح في سورة

---

(١) وهي التي يقول في مطلعها :

فدى نفسي لبهكنة لعوب ∴ لهوت بها على لثم الشقيق

ديوان ص٤٩٣ .

(٢) ديوان ص٤٩١ .

(٣) سورة القمر – جزء من الآية (٤٦) .

(٤) سورة القمر – جزء من الآية (١٤) .

(٥) سورة القمر – جزء من الآية (٢٩) .

المدثر ليستدعي قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾[١] كلون من التفنن في النظم من جهة ، والإفادة من الإيقاع المؤثر لهذه الفواصل من جهة أخرى ، غير أن أثر التكلف والإقحام في ذلك واضح .

(١) سورة المدثر – الآية (٣٥) .

الفصل السابع

دراسة فنيـــة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اتجاهه الفني

المبحث الثاني : إشكالية الزمن في شعره

المبحث الثالث : المعجم والأسلوب

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

اتجاهه الفنـي

يسلك أبو مسلم الرواحي في عداد شعراء المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، فقد حافظ على عمود القصيدة العربية ، فالتزم وحدة الوزن والقافية ، وآثر الديباجة العربية بنية وتركيبًا ، في حين أتى شعره معبرًا عن واقعه ، مفعمًا بقضايا وطنه وأمته .

فالرجل لم يكن بمعزل عن قضايا بيئته وعصره ، إنما كان في قلب الحدث موجهًا ومناضلاً ، سلاحه القصيدة والمقالة والرسالة ، فقد أفاد كثيرًا من عمله الصحفي ، وتأسيسه صحيفة (النجاح) التي صدرت في زنجبار سنة ١٩١١م ، وتوليه رئاسة تحريرها فترة غير قصيرة من الزمن ، وكان لاتصاله الوثيق بسلاطين زنجبار وأئمة عمان ، وعمله في القضاء والفتوى ، وتوليه رئاسة القضاء بزنجبار – أثر في اطلاعه عن كثب على مشكلات بيئته وعصره ، ووقوفه على مجريات الأحداث فيهما .

وكان واجبه الديني وعمله الصحفي يمليان عليه ألا يكون بمعزل عن واقعه ، بل يمكن القول : إنهما كانا يمليان عليه ضرورة المشاركة في صنع الأحداث أو الأسهم في توجيهها وتصحيح مسارها وفق رؤيته الدينية الإصلاحية .

ومن ثمة جاء نتاجه الشعري مزيجًا بين المحافظة والتجديد ، بين الأصالة والمعاصرة ، فحين كان موروثه الثقافي وارتباطه النفسي بماضي أمته العريق يدفعانه إلى المحافظة على نظام القصيدة وبنيتها كان إحساسه العميق بقضايا

عصره وأمته يدفعه نحو الواقع الذي يعيشه ، ويملي عليه همومه وآلامه .

ويمكن القول : إن أبا مسلم تجاذبه عاملان :

العامل الأول : موروثه الثقافي :

فقد كانت ثقافته عربية إسلامية ، نهل فيها من فيض القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وعيون الشعر العربي القديم ، متتلمذًا على دواوين فحول الشعراء من الجاهليين ، والإسلاميين ، والأمويين ، والعباسيين ، والأندلسيين ، وكان يرى في أشعارهم النموذج الأمثل الذي ينبغي أن يقتدي به وينسج على منواله .

وقد بدا أثر هذه الثقافة واضحًا سواء في تأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أم في تأثره بفحول الشعراء ، فمن تأثره بالقرآن الكريم قوله[٣٤٦] :

فاز المخفون من دار الغرور فلا ∴ خوف عليهم ولا بالقوم أحزان

متأثرًا بقوله تعالى : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٣٤٧] .

وقوله[٣٤٨] :

صبرنا أم جزعنا سوف يجري ∴ قضاء اللّه بالحق اليقين

متأثرًا بقوله تعالى : ﴿ **سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ**

---

(٣٤٦) ديوانه ص٣٠٣ – تحقيق الخزندار .
(٣٤٧) سورة البقرة – جزء من الآية (٣٨) .
(٣٤٨) ديوانه ص٤٢١ – تحقيق الخزندار .

﴾[٣٤٩] .

وقوله[٣٥٠] :

لن يلبث المال تذروه الرياح ويبـ ∴ ـقى من صفاياهُ ما شدت به الخلل[٣٥١]

متأثرًا بقوله تعالى : ﴿ **وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا** ﴾[٣٥٢] .

ومن تأثره بالسنة النبوية الشريفة قوله في إحدى قصائده الوعظية[٣٥٣] :

وأوائل الأوقات رتبة فضلها ∴ حض النبي وفعله فيها استمر

واحذر تقلدك الامامة إن تكن ∴ لحانة إذ أقرأ القوم الأثر

فالمقصود بحض النبي *صلى الله عليه وسلم* حثه على أداء الصلاة في أول وقتها، والشاعر – هنا – يحيل إلى قوله *صلى الله عليه وسلم* عندما سئل : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « **الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا** »[٣٥٤] ، وفي رواية : « **الصَّلاَةُ فِى أَوَّلِ**

---

(٣٤٩) سورة إبراهيم – جزء من الآية (٢١) .

(٣٥٠) ديوانه ص٣٧٠ – تحقيق الخزندار .

(٣٥١) الخلل : جمع خلة – بفتح الخاء – ، وهي الحاجة ، والفقر ، والخصاصة ، وفي المثل : " الخلة تدعو إلى السلة " أي : الحاجة تدعو إلى السرقة .

(٣٥٢) سورة الكهف – الآية (٤٥) .

(٣٥٣) ديوانه ص٣٧٢ – تحقيق الخزندار .

(٣٥٤) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود *رضي الله عنه* – كتاب الإيمان – باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال جـ٢ ص٧٣ – شرح النووي – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الرابعة .

وَقْتِهَـــا »[٣٥٥] ، والمقصـود بفعلـه هـو سـنته الفعليـة ، حيـث كـان النبـي صلى الله عليه وسلم أحـرص النـاس علـى أداء الصـلاة فـي أول وقتهـا ، وهـو وقـت الفضيلة ؛ أمـا المـراد بـالأثر فـي قولـه : " إذا أقرأ القوم الأثـر " فحـديث النبـي صلى الله عليه وسلم : « **يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ...** »[٣٥٦] .

وقد نظر أبو مسلم إلى الشعر القديم نظرة تقدير ، واستوعب الكثير من نصوصه ، فبدا أثر مخزونه منه واضحًا في تأثره بفحول الشعراء ، سواء على سبيل الأخذ أم على سبيل التضمين ، فمن الأول قوله مفتخرًا بشيوخ المذهب الإباضي[٣٥٧] :

أولئـك أشـياخي فجئـني بمـثلهم ∴ إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجامـــع

ناسخًا قول الفرزدق[٣٥٨] :

أولَئِـكَ آبـائي فَجِئـني بِمِثلِهِـــم ∴ إذا جَمَعَتنـــا يـــا جَريـــرُ المَجـــامِعُ

---

(٣٥٥) جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه – كتاب الصلاة – باب أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها – حديث رقم (٧٠١) جـ١ ص٤٣٩ – تحقيق عبد السلام محمد علوش – ط/ دار المعرفة – بيروت – سنة ١٤١٨هـ/١٩٨٨م .

(٣٥٦) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب من أحق بالإمامة جـ٥ ص١٧٢ ، وتمامه : « **فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا** – أي إسلامًا ، وفي رواية : **فاكبرهم سنًا – وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِى سُلْطَانِهِ وَلاَ يَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** » .

(٣٥٧) ديوانه ص٣٣٢ – تحقيق الخزندار .

(٣٥٨) شرح ديوان الفرزدق – لإيليا الحاوي جـ٢ ص٧٢ – نشر الشركة العالمية للكتاب – سنة ١٩٩٥م – الطبعة الثانية .

ومن الآخر قوله[٣٥٩] :

وشـدوا بعـزم الرسـل لله غيـــرة ∴ " على قدر أهل العزم تأتي العزائم "

مضمنًا بيته الشطر الأول من مطلع ميمية المتنبي[٣٦٠] :

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ∴ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وسيأتي في الحديث عن تناصه واستدعاءاته مزيد من النماذج التي تؤكد شدة تأثره بالكتاب والسنة وفحول الشعراء المتقدمين[٣٦١] .

العامل الآخر : واقعه :

فقد عاش أبو مسلم فترة عصيبة حرجة في تاريخ أمته ، وكان شديد التفاعل مع واقعه المر ، فعمل جاهدًا على الإسهام في تغييره من خلال دعواته الاستنهاضية لبني جلدته من العمانيين سواء المقيمون في عمان أم في زنجبار، ومن خلال تجاوبه ومشاركته فيما يدور في العالم العربي والإسلامي ، ومن ذلك قصيدته التي أرسلها إلى المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القاهرة في عهد (رياض باشا) إثر فتنة داخلية عمل بعض الأقباط على إثارتها ، وحاول (رياض باشا) وأْد الفتنة وتوحيد الصف ، وفيها يقول أبو مسلم[٣٦٢] :

يـا قطـين النيـل مـا حادثـة ∴ باتَ جفن الدين منها في سَهَر

أقلقـت مصـر وغاظـت غيرهـا ∴ خطـة القِـيط وذاك المؤتـمر

---

(٣٥٩) ديوانه ص٣٢١ – تحقيق الخزندار .

(٣٦٠) ديوانه ص٣٧٤ – تحقيق د/ عبد الوهاب عزام – ط/ الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – سنة ١٩٩٥م .

(٣٦١) انظر : ص .

(٣٦٢) ديوانه ص٣٥٤ – تحقيق الخزندار .

يـا لَقـومي والأسـى كـل الأســى ∴ إن جـرى النيـل علـى هـذا القـدر
أم وصــايا المصــطفى في حقهــم ∴ إن ملكنـــاهم وســـعناهم بـــبر
أم لصـفح الـدين عـنهم بعـدما ∴ جـيش نـابليون وَلاّنـا الدبـــر

ثم يذكرهم جميعًا – مسلمين وأقباط – بالوطنية التي تجمعهم ، وينبههم إلى الخطر الذي يحدق بهم إن هم تمادوا في خلافهم ولم يئدوا الفتنة في مهدها ، فهناك من يتربص بهم لإضعاف شوكتهم ونهب ثرواتهم ، لا فرق عنده بين مسلم وغيره ، فلابد من وحدة الصف والتئام الشمل في مواجهة الخطر الداهم قبل فوات الأوان ، يقول[٣٦٣] :

إن هـــذا النيـــل أمّ حافـــل ∴ كلنـــا يَرضـــع منهـــا وَيَـــذر
فغـــدت حافلنـــا ترضعهـــا ∴ حيّـــة أشـــبه شـــيء بســـقر
رضـــعتها لبَنَـــاً ثم دمـــاً ∴ واغتبطنـــا بمشـــاش وَوَبـــر
نِيلنـا في الغـرب يجـري ذَهَبـاً ∴ وبقينـــا نترامـــى في الحفـــر
فاشـعبوا الوحـدة وحَيـاً قبـل أن ∴ تتـــداعى كهشـــيم المحتظـــر

ويتمنى أن لو كان في استطاعته نصرة إخوانه في مصر والوقوف إلى جانبهم ، مؤكدًا أنه لا يملك – وهو المقيم في شرق أفريقيا بمعزل عن إخوانه – سوى مشاركتهم بأشعاره ، بل بأحاسيسه ومشاعره الجياشة ، يقول[٣٦٤] :

لـو يكـون الشـعر نصـراً لـم أزل ∴ أنظـم إلا نجـم لا أرضـى الـدرُرَ
لـو ملكنـا السـيف لم نرجـع إلـى ∴ قَلَـم في النصـر إن قـامَ عثـر

---

(٣٦٣) ديوانه ص٣٥٥ – تحقيق الخزندار .
(٣٦٤) ديوانه ص٣٥٦ – تحقيق الخزندار .

والغيــور الحــر يُبــدى نصــرَهُ ∴ لأخــي ملتــه كيــف قــــدر

مما يؤكد أن الرجل كان على وعي كبير بما يدور حوله ، يشارك إخوانه في العالم العربي والإسلامي آلامهم وآمالهم ، ويعمل – قدر استطاعته – على تغيير واقع هذه الأمة ، غير أن همه الوطني – لكثرة مآسيه – قد غلب همه القومي ، وشغل الحيز الأكبر من فكره وشعره ، فربما كان يرى أن الأقرب أولى، وأن النهضة بالوطن هي في الواقع نهضة بالأمة ، وأن الإنسان قد لا يتمكن من التأثير في أمته ما لم يكن مؤثرًا في وطنه وبني جلدته ، وقد أكدنا في الحديث عن وطنياته أن الرجل بذل جهدًا كبيرًا في الدعوة إلى مقاومة الغاصب المستعمر وأذنابه من الطغاة المستبدين ، وعمل على مؤازرة الإمام سالم بن راشد الخروصي حتى تمت بيعته بالإمامة ، وقامت دولته في عمان[٣٦٥] .

لقد جند أبو مسلم فكره وقلمه شاعرًا وكاتبًا لخدمة قضيته وقضية أمته التي تتلخص في العمل على مقاومة المستعمرين والمستبدين والتخلص من شرورهم وآثامهم ، كتب في صحيفة (النجاح) – التي كانت تصدر في زنجبار سنة ١٩٣٢م – مقالاً أعادت مجلة (المعالم) – التي تصدر في بريطانيا – نشره[٣٦٦] ، ووصفته بأنه مقال نادر ، وفيه يدعو الدولة العثمانية ، وجمعية الهلال الأحمر التركية ، وجمعيات الإسلام بالهند إلى إعانة المجاهدين في سبيل الله من العمانيين الساعين إلى التمكين لدين الله في أرض عمان ،

---

(٣٦٥) راجع : ص .

(٣٦٦) انظر : مجلة المعالم الصادرة في بريطانيا – العدد الرابع – عدد شوال/ذو القعدة سنة ١٤٢١هـ-يناير/فبراير سنة ٢٠٠١م ص١٨ ، ١٩ .

العاملين على مقاومة الاستعمار من جهة ، والطغاة المستبدين من جهة أخرى ، ومما جاء في هذا المقال : " فالآن نرجع إلى دعائنا إلى الإنسانية والرحمة ، وتقوية الأعصاب الإسلامية ، إذ الإسلام واحد حيث كان وفيمن كان ، والمسلم أخو المسلم حيث كان وأيًّا كان .. وأدعو أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله في مشارق الأرض ومغاربها إلى إعانة المجاهدين في سبيل الله في الإمارة العمانية ، الرافعين علم الحرية والمساواة ، علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، علم الرحمة والشفقة ، إن كانت هذه الخصال في محط نظر جمعية الهلال الأحمر[٣٦٧] ، وجمعيات الإسلام في الهند ، وغيرها ، فقد أصابت لفضلها موضعًا ، ووجدت المحل اللائق والموقع المفتقر إلى المعاضدة والمكاتفة والمعاونة ..

نعم وألف نعم ، والقوم يجاهدون في سبيل ربهم ، وإطلاق حريتهم من مربطها ، وبعثها من مدفنها ، وفي المحاماة عن أوطانهم ، وذراريهم ، ومساقط رءوسهم ، ومدافن أئمتهم ، وعلمائهم ، وأصولهم ، وعن التربة التي فيها نبتوا وعليها نشأوا[٣٦٨] .

ومن يتصفح ديوان أبي مسلم يدرك أنه قد أفاد من دراسته التراثية ، ولم يكن بمعزل عن واقعه ، وكأنموذج لهذا التوازن الذي يقوم على المحافظة على البنية والقالب والتجديد في المضمون أو الرؤية نعرض – على سبيل المثال – لنونيته التي جاءت بمثابة دعوة وطنية واستنهاضية صارخة ، وفي مطلعها

---

(٣٦٧) يعني جمعية الهلال الأحمر العثمانية .
(٣٦٨) مجلة المعالم – العدد السابق ص١٩ .

يقول[٣٦٩] :

تلـك البـوارق حـاديهن مرنـــان ∴ فما لطرفك يا ذا الطرف وسنان
شـجت صـوارمها الأرجـاء واهتـزت ∴ تزجـي خميسـا لـه في الجـو ميـدان
تبجســت بهــزيم الــودق منبثقــا ∴ حـتى تسـاوت بـه أكـم وقيعـان
سقى الشواجن من رضوى وغص به ∴ سر وجوف وغصت منه جرنان
وجلـل السـهل والأوعـار معتمــدا ∴ ربوع ما ضم عندام[٣٧٠] وجعلان

جاءت هذه القصيدة في ثلاثة وثمانين وثلاثمائة بيت من بحر البسيط ، التزم فيها الشاعر وحدة الوزن والقافية ، واختار لها النون المضمومة رويا مع التزام ألف الردف وواو الوصل حتى يعطي قافيته امتدادًا واستطالة تتناسب مع آهاته وتوجعاته ، وتتيح لصوته فرصة الوصول إلى أقصى مدى ممكن ، وكأنه يفسح بهذا الفضاء الصوتي فضاء أرحب وأوسع أمام طموحاته وأمانيه .

وتبـرز فـي هذه المقدمـة ملامـح القوة والجزالـة ، واحتـذاء المقدمات التـي عرفها الشعر العربي في عصوره الأولى ، وإلى جانب ذلك فهي تنبض بالحركة والحياة ، وتعكس ما بداخل الشاعر من حركة وحيوية وتأجج ، فالبروق غدت ركبًا متحركًا يستحثه حاد يغني بصوت كله رنين ، وتصحب حركة هذا البروق صوارم رعد تشق الأرجاء ، وتسوق سحبًا هي أشبه ما تكون في تموجها بحركة الجيش الذي يتخذ من الجو ميدانًا له ، فيبدو الجو ميدانًا فسيحًا لجيوش من البرق والرعد والسحب ، مما يؤذن بهطول أمطار غزيرة لا تلبث أن تداهم

---

(٣٦٩) ديوانه ص٢٩٩ – تحقيق الخزندار .
(٣٧٠) عندام : اسم واد بداخلية عمان ، وصرف لضرورة الشعر .

الأرض فتغمرها وتغطيها في السهول والأوعار .

غير أن حركة هذه السحب وتلك البروق والرعود لا تسير عفويًا أو اعتباطيًا ، إنما تعرف طريقها جيدًا إلى أماكن محدودة لها رمزيتها ودلالتها العميقة في نفس الشاعر وقومه .

ولا يكتفي أبو مسلم برصد تلك الأماكن ببعدها الرمزي والنفسي[٣٧١] ، وإنما يضفي على المطلع فيضًا من مشاعره ومعاناته في غربته ، مما جعله جزءًا لا يتجزأ من تجربته ، وعنصرًا رئيسًا في القصيدة لا مجرد مقدمة لها ، يقول[٣٧٢] :

إن هيج البرق ذا شجو فقد سهرت ∴ عيني وشبت لشجو النفس نيران

وصير البرق جفني من سحائبه ∴ يا برق حسبك ما في الأرض ظمآن

إني أشح بدمعي أن يسح على ∴ أرض وما هي لي يا برق أوطان

هبك استطرت فؤادي فاستطر رمقي ∴ إلى معاهد لي فيهن أشجان

نأيت عنها ولكن لا أفارقها ∴ بلى ، كم افترقت روح وجثمان

نزحت عنها بحكم لا أغالبه ∴ لا يغلب القدر المحتوم إنسان

أعيش في غربة عيش السليم على ∴ رغمي وليس إلى الترياق إمكان

يا برق حرك همومي إن تكن سكنت ∴ فكل حظي تحريك وإسكان

يهيج البرق أحزان الشاعر وأشجانه في مغتربه ، فتتأجج مشاعره ، وتغدو أجفانه سحابة من سحائب البرق ، غير أنه لا يريد لهذا البرق أن يجود بمائه

---

(٣٧١) تمثل هذه الأماكن رمزًا لوطنه ومعاهد ذكرياته ، وقد حال النوى بينه وبينها ، فمجرد ذكرها يهز كيانه ، ويهيج في نفسه آلام الغربة ومعاناتها ، ويحرك آماله في العودة إلى ربوع وطنه ومرتع صباه .

(٣٧٢) ديوانه ص٢٩٩ ، ٣٠٠ – تحقيق الخزندار .

على أرض غير أرضه : " يا برق حسبك ما في الأرض ظمآن " ، بل إنه ليذهب أبعد من ذلك حين يضن بدموعه أن يذرفها على أرض ليست له بأرض، فتروي ترابًا غير ترابه ، وتسقي وطنًا – هو في الواقع – ليس له بوطن .

إنه يحن إلى وطنه بكل ما فيه ومن فيه ، ويطلب إلى هذا البرق الذي هيج مشاعره أن يحمل ما بقي من رمقه المنهك إلى معاهد الأهل والأحبة التي فيها نشأ وعلى أرضها ترعرع ، ويعلن في صراحة تامة أنه لم يفارقها إلا مكرهًا أو مضطرًا ، ونزولاً على القدر المحتوم الذي لا يغالبه أحد ، وأنه يعيش في مغتربه ممزق الأحشاء ، جسده في شرق أفريقيا وروحه في عمان ، وهو أشبه ما يكون باللديغ الذي لا يجد إلى الترياق سبيلاً ، وكانت مأساته تزداد حدة وعمقًا كلما أحس أن العوائق التي أبعدته عن وطنه تزداد حلقاتها استحكامًا .

وكان على أبي مسلم أن يعمل جاهدًا على تغيير واقع بلاده ، لعل الفرصة تسمح بعد ذلك بجمع شتات الروح والجسد ، ومن ثمة جاءت عاطفته في غاية الصدق والتأجج ، فقد امتزجت آلامه بآلام وطنه ، وارتبطت قضيته بقضيته ، فجاءت قصيدته ، بل شعره الوطني – في جملته – مفعمًا بقضية شخص ، وقضية وطن ، وقضية أمة في آن واحد .

إن الحزن المتمخض عن الغربة والحنين في هذا المطلع ما هو إلا مرآة تعكس حزن الشاعر العميق لحالة الفرقة والشتات التي كانت سائدة في بلاده آنذاك ، وما حركة البرق والرعد والمطر واندفاع الماء في السهول والأوعار إلا مرآة للحركة المتوثبة الكامنة في ضلوعه وبين أحشائه ، ومن ثمة يتخذ أبو مسلم من هذا المطلع منطلقًا نحو هدفه وموضوعه فيستنجد بالقبائل العربية ، يذكرها بأمجادها ، ويدعوها واحدة واحدة إلى نبذ الخلاف والفرقة ، ومناصرة

الإمام سالم بن راشد الخروصي ، والعمل على قيام دولة الإمامة بعمان ، يقول[٣٧٣] :

أهل المكارم إن الله أكرمكم ∴ بنعمة العدل إذ للجور بركان
لا تكفروا الله في نعماء أنعمها ∴ فإنما يربط النعماء شكران
فأين أين ذئاب الدو حمتها ∴ بنو تمام ومن ربته جعلان
وأين عنها الجنيبون إنهم ∴ سعد العشيرة عليا مذحج كانوا
غاراتهم برياح الموت عاصفة ∴ وفخرهم بحميد الذكر يزدان
وأين أولاد عيسى والحفاظ لهم ∴ نجد ضراغم أواهون رهبان
صميم كندة حي الملك من يمن ∴ عهدي بهم للهدى حصن وإيوان
أين المساكرة الصيد الغطارف من ∴ ذوائب الأزد حيث المجد والشان[٣٧٤]
في ذروة المجد من فهم إذا انتسبوا ∴ أساود الموت يوم الهول طوفان
شم إذا حزموا نار إذا عزموا ∴ شهب إذا رجموا للفضل هتان
وأين وائل والآثار شاهدة ∴ ومجد وائل في التاريخ شهبان
ذروا الضغائن تذروها الرياح فما ∴ تبقي على خالص الإيمان أضغان
إن الحظوظ التي ترجى بألفتكم ∴ في الدين في محكم التنزيل فرقان
وما شفاء حزازات النفوس سوى ∴ أن يستبد بطب القلب إيمان
طال الرقاد بكم هبوا فديتكم ∴ فالشمس طالعة والسيل

---

(٣٧٣) ديوانه ص٣٠٨ – تحقيق الخزندار .
(٣٧٤) الشان : الشأن ، وسهلت الهمزة لضرورة الشعر .

إرعان[٣٧٥]

هبوا لداعي الهدى هبوا لعزتكم ∴ وكيف نومكم والخصم يقظان

ثم يدعوهم جميعًا إلى نصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي ، مؤكدًا أن طاعته واجب ديني وشرعي ، وأن مخالفته خروج على منهج الله وشرعته ، يقول[٣٧٦] :

يا قوم طاعته في مصركم وجبت ∴ فرضًا عليكم وما في الدين إدهان

قامت عليكم بحكم الله حجته ∴ إن كان فيكم لحكم الله إذعان

إن تتبعوه فعين الرشد خطتكم ∴ أو تعرضوا عنه فالإعراض طغيان

فراقبوا الله فيه إن حجته ∴ قد قام فيها بحكم الله برهان

والقصيدة – في جملتها – دعوة وطنية استنهاضية وحماسية تنم عن همه الوطني ، ومدى تفاعله مع قضية بلاده ، وحرصه على إقامة دولة الإمامة ، دولة الهدى والرشاد في مواجهة الظلم والطغيان والاستبداد الذي طالما عمل الشاعر على مواجهته ومقاومته دون كلالة أو ملل .

وعلى النسق نفسه تسير قصيدته الميمية التي مطلعها[٣٧٧] :

معاهد تذكاري سقتك الغمائم ∴ ملثا متى يقلع تلثه سواجم[٣٧٨]

---

(٣٧٥) إرعان : عظيم شديد ، والمراد : أن الأمور كلها واضحة ظاهرة .

(٣٧٦) ديوانه ص٣١٥ – تحقيق الخزندار .

(٣٧٧) المصدر السابق ص٣١٦ .

(٣٧٨) ملثا : مطرًا غزيرًا ، يقال : لث المطر إذا دام أيامًا لا يقلع .. سواجم : سحائب لا ينقطع ماؤها ، يقال : أسجمت السحابة إذا دام مطرها ، فهو يدعو لها بالسقيا التي لا يجف معينها .

فقد جاءت هذه القصيدة في خمسة وأربعين ومائتي بيت من بحر الطويل ، التزم فيها الشاعر وحدة الوزن والقافية ، واختار لها الميم المضمومة رويا مع التزام ألف التأسيس وواو الوصل ، لتتسع القافية باستطالتها لبث آلامه وآماله : آلامه التي يكتوي بها في غربته عن وطنه ، وفي صراعه مع الدهر الذي حال بينه وبين أمانيه ، وآماله في أن يرى راية الإسلام ، راية الحق والعدل ، راية الحرية والمساواة ، عالية خفاقة فوق وطنه .

وفي مقدمة هذه القصيدة يدعو بالسقيا لمعاهد ذكرياته ، حيث قضى أيام طفولته وصباه ، وقد حال النوى بينه وبينها ، ويذكر حركة البرق ما تثيره في نفسه من أشجان وذكريات ، فتنهمر دموعه التي لا تجف ، يقول[٣٧٩] :

إذا لاح بـرق سـابقته مدامعـي ∴ وليت انطفاء البرق للغرب عاصم
على أن ذكر النفس عهدًا ومعهدًا ∴ أمـض بهـا مـا تمـج الأراقـم
نزحت وفي نفسي شجون نوازع ∴ إليهم،ونازعت الأسى وهو خائم[٣٨٠]
فكم جعلت نفسي تطالب صيرها ∴ بنصـر فيـأبى الصـبر إلا التنـاوم
خليلـي مـا تـذكار ليلـي لبانتـي ∴ أقامـت بنجـد أم حوتهـا التهـائم
ولا ربعها العافي عليه تناوحـت ∴ صـبا ودبـور أم بكتـة الغمـائم
ولا شفني حب لغيداء كاعـب ∴ كما ارتاع خشف في الخميلة باغم[٣٨١]

---

(٣٧٩) ديوانه ص٣١٦ ، ٣١٧ – تحقيق الخزندار .

(٣٨٠) خائم : مقيم لم يبرح ، يقال : خام فلانًا بالمكان إذا أقام فيه ، وخيمت الرائحة بالمكان والثوب : فاحت وثبتت .

(٣٨١) الخشف : الظبي .. باغم : رقيق الصوت ، يقال : بغمت الظبية إذا صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، والمباغمة : المحادثة بصوت رخيم .

ولكـن شـجاني معهـد بـأن أهلـه ∴ فبـان الهـدى في إثـرهم والمكـارم
توشح منهم بالنجوم فمذ هوت ∴ تعمـت علـى أهـل الـبلاد المعـالم
هـو المعهـد الميمـون أرضًـا وأمـة ∴ وإن زمجـرت للجـور حينًـا زمـازم

يربط أبو مسلم بين حركة البرق وما تؤذن به من انهمار المطر وبين فيض مشاعره ، فما إن يلوح برق من أفق عمان حتى يحرك مشاعر الأسى والحنين إلى الوطن في نفس الشاعر بشرق أفريقيا ، فيذرف الدموع ، ويجتر أسى الفراق ، فمجرد تذكره لعهود الصبا ومعاهده بعمان أشد وأقسى على نفسه مما تمج الأراقم .

على أن أبا مسلم لا يحن إلى ليلى ، ولا يطرب إلى هند ، ولا ممن ذهب بلبه حب الغيد الكواعب ، إنما يشتاق ويحن إلى معهد بان عنه رجاله ، فهوت في إثرهم المكارم ، وتعمت على أهل البلاد المعالم ، فهو صاحب قضية وموقف، وإن كانت بلاده تمر بمحنة أو أزمة تزمجر فيها زمازم الجور ، وتعلو فيها كلمة الطغاة المستبدين فإنها للحظة عابرة ومآلها إلى الزوال .

ثم ينتقل إلى غرضه ، بل قضيته التي سيطرت على وطنياته كلها ، وهي الدعوة إلى مناصرة دولة الإمامة وتثبيت أركانها ، والتأكيد على أحقية الإمام سالم بن راشد الخروصي بهذه الإمامة ، فيدعو العمانيين إلى مؤازرته والوقوف إلى جانبه ، ويستحثهم على الثأر من الطغاة المستبدين الذين سفكوا دماء الصالحين المخلصين من الأئمة كالشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وغيره ، ولم يرقبوا فيه ولا في إخوانه إلاً ولا ذمة ، ثم ينتقل من العام إلى الخاص فيخاطب

الشيخ عيسى بن صالح الحارثي[٣٨٢] ، ويذكر بسيرة والده وجهاده واستشهاده في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة دين الله ، ويدعوه إلى اقتفاء أثره والسير على نهجه ، ثم يذكره بحق الإمام سالم عليه ، ويحضه على مناصرته والوقوف إلى جانبه ، يقول[٣٨٣] :

خذي يا خيول الله في كل مرصد ∴ بحملة غيظ تتقيها الصلادم[٣٨٤]
ولا تتناسى سيرة الحبر صالح ∴ فسيرته للمهتدين معالم
تأسى بقوم بالشهادة أكرموا ∴ لهم موطن في جنة الخلد دائم
هل عند عيسى أن يقوم مقامه ∴ وهل عنده أن القعود محارم
وهل عنده أن الجهاد فريضة ∴ وقد وضح الإمكان والخصم خائم
وهل عنده أن الحدود تعطلت ∴ وأن حقوق المسلمين غنائم
وهل عنده أن المناهي أكرمت ∴ وناب أعادي الله في العرف آزم[٣٨٥]
وهل عنده للاستقامة نصرة ∴ وقد هجمت للقاسطين الهواجم
فدى لك نفسي يابن صالح قم بها ∴ فإنك للسيف الإباضي قائم
تجرد لها واذكر وقائع صالح ∴ ودونك أسلاف كرام ضراغم

---

(٣٨٢) هو الشيخ العلامة الأمير عيسى بن صالح بن علي الحارثي ، من بيت علم وفضل ورئاسة ، كان هو ووالده الأمير صالح على سعة في العلم ورسوخ قدم في الدين ، وقد بذلا أنفسهما في خدمة دين الله ونصح المسلمين ، وكانت وفاته سنة ١٣٦٥هـ .. انظر : شقائق النعمان – للخصيبي جـ٢ ص٢٨٩ .

(٣٨٣) ديوانه ص٣٢٢ – تحقيق الخزندار .

(٣٨٤) الصلادم : جمع صلدم ، وهو الفرس الصلب الشديد .

(٣٨٥) آزم : قاطع نافذ ، يقال : أزم على الشيء أزمًا أي : عضه بالفم كله عضًا شديدًا .

وخذ من قلوب المؤمنين بشعبة ∴ فإن قلوب المؤمنين صوارم
أناديك للجلي وأنت شهابها ∴ وقمقامها إن أعوزتها القماقم(٣٨٦)
فخذ من إمام المسلمين بضبعه ∴ فمثلك من تدعو الأمور العظائم(٣٨٧)
وأنت بأحكام الإمام وحقه ∴ عليك وأحكام الولاية عالم

وأخيرًا يمكن القول : إن تجربة أبي مسلم الشعرية كانت مشحونة بعبق التاريخ وعراقته ، ومشحونة مشحوذة كذلك بحرارة الواقع سواء فيما يتصل بشئون حياته ومعاناته في غربته أم فيما يتصل بقضايا وطنه وهمومه التي غدت جزءًا لا يتجزأ من كيانه ، ولا يمكن فصله عن مجريات حياته .

وإن شعر أبي مسلم يشكل حلقة وصل بين جلال الماضي وتصدعات الواقع ، فالمعاصرة التي عاشها إنما كانت معاصرة سياسية واجتماعية في حين أتى شعره في إطار المحافظة على : بناء القصيدة ، وقالبها الشكلي ، وديباجتها العربية الرصينة .

---

(٣٨٦) القمقام : السيد الشريف ، الجامع للسيادة الواسع الخير .
(٣٨٧) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها ، والمراد بقوله : " خذ من إمام المسلمين بضبعه " : قف إلى جانبه وخذ بساعده .

المَبْحَثُ الثَّانِي

إشكالية الزمن في شعره

يشكل عنصر الزمن جانبًا هامًا وحيويًا في شعر أبي مسلم الرواحي ، فالرجل كان ذا وعي شديد بقيمة الزمن ، ولم يكن زمنه الشعري بمعزل عن زمنه السياسي والاجتماعي والتاريخي .

ومن خلال تناوله للزمن وتعامله تبرز عدة نقاط ، أهمها :

١ – شدة وعيه بالزمن وإحساسه بقيمته :

كان أبو مسلم شديد الإحساس بقيمة الزمن ، مدركًا أن الفرص السانحة قد لا تتكرر ، يريد وضع الأمور في نصابها ، وطلبها في أوانها ، من غير عجلة تورث الندم أو تراخ تعقبه الحسرة ، يقول(٣٨٨) :

لا تعجل الأمر أمام وقته ∴ ولا تفته حيث آن بالونى(٣٨٩)

ولا يخفى ما في كلمة (تفته) من دلالة على أثر التراخي والغفلة في إفلات الأمر وضياع الفرص .

ويقول في نونيته(٣٩٠) :

يا للرجال ألم يأن الجهاد لكم ∴ بلى لقد فات إبّان وإبّان

---

(٣٨٨) ديوانه ص٣ – تحقيق الخزندار .

(٣٨٩) آن : حان وقته .. الوني : الفتور والتراخي ، يقال : توانى الرجل في عمله إذا قصر وفتر ، ولم يبادر إلى ضبطه ، ولم يهتم له .

(٣٩٠) ديوانه ص٣١١ – تحقيق الخزندار .

يستغيث أبو مسلم بهؤلاء الرجال – بكل ما تحمله كلمة (الرجال) من معاني الإباء والشمم ، والنخوة والمروءة – ويستنكر ما آل إليه حالهم من الغفلة والتقاعس عن الجهاد ، مؤكدًا أنهم ضيعوا الكثير من الوقت ؛ وفي اختيار كلمة (إبان) وتكرارها مع وجود الروى المضموم ووقوعه بين ألف الردف وواو الوصل ما يعطي زمن الشاعر الاستطالة التي يريدها .

ويتصاعد حسه الزمني فينبه هؤلاء الرجال إلى أن الوقت قد ضاق ، وليس ثمة مجال لضياع ما بقي منه ، فأيُّ تراخ أو تثبيط للهمم لن يعقبه سوى الحسرة والندم ، يقول[٣٩١] :

يـا للرجـال انـدبوا لله غـيرتكم ∴ فالوقت قد ضاق والتثبيط خسران

ثم يتجه إلى القبائل العربية ، ويدعوها واحدة واحدة ، يستثير نخوتها، ويعمل على إلهاب مشاعرها ، من خلال تذكيرها بما كان لها من مواقف وأمجاد وبطولات عبر تاريخها الطويل ، ويطلب إليها مجتمعة أن تشد العزائم في استدراك ما فات من فرص ، فإن الأمل ما يزال يحدوه في أن تسترد هذه القبائل عافيتها ، بل أمجادها ، يقول[٣٩٢] :

يا للقبائل يا أهل الحفاظ ومن ∴ أمجادهم في جبين الدهر عنوان

شدوا العزائم في استدراك فائتكم ∴ إن العـزائم لـلإدراك أقـران

وترتفع حدة إحساسه بالزمن فينبه القوم إلى أن أمامهم فرصة سانحة قد تمكنهم من النصر لو أحسنوا استغلالها ولم يضيعوها شأن ما ضيعوا

---

(٣٩١) المصدر السابق ص٣٠٦ .

(٣٩٢) المصدر السابق ص٣٠٨ .

من فرص ، يقول[٣٩٣] :

جدوا فديتكم في نصر دينكم ∴ فاليوم فيكم لنصر الدين إمكان

فكلمة (اليوم) لها مدلولها الزمني الواضح والمحدد ، إذ تعني أن الظروف في ذلك الوقت مهيأة ، وأسباب النصر ممكنة ومواتية ، أما إذا أفلتت الفرصة من أيديهم بالتراخي أو التقاعس ، فلا يدري أحد إلام تصير الأمور بعد ذلك ؟

ومن ثمة فإن لفظ (اليوم) يحمل في خصوصيته الزمنية معنى استنهاضيًا كبيرًا هو الدعوة إلى النهوض وسرعة التحرك قبل فوات الأوان .

ونظير ذلك قوله في تحريض الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ، وحثه على مناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي وقيام دولة الإمامة ، يقول[٣٩٤] :

وقد أمكنتكم فرصة لقيامكم ∴ وكم رامها من قبل ذا الوقت رائم

فلا تهملوها بعد أن جد جدها ∴ وقام بها حسب الشريعة قائم

فقد عمد أبو مسلم إلى إغراء مخاطبه بأن أمامه فرصة سانحة طالما سعى إليها غيره فلم يدركها ، فليس من الحكمة أن تضيع هذه الفرصة التي قد لا تتكرر ، بل عليه أن يستنفد كل طاقاته في سبيل اغتنامها ، ويدعم هذا الإغراء وجود إمام عادل يعمل وفق منهج الله وشرعته .

وقد وجدت دعوة أبي مسلم هذه آذانًا مصغية من الشيخ عيسى الذي هب لمناصرة الإمام سالم ومؤازرته حتى تحقق للجميع ما آرادوا من قيام

---

(٣٩٣) المصدر السابق ص٣١١ .

(٣٩٤) المصدر السابق ص٣٢٣ .

دولة الإمامة وتثبيت أركانها .

وفي مقصورته يستنكر أبو مسلم ما يراه من تراخي أمته وصبرها على الذل والهوان ، فيتوجه إليها بسيل من الاستفهامات المتلاحقة المفعمة بعنصر الزمن ، يقول(٣٩٥) :

أين رجال اللّه ما شأنكم ∴ إلى متى في ديننا نرضى الدنا

إلى متى نعجز عن حقوقنا ∴ إلى متى يسومنا الضيم العدا

إلى متى نخزى ولا يؤلمنا ∴ كالميت لا يؤلمه حز الشبا(٣٩٦)

إلى متى تعركنا أحكامهم ∴ إلى متى إلى متى إلى متى(٣٩٧)

فالشاعر يقابل بطء حركة الأمة بهذه الحركة الزمنية المتسارعة ، وتلك الاستفهامات الاستنكارية المتلاحقة ، وكأني به يريد أن يتخذ من هذا السبيل الاستفهامي الجارف أداة يلهب بها مشاعر أمته ويدفعها نحو الجهاد والتحرر دفعًا لا هوادة فيه .

٢ – مزجه بين الأزمنة ، واختزاله المسافة الواقعة بين الماضي والحاضر :

ففي مواجهة الحاضر المؤلم المثقل بالنكسات يغوص الشاعر في أعماق ماضي الأمة المجيد ، ويكثر من استدعائه ، ويعمل على حفره في ذاكرة الحاضر ، ذلك أن " مهمة الشاعر والثوري لا يمكن أن تتحقق بإبداع وإعادة خلق الواقع وتغييره من خلال الحاضر فقط ، بل لابد لهما

---

(٣٩٥) المصدر السابق ص٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٣٩٦) الشبا : حد السيف ونصله .

(٣٩٧) تعركنا : تصرعنا وتقتلنا ، وترمينا بالشرور والمصائب ، يقال : عرك فلان فلانًا إذا حمل عليه الشر ، وعاركه أي : قتله ، وعركته الحرب : دارت عليه .

أن يمتاحا آبار الماضي ، وأن يكتشفا كهوفه السحرية التي خيم عليها الصمت ، لإضاءته واكتشاف الدلالات المتجددة فيه "[٣٩٨] ، واستمداد أسباب القوة منه ، وتوظيف هذه الأسباب في إعادة تشكيل الواقع ، وهو ما نلمسه في كثير من قصائد أبي مسلم ولاسيما الاستنهاضية منها ، يقول في نونيته[٣٩٩] :

إن السيوف التي كانت لسالفكم ∴ ما ضمها معهم رمس وأكفان
كانت بوارق في الأخطار ساهرة ∴ وهم أصحابها في المجد سهران
فاليوم نامت هموم القوم في جدث ∴ وساهر البرق في الأغماد وسنان
تكاد أن تتلاشى من تحرقها ∴ غيظًا على صار أو حزنًا على كانوا
أورثتموها من الأوتار مشعلة ∴ كأنها في دخان الحرب نيران
واليوم تغمط فيكم وهي مغضبة ∴ وما بكم لحقوق السيف غضبان
ما عودتها بنو عدنان ما لقيت ∴ منكم ولا أسكنتها الغمد قحطان

يعمل أبو مسلم على إلهاب المشاعر وإثارة الهمم من خلال إبراز المفارقة الواضحة بين ماضي الأمة المشرق وحاضرها المؤلم ، فيعمد إلى اختيار كلمة السيوف التي هي رمز للقوة والمجد ، ويقارن بين سيوف اليوم وسيوف الأمس في مقابلة بين صورتين متباينتين :

أ – صورة الماضي بسيوفه المشتعلة الأوتار ، المسلولة على رقاب

---

(٣٩٨) تجربتي الشعرية – للبياتي – ديوانه جـ٢ ص٣٢ – ط/ دار العودة – بيروت – سنة ١٩٧٩م – الطبعة الثالثة .

(٣٩٩) ديوانه ص٣٠٧ – تحقيق الخزندار .

الأعداء ، وكأنها نار تلفح أعناقهم ، وبرجاله الشم الأباة الذين عرفوا لهذه السيوف حقها ، وحفظوا لها عهدها ، فسهروا في سبيل المجد حتى كان لهم ما أرادوا من عزة ومنعة .

ب – وصورة الحاضر الذليل المهين بسيوفه الوسنانة في غمدها ، تكاد تتلاشى تحرقًا وأسى على ما ضاع من مجد هذه الأمة ، وما آل إليه حال أبنائها من الذل والهوان ، حتى صارت السيوف تغمد في أعناقهم فلا تحس لهم حركًا ، ولا تجد بينهم حرًا أبيًا يذود عن نفسه أو حماه .

وفي قوله : " نامت هموم القوم في جدث " إبراز لما أصاب همم هؤلاء القوم من تبلد حتى غدت في حالة موات تحتاج إلى بعث جديد ، وهو ما يحاول الشاعر الوصول إليها من خلال مقابلته .

وقد سيطر تعلق الشاعر النفسي بالماضي على اختيار أدواته ومفرداته ، فتكرر الفعل الماضي في الأبيات عشر مرات مقابلة بثلاث مرات للفعل المضارع ، وجاء لفظ (سالفكم) ليذكر بما لهؤلاء الأسلاف من عزة ، ويستدعي إلى الذاكرة ما حققوا من أمجاد ، وجاء قوله : " غيظًا على صار أو حزنا على كانوا " إبرازًا للحسرة والندم على ما ضاع من أمجاد هؤلاء الأسلاف العظام .

ولا شك أن تقصير الخلف عن رتبة سلفهم يستدعي الحسرة والأسى ، ويستوجب اللوم والذم ، حيث يؤكد النقاد أن فضيلة الوالد قد تكون منقصة للولد إذا قصّر عن رتبة والده(٤٠٠) .

---

(٤٠٠) انظر : الصناعتين – لأبي هلال العسكري ص١١٥ – تحقيق د/ مفيد قميحة – ط/

ومن اختزاله المسافة الواقعة بين الماضي والحاضر قوله – معرضًا بالسلطان فيصل بن تركي –[٤٠١] :

قد كنت نخبة هذا الأمر من قدم ∴ واليوم أنت على الأبواب زبان

فقد اختزل المسافة الواقعة بين لفظ (كنت) المعبر عن سيرة آباء السلطان فيصل وأجداده ، ولفظ (اليوم) المعبر عن واقعه ، ووضعه في مواجهة حرجة سافرة بين حاضره الموالي للاستعمار المتعلق بأذنابه ، وماضي آبائه وأجداده الذين أبوا موالاة المستعمر أو مداهنته ، وكانوا له بالمرصاد حتى ردوه خاسئًا عن عمان وشرق أفريقيا ، فبينما كان آباؤه وأجداده نخبة الحكام يصبح هو زبانًا على الأبواب ، ولا يخفى ما تحمله كلمة (زبان) من معاني الذلة والضعة .

وقوله[٤٠٢] :

وكانت عمان الجور ملء إهابها ∴ مجاهل غفلاً ليس فيها معالم

فأشرق نور الله في عرصاتها ∴ إلى أن أضاءت من سناها العوالم

فيختزل بقوله : " وكانت .. فأشرق " المسافة بين عصرين أو عهدين: عصر الظلم والجور ، ويقصد به تلك الفترة التي سبقت دولة الإمام ، وعصر الهدى والرشاد ، ويعني به دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي الذي كان الشاعر يؤازره ويناصره ، ويرى في إمامته خلاصًا لأهل عمان من الظلم والجور ، والذل والهوان ، فيبرز من خلال تقابله

دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م – الطبعة الأولى .

(٤٠١) ديوانه ص٣١٢ – تحقيق الخزندار .

(٤٠٢) المصدر السابق ص٣٢٠ .

البون الشاسع بين العهدين : عهد الظلام ، وعهد الهدى والرشاد .

٣ – قوة ارتباطه بالماضي وشدة تعلقه به :

كان أبو مسلم شديد الارتباط والتعلق بماضي أمته وتاريخها المجيد ، يرى فيه القدوة والمثل ، ويريد أن يتخذ منه منطلقًا نحو الحاضر والمستقبل ، فقد ألح في كثير من قصائده على التذكير بأمجاد أمته ، والإشادة بما صنعه وقدمه أسلافنا العظماء ، يقول في مقصورته(٤٠٣) :

هم علموا الدهر مراس قرنه ∴ ثم انتهى بعد المراس مهتدى
هم علموا السيف مضاء عزمهم ∴ فهو قرين عزمهم حيث انتوى
هم عقدوا بالعز عين همهم ∴ فلا تداني ذلة لهم حمى
لا يطرق الضيم عزيز ركنهم ∴ ولا يضام عائذ به احتمى
هم لكبات الخميس حدها ∴ وجدها وشدها والمحتمى
هم غربوا وشرقوا وأيمنوا ∴ وأشأموا ومهدوا لنا الذرى
وهم سروا بجدهم وجهدهم ∴ فحمدوا صباحهم غب السرى
همو أقاموا سنناً شامخة ∴ تمثل الشهب ارتفاعاً وسنا

يريد أبو مسلم – من خلال تذكيره بماضي الأمة وتاريخها المجيد – أن يضع المتلقي في حالة موازنة بين هذا الماضي المشرق والحاضر المؤلم ، وكان لتعلقه بهذا الماضي التليد أثره الواضح في اختيار أدواته ، فقد ورد الفعل الماضي في هذه الأبيات أربع عشرة مرة مقابلة بأربع مرات

---

(٤٠٣) ديوانه ص٣٤٨ – تحقيق الخزندار .

للفعل المضارع ، مما يؤكد أن الشاعر كان مشدودًا بقوة إلى عظمة الماضي ، حتى إنه ليريد أن يفرضها على حاضره ومستقبله .

غير أنه كان يؤكد أن مجرد الاعتماد على أمجاد السابقين والتغني به لا يحقق مجدًا ولا ينهض بأمة ، يقول[٤٠٤] :

أسلافنا ومالنا من مجدهم ∴ إلا حديث بعدهم لا يفترى
والمجد لا يملك عن وراثة ∴ لكن بتحطيم الشبا على الشبا
عز على ما أثلث عهودها ∴ كسب المعالي واندفاع ما عنا[٤٠٥]
ولو تقلدنا فعال أهلها ∴ لم يعبث الفأر بهيصار الشرى[٤٠٦]
نعيش في هينمة بذكرهم ∴ يعقبها واهاً وأنى ومتى[٤٠٧]
نعم لهم سوابق لكنها ∴ لا تنعش الجد إذ الجد كبا
معصومة الذروة لا يبلغها ∴ إلا همام باللهاميم اقتدى
إذا اتكلنا قعدداً عليهم ∴ لم يسلم المجد اذا من الأذى
ليسوا رجالاً لا نطيق فعلهم ∴ لكنهم جدوا وقصرنا الخطى

فمجرد الإشادة بذكر الآباء والأجداد مع عدم السير على طريقهم لا يعقبه إلا الحسرة والأسى وضياع ما حققوا من مجد ، فطريق المجد قاس وعسر لا يدركه إلا السادة اللهاميم الذين يعرفون طريق البذل والتضحية

---

(٤٠٤) المصدر السابق ص٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(٤٠٥) أثلت : بنت وأصلت .. عني : حل ونزل ، يقال : عني الأمر بفلان إذا نزل به .
(٤٠٦) هيصار الشرى : الأسد الشديد المفترس ، والشرى : مأسدة بجانب الفرات تعرف بشدة أسودها وقوة افتراسها .
(٤٠٧) الهينمة : الكلام الخفي لا يفهم .

والجهاد .

وفي بيته الأخير يؤكد أن ما حققه الآباء والأجداد ليس ضربًا من المحال لا سبيل لتكراره أو الوصول إليه ، كل ما في الأمر أنهم جدوا وقصرنا ، وأنهم شمروا عن ساعد الجد وخلدنا إلى جانب الراحة والدعة .

ويرصد أبو مسلم في ديوانه بعض المواقف والأحداث التاريخية ، وبخاصة ما يتصل بتاريخ أسلافه الشراة ، فقد أشاد بهم وبتضحياتهم في كثير من قصائده ، على شاكلة قوله في قصيدته النهروانية(٤٠٨) :

جزى اللّه أهل النهروان رضاءه ∴ وما فوق مرضاة الاله أجور
كما جاهدوا في اللّه حق جهاده ∴ وقاموا بما يرضى وفيه أبيروا
وماتوا كراماً قانتين وكلهم ∴ على الموت صبار هناك شكور
شراة سراة لا يخط غبارهم ∴ وإن أبلحت فوق الأمور أمور
إذا انتهكت من دين الاسلام حرمة ∴ فليس لهم عيش هناك قرير
كرام شداد الغار ي ذات ربهم ∴ على كل حال والمحب غيور
نفوسهم حيث ابتلوا وجه ربهم ∴ قرابين منهم قدمت ونذور
ندين لوجه اللّه طوعاً بحبهم ∴ وما شنآن الملحدين مضير

ولم يكن أبو مسلم مشدودًا إلى تاريخ أسلافه الشراة فحسب ، بل كان – على الجملة – يرى أن عصر النبي *صلى الله عليه وسلم* وعصر صحابته *رضي الله عنهم* خير القرون ، ثم الذي يليه ، وهكذا الأقرب فالأقرب ،

---

(٤٠٨) ديوانه ص٣٢ – تحقيق الخزندار .

يقول[٤٠٩] :

خير القرون قرين المصطفى وكذا ∴ حكم القرينين لا ينفك من أثر

فمات عنهم رسول اللّه عدتهم ∴ كالأنبياء عدول الحكم والسير

متأثرًا في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ...** »[٤١٠] .

ويمكن القول : إن أبا مسلم كان مشدودًا إلى الماضي بحكم ثقافته الدينية التي تربى فيها على مائدة الكتاب والسنة ، وثقافته الأدبية التي تتلمذ فيها على دواوين فحول الشعراء ، وموازنته الدائبة بين ماضي أمته التليد وحاضرها المؤلم ، مما جعله يتيه فخرًا بماضيه ، ويعمل على الاقتداء به ، واستمداد أسباب القوة منه .

٤ – التوافق بين شعره وواقعه :

لم يحل ارتباط أبي مسلم بالماضي وتعلقه النفسي به بينه وبين حاضره ومستقبله ، فلم تكن نظرته إلى ماضيه نظرة جامدة أو متحجرة ، فقد حاول الرجل أن يفيد من عبر التاريخ وعظاته ، وأن يتخذ من ماضي أمته المجيد منطلقًا للمضي قدمًا وعلى أساس صلب نحو الحاضر والمستقبل ، فجاءت قصائده الوطنية مفعمة بروح الاستنهاض ، ومحاولة تغيير الواقع ، والإسهام في صنع مستقبل يقوم على العزة والإباء ،

---

(٤٠٩) المصدر السابق ص٣٢ .

(٤١٠) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه – حديث رقم (٣٦٥١) ، وتمامه : « **ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ** » .

والحرية والمساواة ، وإعلاء كلمة دين الله ورواية الإسلام عالية خفاقة في عمان وغيرها من أرجاء الوطن العربي والإسلامي ، وقد ذكرنا في الحديث عن وطنياته واتجاهه الفني العديد من النماذج التي تحمل هذه الروح(٤١١).

وفي نونيته يبتهج ببيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي إمامًا لأهل عمان ، ويعبر عن غبطته وغبطة الكون كله بهذه البيعة المباركة ، فيقول(٤١٢):

وأعرب الكون عن بشرى ضمائره ∴ فالكائنات أغاريد وألحان
أمنية رقب الإسلام طلعتها ∴ أتاحها الله ، لم يضرب لها آن
وللأماني أوقات إذا قدرت ∴ وللأماني آيات وإيذان
تمنعت في خدور الغيب آونة ∴ ثم انجلت فانجلى عدل وإحسان
جاءت إمامته والأرض مظلمة ∴ والناس فوضى وأهل الجور ذؤبان
فأشرق العدل في أرجائها ولقى ∴ عز المفاسد إرهاق وإيهان
جاءته ما كان بدعًا من أئمتها ∴ من جده ابن تميم المجد (عزان)(٤١٣)
لا ينكر الناس ما للقوم من قدم ∴ وكيف يلحق عين الشمس نكران
يا سالم الدين والدنيا ابن راشد خذ ∴ أمانة الله والأقدار أعوان
أنت الضليع بها حملاً وتأدية ∴ إذ كل أمرك تدبير وإتقان

---

(٤١١) راجع : ص ٦٣ ،١٧٥ .

(٤١٢) ديوانه ص٣٠٤ – تحقيق الخزندار .

(٤١٣) هو الإمام عزان بن تميم الخروصي ، من أئمة الإباضية بعمان ، بويع بالإمامة في نزوى سنة ٢٧٧هـ بعد خلع الإمام راشد بن النضر .. انظر في ترجمته : الأعلام جـ٤ ص٢٢٨ ، والمراد : ليس بدعًا أن يقلد الإمام سالم بن راشد الخروصي إمامة أهل عمان ، فإن لهم فيها مجدًا سالفًا وإرثًا قديمًا منذ إمامة جده عزان بن تميم الخروصي .

ويدعو السيد/ فيصل بن تركي – الذي كان يحكم عمان الساحل آنذاك ، وينازع الإمام سالم على حكم عمان الداخل – إلى مبايعة هذا الإمام بعد أن ثبت بالحجة القاطعة حقه في هذه الإمامة ، وقد بايعه أهل الحل والعقد بها ، فصار الخروج عليها عصيانًا لله ورسوله وأولي الأمر ، وينصحه بالمبادرة إلى هذه البيعة كي يكفر عما اقترفه في حق نفسه وفي حق دينه بمحاربة أهل الاستقامة والعدل ، يقول مخاطبًا إياه[٤١٤] :

فاتبع إمامك والزم غرز سيرته ∴ ودع هوى النفس إن النفس شيطان
كنت السفينة للإسلام تحمله ∴ ثم انكفأت به والغي طوفان
كنت المرزء للإسلام تكلؤه ∴ واليوم من كثر ما يشكوك ضجران
فافتح فديتك عيني حاذر يقظ ∴ فإن كاتب ما تمليه يقظان
طهر ثيابك واغسل راحتيك فها ∴ تيك المطامع أوساخ وأدران
واحمد نصيحة حر لا يريد بها ∴ ذمًّا وفيك لطود الحمد أركان
إن تعرف الصدق في نصحي فقد سبقت ∴ عهود صدق وإخلاص وإحسان
ليس الخليل المداجي عند شائنة ∴ إن المداجي في العوراء فتان[٤١٥]

وإن كنت أرى أن أبا مسلم كان قاسيًا في دعوته ونصيحته للسلطان فيصل ، فللملوك أقدارهم ومنازلهم ، وربما كان اللين والرفق في دعوتهم أكثر فائدة وأدعى للاستجابة من هذه النبرة اللاذعة التي بدت أقرب إلى اللوم والتأنيب منها إلى النصح والتوجيه .

---

(٤١٤) ديوانه ص٣١٤ – تحقيق الخزندار .
(٤١٥) الفتان – هنا – : بمعنى الشيطان .

ويبدو أن تعصب أبي مسلم لإمامه ، وضيقه بمناوئة خصومه الذين كانوا لا يزالون يناصبونه العداء ، ويعملون على وأد دولته في مهدها – وفي مقدمتهم السلطان فيصل نفسه – هو ما أدى به إلى تجاوز حدود النصيحة التي ينبغي أن يخاطب بها الملوك .

ولم يقتصر تعبير أبي مسلم عن واقعه ، ومحاولته الإسهام في تغييره على وطنياته ، فقلما يترك الرجل فرصة أو مناسبة دون أن يمس فيها واقعه من قريب أو بعيد ، يقول في تخميسه لقصيدة (سموط الثنا) للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي[٤١٦] :

ومن لي بأنصار إلى اللّه وحده ∴ أشداء بأس في الحروب أسود

كرام إذا شدوا وصُبرّ على الأذى[٤١٧]

لهم غيرة في اللّه لم يشربوا القذى[٤١٨]

إذا برقوا لم ينفذ الخصم منفذا

تباري النعام الربد خيلهم إذا ∴ بحيء على نصر المهيمن نودى

صناديد يبغون المنية مفزعا

---

(٤١٦) ديوانه ص١٦٤ .. وفن التخميس في الشعر العماني – ليحيى البهلاني ص٧٤ .

(٤١٧) صبر : أصلها (صُبُر) – بضم الصاد والباء – ، وقد سكن الشاعر الباء هنا لضرورة الشعر ، وهي جمع صبور ، وهو المعتاد الصبر القوي عليه .

(٤١٨) القذى : الشراب الكدر ، والمراد : لم يقبلوا الضيم .

ولا يــردون العــيش إلا تــذرعا[٤١٩]

يبيعون للّه النفوس تطوعا

يغاث بهم داع إلى اللّه قد دعا ∴ وخوصم في ذات الاله وعودي

ومن لي بسهم من يد اللّه مرسلا

يفضض حيزوم الأعادي مجدلا[٤٢٠]

إذا انقض هز الكون وارتعد الملا

ومن لي بسهم يقطع الهام والطلى ∴ ويفري من الأعداء كل وريد

كل ذلك يؤكد أن أبا مسلم لم يكن بمعزل عن واقعه أو عن المشاركة في صنع أحداثه ، بل إن بعض الكُتّاب يرون أن شعره – في جملته – يدور حول قضية محورية هي قضية الاستنهاض ، يقول الأستاذ/ عبد الرحمن الخزندار في تقديمه لديوانه : " إن شعر أبي مسلم – في حقيقته – كله جانب واحد ، وإن تجزأ ، فهو يلتقي في ناحية واحدة هي الاستنهاض ، فحتى عندما يعبد الرجل ربه ، ويدعوه بالشعر ، ويسبحه به .. يعود إلى الظالمين فيستنزل عليهم غضب الله ﷻ ، وكأنه يريد أن يطهر نفس قارئ شعره بذكر الله أولاً ليهيئها للعمل خالصة في مقابلة الظلم "[٤٢١] .

---

(٤١٩) تذرعًا : تقربًا إلى الله تعالى ، من الذريعة بمعنى الوسيلة .

(٤٢٠) يفضض : يقطع ويمزق ، وفي لسان العرب عن ابن الأعرابي يقال : فضضت ما بينهما إذا قطعته .. الحيزوم : الصدر ، وقيل : وسطه ، وقيل : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .

(٤٢١) مقدمة ديوان أبي مسلم – لعبد الرحمن الخزندار ص١٠ .

المَبْحَثُ الثَّالِث

المعجم والأسلوب

أولاً : معجمه الشعري

من سمات الشاعر المبدع أن تكون لغته منتقاة ، وأن يجيد اختيار الألفاظ التي تكشف عن رؤاه ، وتشف عن أهم الأفكار المهيمنة على خطابه الشعري ، و" لكي نكشف عن روح شاعر ما ، أو على الأقل عن شواغله العظمى علينا أن نبحث في أعماله عن أكثر الكلمات دورانًا ، فهذه الكلمات هي التي تبوح بهواجسه الملحة "(٤٢٢) .

وقراءة المعجم الشعري لأبي مسلم الرواحي تكشف بجلاء ووضوح عن اتجاهه الإسلامي ، ومواقفه الإصلاحية والوطنية ، فأكثر الكلمات التي تعد رموزًا أو مفاتيح لمعجمه تنبع من رؤاه الإسلامية ، وتتصل بهمه الإصلاحي والاستنهاضي اتصالاً وثيقًا ، إذ يأتي حقل الثقافة الإسلامية في مقدمة الحقول المعرفية التي استقى منها الشاعر مادته المعجمية ، وتحتل الألفاظ المحملة أو المفعمة بدلالات ذوات بُعْد إصلاحي أو استنهاضي أو تربوي مكانًا بارزًا في هذا المعجم .

وهاكم أهم سمات معجمه الشعري :

---

(٤٢٢) علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته – د/ صلاح فضل ص٣٢١ – ط/ النادي الأدبي – جدة – سنة ١٩٨٨م .

أ – هيمنة الألفاظ المستقاة من حقل الثقافة الإسلامية :

إذا كان الشاعر الإسلامي لا يتميز من خلال مواقفه أو رؤاه فحسب ، إنما يتميز – أيضًا – من خلال لغته الشعرية التي تنم عن عالمه الخاص حياة وثقافة وفكرًا .. فإن معجم أبي مسلم الشعري يكشف بجلاء عن عمق ثقافته وميوله الإسلامية ، حيث تسيطر عليه الألفاظ المستقاة من حقل الثقافة الإسلامية كتابًا وسُنّة ، وفقهًا ، وعقيدة ، وتصوفًا ، فيشيع في معجمه ذكر لفظ الجلالة ، وأسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وألفاظ الذكر والدعاء ، وبعض عبارات الكلاميين والفلاسفة والمتصوفة بصورة لافتة للنظر .

كما تردد الألفاظ الدالة على التوبة وطلب الصفح والغفران ، وألفاظ الإسلام ، القرآن ، كتاب الله ، الشريعة ، الصلاة ، الصيام ، الإحرام ، بصورة تنم عن مدى حضور الثقافة الإسلامية وسيطرتها على معجمه وأدواته ، يقول في قصيدته النهروانية[٤٢٣] :

وخذ بكتاب اللّه حسبك أنه ∴ دليل مبين للطريق خفير[٤٢٤]

فما ضل من كان القرآن دليلهُ ∴ وما خاب من سيرَ القرآن يسير[٤٢٥]

تمسك به في حالة السخط والرضا ∴ وطهر به الآفات فهو طهور

---

(٤٢٣) ديوانه ص٢٥ – تحقيق الخزندار .
(٤٢٤) خفير : حارس .
(٤٢٥) القران : القرآن ، وخفف لضرورة الشعر .

وأسس على تقوى من اللّه توبة ∴ نصوحاً على قطب الكمال تدور
وزن صالح الأعمال بالخوف والرجا ∴ هما جنة للصالحات وسور[٤٢٦]
وبالعدل والاحسان قم واستقم كما ∴ أمرت وبادر فالمعاش قصير

وأوضح أن هذه الأبيات معجمًا وفكرًا قد طبعت بطابع ديني صرف ، فوردت ألفاظ : كتاب الله ، القرآن ، طهر ، طهور ، تقوى ، لفظ الجلالة ، " توبة نصوحًا " ، قطب الكمال ، صالح الأعمال ، الصالحين ، العدل والإحسان ، قم واستقم .

ويقول في قصيدته التائية (هو الله)[٤٢٧] :

الهي سمع الحق ليس بآلة ∴ ولا صفة بالذات قامت وحلت
ولكنه علم قديم مطابق ∴ لماهية المعلوم باللازمية
سمعت دبيب النمل يا سامع الدعا ∴ على الصخرة الصماء في الحندسية

الهي صراخي بالدعاء سمعته ∴ وليس دعاء لافتخار وسمعة

الهي لا تجعل سبيلاً لكافر ∴ على مسلم مستمسك بالشريعة
الهي فاحكم لي عليه ورده ∴ بحكمك عني يا نصيري وعدتي

وفي حكمك القسط الذي أنت أهله ∴ معاجلة الطاغي بأخذ العقوبة

---

(٤٢٦) جنة – بضم الجيم – : وقاية .
(٤٢٧) ديوانه ص٧٦ ، ٧٧ – تحقيق الخزندار .

ففـي البيتـين الأول والثـاني تسـيطر بعـض العبـارات والمصـطلحات المستمدة من علم الكلام ، مثل : سمع الحق ليس بآلة ، صفة الذات ، قامت فحلت ، علم قديم مطابق ، ماهية المعلول ، اللازمية .

وفي الأبيات من الثالث إلى السابع يتكرر لفظ (الدعاء) ثلاث مرات ، ولفظ (إلهي) ثلاث مرات – أيضًا – ، إضافة إلى ألفاظ : مسلم ، كافر ، الشريعة ، القسط ، العقوبة .

على أن هذه الظاهرة في شعر أبي مسلم الرواحي أوضح وأجلى من أن يستدل عليها بنموذجين أو عدة نماذج ، فيكفي أن نقرأ أيًّا من قصائده لنقف على مدى تشبعه بالثقافة الإسلامية فكرًا ومعجمًا .

ب – كثرة دوران الألفاظ ذوات البعد الاستنهاضي :

إذا كان الاستنهاض هو المحور الرئيسي في شعر أبي مسلم فإن الألفاظ التي تحمل معنى استنهاضيًا أو حماسيًا ، والتي تعبر عن القتال وأدواته تحتل مكانًا بارزًا في معجمه الشعري ، فتتراكم في شعره ألفاظ : السيف ، الحسام ، السهم ، القوس ، القنا ، الرجال ، الكماة ، الخيل ، جند الله ، كتائب الله ، غارة الله ، الجهاد ، الطعان ، الحرب ، الهيجاء ، النصر ، الفتح ، الشهادة ، العدو ، الأعداء ، الطغاة ..

وتحت تأثير موروثه الثقافي ألح الشاعر على ذكر أدوات القتال التي ارتبطت في ذاكرة المسلمين بملاحم الفتوحات ، ومعاني العزة والنصر ، والرفعة والإباء ، وكان السيف الذي هو رمز القوة والمجد في مقدمتها ، فتكرر ذكره سبعًا وخمسين مرة في أربع قصائد فقط[٤٢٨] .

---

(٤٢٨) هي وطنياته الأربع : النونية ، والميمية ، والعينية ، والمقصورة .. ديوانه ص٢٩٩–

وفي قصيدته النونية (الفتح والرضوان) وحدها يتكرر لفظ (الرجال) ستة عشر مرة[٤٢٩] ، وعندما يعمد الشاعر إلى تكرار هذه الكلمة فإنه – بلا شك – يعني كل ما تحمله من معاني الإباء والشمم ، والنخوة والمروءة ، والشجاعة والإقدام ، وكأني به يستدعي قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾[٤٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٤٣١] .

وفي القصيدة نفسها يتكرر ذكر (السيف) اثنتي عشرة مرة ، و(كتائب الله) تسع مرات ، ولفظ (الفتح) ست مرات ، و(غارة الله) خمس مرات ، إضافة إلى ألفاظ : الجهاد ، الحرب ، النصر ، الحسام ، الأسنة ، الفرسان ، الخيل ، الطعان ، العدا ، مع تكرار بعض هذه الألفاظ .

وفي إسناده كلمة (كتائب) إلى لفظ الجلالة ، وتكرارها في صدر تسعة أبيات تباعًا[٤٣٢] ، ما يؤكد إلحاحه في دعوته هذه الكتائب أن تقوم بواجبها ، وتنهض لحمل الأمانة المنوطة بها والملقاة على عاتقها ، وأن

---

٣٥٢ – تحقيق الخزندار .

(٤٢٩) ديوانه ص٣٠٦ ، ٣٠٧ – تحقيق الخزندار .

(٤٣٠) سورة الأحزاب – الآية (٢٣) .

(٤٣١) سورة النور – الآية (٣٦) وجزء من الآية (٣٧) .

(٤٣٢) انظر : ديوانه ص٣١٢ – تحقيق الخزندار ، وقد سبق ذكر بعض هذه الأبيات ص٦٨ .

تكون عند مستوى التشريف الذي اكتسبته من إضافتها إلى لفظ الجلالة ونسبتها إليه .

كل ذلك يؤكد أن ثمة اتساقًا وانسجامًا بين فكر الرجل ومعجمه الشعري ، وينم عن صدق تجربته الشعرية التي جاءت معبرة عن فيض مشاعره دون تكلف أو اعتساف .

جـ – كثرة استخدام المشتقات والمصادر الصناعية :

أسهب أبو مسلم في استخدام المشتقات بصورة لافتة للنظر ، وعلى ما يبدو فإنه كان يرمي من وراء ذلك إلى أمرين :

الأمر الأول : تقوية المعنى وتأكيده ، والإحاطة بالفكرة من جميع أو معظم جوانبها ، يقول العقاد : " والإفراط في استخدام المشتقات والأفعال المزيدة هو الوسيلة التي لابد منها للشاعر العربي الذي يريد أن يتناول المعنى من جميع نواحيه ، ويتدرج في مختلف درجاته "(٤٣٣) .

ويتضح ذلك بجلاء في قصائد الذكر والدعاء ، وبخاصة قصيدته التائية (هو الله) التي عرض فيها لأسماء الله الحسنى واحدًا واحدًا ، محاولاً استقصاء المعاني الخاصة بكل اسم من أسمائه تعالى ، على شاكلة قوله في الحديث عن اسم الله (الكريم) ﷻ(٤٣٤) :

إلى كرم اللّه الكريم وجوده ∴ أوجه آمالي وأوفد رغبتي

بباب الكريم الأكرم المكرم الذي ∴ له مطلق الاكرام أنزلت بغيتي

---

(٤٣٣) ابن الرومي : حياته من شعره – للعقاد ص٣٣٣ – نشر المكتبة العصرية – بيروت – سنة ١٩٨٤م .

(٤٣٤) ديوانه ص٨٤ – تحقيق الخزندار .

بباب كريم الذات قدراً ورفعة ∴ كريم الصفات الطاهرات الزكية
بباب كريم العفو عن أي مذنب ∴ بباب كريم الجود قبل الوسيلة

بباب الكريم المجزل الفيض والعطا ∴ بدون سؤال العبد من غير منة
بباب كريم لم يقنط عصيه ∴ بباب كريم لا يبالي بنعمة
بباب كريم لم يضع متوسلاً ∴ ولا لاجياً سبحانه بمضيعة[٤٣٥]

ببابك يا من بابه وجهة الرجا ∴ وإن قبحت بيني وبينك سيرتي
فاكرم مقامي بالذي أنت أهله ∴ وما أنت أهل يا كريم لخيبتي

وإن كان هذا التكرار قد ألحق بالأبيات ثقلاً كان على الشاعر أن يتخلص منه ، أو يحاذر من الوقوع فيه .

الأمر الثاني : الإسهام في قوة الإيقاع عن طريق التشاكل اللفظي ، مع محاولة إلباس بعض هذه المشتقات ثوب الجناس أو الطباق أو المقابلة .

يقول في مطلع عينيته (أفيقوا بني القرآن)[٤٣٦] :

ألا هل لداعي اللّه في الأرض سامع ∴ فإني بأمر اللّه يا قوم صادع

وهل من يرى الشرع الشريف تدرأت ∴ عليه حثالات مبير وخانع

فقد أسهم الجناس بين اسمي الفاعل : سامع وصادع في قوة الإيقاع ، وزاد وقوع هذا الجناس موقع التصريع من قوة موسيقاه وتأثيره الإيقاعي

---

(٤٣٥) لاجيا : لاجئًا إلى الله ﷻ .
(٤٣٦) ديوانه ص٣٢٧ – تحقيق الخزندار .

، إضافة إلى الارتباط المعنوي بين الكلمتين ، فالشاعر قبل أن يصدع بما يريد – وهو أمر الله وهديه – نبه القوم وحضهم على سماع داعي الله والإنصات إليه .

أما الطباق بين اسمي الفاعل : مبير وخانع فيكشف عن ضياع شرع الله ما بين ظالم مستبد ، وخانع مستسلم ، فالأول قد ضيّع شريعة الله بظلمه واستبداده ، والآخر قد ضيعها بخنوعه واستسلامه ، لذا فإن الله ﷻ قد توعدهما معًا بالعذاب فقال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[٤٣٧] .

ويقول في قصيدته الميمية (وطني)[٤٣٨] :

سيوفكم يا قوم سيفان خاذل ∴ لحق وسيف في المحقين خازم

فقد أسهم الجناس بين اسمي الفاعل : خاذل وخازم بموقعه من الشطرين في قوة الإيقاع الموسيقي ، وأضفى على البيت جوًّا من الحركة والحيوية ، ولم يكن التأثير – هنا – مجرد تأثير إيقاعي ، فقد أضفى الطباق بين خاذل وخازم ، أو قل التقابل بين الصورتين : سيف خاذل للحق ، وسيف خازم في المحقين – بعدًا هامًا إلى المعنى ، فالناس ما بين مؤيد للباطل ومتقاعس عن الحق ، وفي ذلك ما يصور مدى ما

---

(٤٣٧) سورة غافر – الآيتان (٤٧ ، ٤٨) .

(٤٣٨) ديوانه ص٣٢٦ – تحقيق الخزندار .

وصل إليه حال الأمة من الغفلة والتقصير في حق دين الله ، والتطاول على أهله .

أما المصادر الصناعية فقد أفرط الشاعر في استخدامها في بعض قصائده الدينية – وبخاصة مطولته التائية (هو الله) التي أربت على خمسمائة وألف بيت – استعانة بها على إتمام قوافيه ، غير أنه وإن كان قد وفق في استخدام بعضها فإن كثرة استخدامه أو اجتلابه إياها قد أوقعه في التكلف والاعتساف أحيانًا ، على شاكلة قوله[٤٣٩] :

الهي تعدى خصمك الحد واعتدى ∴ على حرمات اللّه بالأغلبية

وقوله[٤٤٠] :

الهي فطرت الكائنات بحكمة ∴ على العدل في الأشباح والصفتية

وقوله[٤٤١] :

تكبرت يا حق الكمال بما له ∴ من العز والتسبيح والعظمية

وواضح أن هذه المصادر اجتلبت اجتلابًا لمجرد إتمام القافية دون أن تنسجم أو تتسق وبناء البيت ، مما جعلها تشكل عبئًا على بنيته ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن ابتهالياته[٤٤٢] .

د – الحضور المكاني في معجمه :

ألح أبو مسلم على ذكر بعض الأماكن بصورة لافتة للنظر ، فقد ذكر

---

(٤٣٩) ديوانه ص٧ – تحقيق الخزندار .
(٤٤٠) المصدر السابق ص٧٨ .
(٤٤١) المصدر السابق ص٨٩ .
(٤٤٢) راجع : ص .

في نونيته وحدها نحو عشرين موضعًا من ربوع عمان ، على الرغم من غيابه عن وطنه تسعة وثلاثين عامًا – منها أربعة وثلاثون عامًا تباعًا – فإن ربوع هذا الوطن ظلت عالقة بنفسه لا يعدل بها سواها ، بل إنه ليعد حبها شعبة من شعب الإيمان ، يقول(٤٤٣) :

ومن شعب الإيمان حب يشفني ∴ تجاذبه تلك الديار الكرائم

عقدت بها أنس الحياة وطيبها ∴ وإن شردت بي للبعاد هوازم(٤٤٤)

ولو صارفتني في محبتها الدنا ∴ رضيت بها منها وما أنا نادم

وأكثر الأماكن حضورًا في شعره وتأثيرًا في نفسه هي تلك الأماكن التي شهدت طفولته وصباه قبل أن يرحل إلى زنجبار ويلقي بها عصا الترحال ، مثل : رضوى ، وسر ، وجوف ، وجرنان ، وعندام ، وجعلان .. تلك الأماكن التي رددها في مقدمة نونيته ثم أعقب ذكرها بقوله(٤٤٥) :

تلك المعاهد ما عهدي بها انتقلت ∴ وهن وسط ضميري الآن سكان

وثمة أماكن أخرى تبرز بشكل مكثف في قصائده الاستنهاضية ، مثل : نزوى ، بدية ، عز ، المضيرب ، الدريز ، القابل ، إيراء ، سمد ، أخشبة ، الروح ، الخضراء ، الجوف ، فرق ، سمائل ، إزكى .

والشاعر يرتبط ببعض هذه الأماكن ارتباطًا روحيًا لا يقل عن ارتباطه

---

(٤٤٣) ديوانه ص٣١٧ – تحقيق الخزندار .

(٤٤٤) الهوازم : جمع هازمة ، وهي الداهية الكاسرة ، يقال : أصابتهم هازمة من هوازم الدهر أي أصابتهم مصيبة شديدة من مصائبه .

(٤٤٥) ديوانه ص٢٩٩ – تحقيق الخزندار .

بمعاهد صباه ، مثل : (نزوى) معقل دولة الإمامة ، وفي شأنها يقول[٤٤٦] :

فإن تيامنت الحوراء شاخصة ∴ لها مع السحب أكناف وأحضان[٤٤٧]

فحط رحلك عنها إنها بلغت ∴ (نزوى) وطاقت بها للمجد أركان

انزل فديتك عنها إن حاجتها ∴ عدل وفضل وإنصاف وإحسان

انزل فديتك عنها إن وجهتها ∴ تخت الأئمة مذ كانت ومذ كانوا[٤٤٨]

هنالك انزل وقبل تربة نبتت ∴ بها الخلافة والإيمان إيمان

انزل على عرصات كلها قدس ∴ للحق فيهن أزهار وأفنان

أما بقية الأماكن فتسهم في خلق دافعية استنهاضية في القصيدة ، حيث يعمد الشاعر إلى خلق لون من التواصل القوي بينه وبين مخاطبه في هذه الأماكن ، فيمارس ذكرها تأثيرًا تنشيطيًا في نفس المتلقي يدفعه إلى تمثل أو تبني الأفكار التي يطرحها الشاعر[٤٤٩] .

ونظرًا لهذا التقارب بين أبي مسلم ومخاطبيه احتل شعره مكانًا متميزًا

---

(٤٤٦) المصدر السابق ص٣٠١ .

(٤٤٧) الضمير في قوله : " تيامنت " يعود إلى العيس التي شقت طريقها من بدية إلى نزوى في رحلة شاقة رسمها الشاعر في ثمانية أبيات تسبق هذا البيت .

(٤٤٨) تخت الأئمة : معقلهم ومكانهم .

(٤٤٩) انظر : الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا – لمحمد بن ناصر المحروقي ص٢٠٢ ، ٢٠٣ .

في نفوسهم ، وكان بمثابة الشرارة التي تلهب حماسهم ، وتدفعهم بقوة إلى الفداء والتضحية .

ثانياً : تقنياته وسماته الأسلوبية

تبدو في شعر أبي مسلم الرواحي – بصفة عامة – بعض التقنيات الأسلوبية بارزة مهيمنة ، وتستمد هذه التقنيات قيمتها من أنها – في جملتها – تنطلق من وحي تجربته دون تكلف أو اعتساف ، وتسهم في تحقيق التواصل الذي طالما حرص الشاعر على تحقيقه بينه وبين مخاطبيه .

غير أنني أركز – هنا – على التقنيات أو السمات ذوات الصلة الوثيقة باتجاهه الديني ونزعته التربوية الإصلاحية ، وأهمها :

أ – علو النبرة الخطابية وهيمنتها على شعره :

يعد الأسلوب الخطابي – بكل مكوناته وعناصره – من أبرز الخصائص الفنية لشعر أبي مسلم الرواحي ، إذ يأتي اتكاؤه على هذا الأسلوب استجابة لدافع موضوعي فرضه عليه واقعه الديني الإصلاحي ، فقد اختار أن يكون شعره رساليًا توجيهيًا يبلغ القيم والأخلاق ، والمبادئ الإسلامية ، والتطلعات الوطنية المنبعثة من منظور ديني ، ويعمل على إيقاظ الهمم وإلهاب المشاعر ، ويحث على الثورة ونفض غبار الذل والهوان ، كما كان يتخذ منه وسيلة يتضرع بها إلى ربه ، ويسأله العفو والمغفرة والنصرة والتأييد .

وأجاد أبو مسلم توظيف أدواته الخطابية من : أمر ، ونهي ، واستفهام ، ونداء ، واستغاثة ، وحث ، وتحضيض ، ودعاء ، وتعجب ،

فحملها مشاعره الملتهبة الثائرة لتبلغها المتلقي في عمان وشرق أفريقيا وسائر الأقطار العربية والإسلامية ، راجيًا أن تسري الجذوة المتأججة في نفسه في نفوس مخاطبيه ، فيستجيبوا لما يدعو إليه من نصرة دين الله ومقاومة الظلم والطغيان والاستبداد .

وقد تبوأ أسلوب الاستفهام مكانًا بارزًا بين أدوات الشاعر ، نظرًا لكونه أسلوبًا توجيهيًا غير مباشر من جهة ، وقابليته للتشكل والتنويع من جهة أخرى ، فقد تكرر هذا الأسلوب في نونيته(٤٥٠) تسعًا وسبعين مرة ، وفي مقصورته(٤٥١) إحدى وأربعين مرة ، وفي ميميته(٤٥٢) خمسًا وعشرين مرة ، وكان له حضوره الواضح في سائر ديوانه .

وقد أفاد أبو مسلم من تشكيلات هذا الأسلوب وأجاد توظيفه لخدمة أغراضه الشعرية المختلفة ، يقول في إحدى وطنياته – مستنكرًا ومعنفًا ومبكتًا تلك الفئة التي والت أعداء الله وحاربت أولياءه –(٤٥٣) :

أحقًا عباد الله بعض سيوفكم ∴ لدعوة أهل الاستقامة حاسم

أحقًا عباد الله بعض قواكم ∴ لقوة عبّاد الصليب دعائم

إنه يتفجر أسى وحسرة وغيظًا من هؤلاء القوم الذين تحالفوا مع قوى الاستعمار في مواجهة دولة الإمامة ، فيعنفهم ويبكتهم ، ويستنكر أن يكون عمى البصائر قد وصل بهم إلى درجة إعمال سيوفهم في أهل الهدى

---

(٤٥٠) ديوانه ص٢٩٩ وما بعدها – تحقيق الخزندار .
(٤٥١) المصدر السابق ص٣٣٦ وما بعدها .
(٤٥٢) المصدر السابق ص٣١٦ وما بعدها .
(٤٥٣) ديوانه ص٣٢٥ – تحقيق الخزندار .

والاستقامة ، والوقوف في طريق دعوتهم ، ودعم قوى الشرك والضلال وعبّاد الصليب أعداء دين الله وشرعته .

ويقول في إحدى مراثيه متحسرًا على فقد العلامة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش[٤٥٤] :

أتتركنا والليل مرخ سدوله ∴ وما بيننا هاد إليه نهود

ومبعث الحسرة هو أن أبا مسلم لا يبكي رجلاً عاديًا ، إنما يبكي عالمًا عاملاً مصلحًا جريئًا في الحق ، وقد رحل في فترة عصيبة كانت الأمة أحوج ما تكون إلى جهوده فيها .

وقد يكون مبعث الاستفهام عنده هو العظة والتأسي على شاكلة قوله في إحدى وعظياته ، حيث يقول[٤٥٥] :

أين الحميم الذي كنا نخالطه ∴ أين الأحبة نبكيها ونرثيها

أين الملوك ومن كانت تطوف بها ∴ أو من ينازعها أو من يداريها

أين الأباعد أين الجار ما فعلت ∴ بهم بنات الليالي في تقاضيها

متأثر في هذه الأبيات بروح أبي العتاهية وتساؤلاته التي بثها في ثنايا زهدياته .

وكما كان لأسلوب الاستفهام حضوره الملحوظ ، كان لأدوات الخطاب الأخرى وجودها الملحوظ أيضًا ، ويكفي أن نشير إلى أن أسلوب النداء قد تكرر في نونيته وحدها اثنين وأربعين مرة ، وجاءت هذه الندوات – في جملتها – مفعمة بروح الاستنهاض ، والحث على مقاومة الدخيل

---

(٤٥٤) المصدر السابق ص٣٩٥ .

(٤٥٥) ديوانه ص٣٧٥ – تحقيق الخزندار .

المستعمر والظالم المستبد في محاولة دائبة لتحريك الهمم وإثارة المشاعر[٤٥٦] ، وأن النداء بـ (يا) وحدها قد تكرر في مطولته الابتهالية (هو الله) أكثر من سبعين ومائة مرة يعلن الشاعر فيها عن تعظيمه وتقديسه لله ﷻ ، ويظهر من خلالها إعلان الضراعة والتقرب إلى الله ، والحاجة إلى عظيم عفوه وفضله وكرمه ، على شاكلة قوله[٤٥٧] :

ويا نافع انفعني بتحقيق توبتي ∴ وتثبيتها يا رب عن كل زلة

ويا نافع انفعني بتقديس باطني ∴ وتزكيتي من آفة البشرية

ويا نافع انفعني بعرفان خالقي ∴ وإحياء سري واتقاد بصيرتي

ويا نافع انفعني باذكارك التي ∴ صرفت لها حباً لوجهك خدمتي

ويا نافع انفعني بخوفك والرجا ∴ وبالعدل والاحسان في كل خصلة

أما أساليب الأمر والنهي فتارة ترد مقصودًا بها الدعاء ، وأكثر ما يكون ذلك في ابتهالاته ومناجاته حيث يضرع إلى ربه يسأله الرضا والقبول ، والعفو والمغفرة ، كما يضرع إليه أن ينتقم من المستعمرين الغاصبين ، وأن يدمر بلادهم ويهلك نسلهم ، يقول[٤٥٨] :

الهي مميت الحيِّ مستأثرُ البقا ∴ عدوك حز الحق منه بشفرة

أمته مميت الحي مفني خلقه ∴ بدامية تغتاله ذات مرة

---

(٤٥٦) انظر : ديوانه ص٣٠٦ وما بعدها .. وراجع : ص ٦٦-٦٨ من البحث .
(٤٥٧) ديوانه ص١٠٩ – تحقيق الخزندار .
(٤٥٨) ديوانه ص٩٤ – تحقيق الخزندار .

وخـذ لحـدود اللّـه منـه بثارهـا ∴ فكم ضامها إذ عز حامي الحقيقة

ودمدم على أنصاره واصطلمهمو ∴ بمـا اصـطلموه مـن حقـوق الشريعة(٤٥٩)

أمتهم وأهلك نسلهم وبلادهم ∴ فمـا لـك في أمثـالهم مـن بقيـة

وتارة يرد الأمر أو النهي مقصودًا به الحث ، أو التنبيه ، أو التحذير ، أو النصح والتوجيه ، يقول ناصحًا(٤٦٠) :

لن ترضيَ اللّه حتى تخلص الورعا ∴ ولـن تـرى ورعـاً بالجهـل مجتمعـا

فاستنهض النفس في إدراك ما جهلت ∴ حتى ترى العلم في حافاتها سطعا

فـابغ المعـارف آلات لصـنعته ∴ بكـل علـم يعـيش العبـد منتفعـا

فاطلب واطلق بلا قيد ولا حرج ∴ وقف إذا كان عنه الشرع قد منعا

وأيقـظ العـز إن نامـت لواحظـه ∴ في الجـد للّـه لا وهنـاً ولا هلعـا

واصرف حياتك من بدء لخاتمة ∴ في علـم دينـك للقـرآن متبعـا

هـو المهـم الـذي ترجـى عواقبـه ∴ إن مـت أحيـاك أو قدمتـه شفعا

ب – كثرة التناص والاستدعاء :

---

(٤٥٩) اصطلمهم : استأصلهم .

(٤٦٠) المصدر السابق ص٣٥٧ ، ٣٥٨ .

ويرجع ذلك على ثقافة أبي مسلم التراثية ، وارتباطه بماضي أمته وتايخها المجيد ، يقول د/ محمد مفتاح : " إذا كانت ثقافة ما محافظة تنظر إلى أسلافها بمنظار التقديس والاحترام ، وإذا لم تتعرض لهزات تاريخية عنيفة تقطع بين تواصلها – فإنها تكون مجترة محافظة ، وإذا كانت ثقافة ما متغيرة انتابتها تحولات تاريخية واجتماعية عميقة فإنها – غالبًا – ما تعيد النظر في تراثها بمناهج مختلفة "[٤٦١] .

وبما أن حياة أبي مسلم العلمية والعملية كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالكتاب والسنة ، وبكتب التراث الديني واللغوي ، وكانت نظرته إلى هذا التراث هي نظرة التقدير والاحترام – فإن تأثره بالكتاب والسنة وبفحول الشعراء المتقدمين سواء على سبيل التناص أم على سبيل الاستدعاء أو الإشارة أو الإحالة قد بدا واضحًا جليًا في ديوانه ، وقد أشرت إلى ذلك في مواضع متعددة[٤٦٢] .

ومن تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه منه قوله[٤٦٣] :

وكل ذلك والقرآن يأمره ∴ " قل رب زدني علماً " فوق ما جمعا

فما بين علامتي التنصيص مقتبس من قوله تعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾[٤٦٤] .

---

(٤٦١) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) – د/ محمد مفتاح ص١٢٢ ، ١٢٣ – نشر المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، وبيروت – سنة ١٩٩٢م .

(٤٦٢) راجع : ص ١٧٢.

(٤٦٣) ديوانه ص٣٥٨ – تحقيق الخزندار .

(٤٦٤) سورة طه – جزء من الآية (١١٤) .

وقوله[٤٦٥] :

صدقتَ " قد أفلح من زكاها " ∴ إن ربهـــا ألهمهـــا تقواهـــا

فما بين علامتي التنصيص مقتبس من قوله تعالى : ﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾[٤٦٦] ، والشطر الثاني مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا** ﴾[٤٦٧] .

وقوله[٤٦٨] :

بحولك تؤت الملك يا رب من تشأ ∴ وتنزعه ممن تشاء لحكمة

وأنت معز من تشا ومذل من ∴ تشاء بتصرف اقتضاء الألوهة

وفي يدك الخير الذي أنت أهله ∴ وخيرك ربي عدتي عند شدتي

متأثرًا بقوله تعالى : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾[٤٦٩] .

ومن تأثره بالسنة المطهرة قوله في وصف حال الإباضي الزاهد

---

(٤٦٥) ديوانه ص٢٠٤ – تحقيق الخزندار .
(٤٦٦) سورة الشمس – الآية (٩) .
(٤٦٧) سورة الشمس – الآية (٨) .
(٤٦٨) ديوانه ص١٠٥ – تحقيق الخزندار .
(٤٦٩) سورة آل عمران – الآية (٢٦) .

المجاهد[٤٧٠] :

كفتــه لقيمــات يقمــن صــلبه ∴ وطمــر مــن الانهــاج يأبــاه رافع[٤٧١]

أخذ شطره الأول من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثُ طَعَامٍ وَثُلُثُ شَرَابٍ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ** »[٤٧٢] .

وقوله[٤٧٣] :

ألا فالزموهــا ســنة وجماعــة ∴ وقد طالما حنت إليها العوالم

وعضوا عليها بالنواجذ جهدكم ∴ ففيها بدايات الهدى والخواتم

متأثرًا بقوله صلى الله عليه وسلم : « **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** »[٤٧٤] .

ومن تأثره بفحول الشعراء قوله[٤٧٥] :

---

(٤٧٠) ديوانه ص٣٣٣ – تحقيق الخزندار .

(٤٧١) المراد بالإنهاج – هنا – : شدة البلى .

(٤٧٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن المقدام بن معديكرب جـ٤ ص١٣٢ – ط/ المكتب الإسلامي – بيروت – سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .. وابن ماجه في سننه عن المقدام أيضًا – كتاب الأطعمة – باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع جـ٢ ص١١١١ – حديث رقم (٣٣٤٩) – ط/ عيسى الحلبي – سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

(٤٧٣) ديوانه ص٣٢٣ – تحقيق الخزندار .

(٤٧٤) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه عن العرباض بن سارية – كتاب السنة – باب في لزوم السنة جـ٤ ص٢٠٠ ، ٢٠١ – حديث رقم (٤٦٠٧) – مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٤٧٥) ديوانه ص٣٨٠ – تحقيق الخزندار .

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ∴ فلسنا إلى غور نسير ولا نجدِ

ناسخًا شطره الأول من قول الشنفري[٤٧٦] :

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم ∴ فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمَيلُ

وقوله[٤٧٧] :

كذا كل شيء ما خلا اللّه مُنتهٍ ∴ لحد ومرمى نفسه لتبابها

آخذًا شطره الأول من قول لبيد بن ربيعة العامري[٤٧٨] :

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ ∴ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

وقوله في وصف بني جلدته من العمانيين وحضهم على مناصرة الإمام سالم بن راشد الخروصي[٤٧٩] :

لا يفتنون رياشا فوق سابغة ∴ كأنهن إذا ألقين غدران

وغير صفحة هندي مفللة ∴ كأنها بتفاث الموت ثعبان

وغير أنياب أعوال مسننة ∴ عن عهد عاد لها ذكر وأسنان

متأثرًا بقول امرئ القيس[٤٨٠] :

أَيَقتُلُني وَالمِشرَفِيُّ مُضاجِعي ∴ وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

---

(٤٧٦) شرح لامية العرب – لأبي البقاء العكبري ص١٦ – تحقيق د/ محمد خير الحلواني – نشر دار الآفاق الجديدة – بيروت – سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م – الطبعة الأولى .

(٤٧٧) ديوانه ص٣٦٦ – تحقيق الخزندار .

(٤٧٨) ديوانه ص١٣٢ – ط/ دار صادر – بيروت .

(٤٧٩) ديوانه ص٣١١ – تحقيق الخزندار .

(٤٨٠) ديوانه ص٣٣ – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط/ دار المعارف – مصر – سنة ١٩٦٩م – الطبعة الثالثة .

ولا شك أن استدعاء الخطابات الغائية له استراتيجيته التي يمكن رصدها من خلال فاعليته في الخطاب الحاضر ، حيث يكون الاستدعاء وسيلة لامتلاك قدرات مجاوزة تهيئ للشعرية أن يتعامل مع عالمها من منطلق فوقي(٤٨١) .

وهذه الاستدعاءات تبرز مدى ارتباط أبي مسلم بتراث أمته وتاريخها العريق مع محاولة الإفادة منه في تغيير واقعه ، وتشكل في ديوانه محورًا يستحق دراسة مستقلة .

جـ – القرب والوضوح :

يتسم شعر أبي مسلم – في جملته – بالقرب والوضوح ، والبعد عن الغرابة والتعقيد ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب ، أهمها :

١ – نزعته الدينية ونهجه الإسلامي الذي يمج التكلف والتعقيد ، ويجنح إلى السهولة والوضوح .

٢ – رسالته التربوية الإصلاحية التي جعلت جل همه ومبلغ قصده أن يصل إلى المتلقي من أقرب الطرق وأيسرها بعيدًا عن كل حوشي وغريب .

٣ – تأثره بعمله الصحفي الذي تطلب منه أن يكون قريبًا من جمهوره ، حريصًا على قرب فكرته ووضوحها ، رجاء وصولها إلى أكبر عدد ممكن من المتلقين .

ومع ذلك فقد مال الشاعر في بعض قصائده إلى جانب القوة والجزالة ،

---

(٤٨١) انظر : مناورات الشعرية – د/ محمد عبد المطلب ص٢٤٧ – ط/ دار الشروق – القاهرة وبيروت – سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م – الطبعة الأولى .

لكنها القوة والجزالة التي لا تعقيد فيها ولا التواء ، على نحو قوله[٤٨٢] :

مـالي وللـدهر يغـري بي حوادثـهُ ∴ كـأنَّ صـبري علـى لأوائـه زَلَـلُ
كان فضليَ في عين الزمان قَذى ∴ لقـد درى أنـه في عينـه كحـل
كـأن همـيَ سـهم في مقالتـه ∴ ومذهبي في العلى في رجله كَبَلُ
إذا نَشطت لحقي في العُلى عَرَضَتْ ∴ أمـامَ عزمـي في إعراضـه عِلـل
لا أجتـني خطـةً إلاّ مُخالسَـةً ∴ ودون اتمامهـا الأهـوال تشـتعلُ
مـا سـرني درك مجـد لا تُقـارعني ∴ مِن دونهِ نَكبـاتُ الـدهر والغِيَـل
ولا هنئـت بفضـل لا تُـراقِبُني ∴ مـن الرزايـا عليـه خِطـة جَلَـلُ
أرى العُلى بخطوب الدهر ساميَةً ∴ كـأن طـرق الرزايـا للعلـى سُـبُل
قد يكسب المجدُ مجَداً مِن رزيئتهِ ∴ كجوهر التبر تُبدِي حُسْنَهُ الشُعَل
أقول للدهر أرسلها العراكَ فانْ ∴ أجـزع لخطتهـا فالويـلُ والهبَـلُ
وهـات كاسَكَ إن صاباً وإن عَسَلاً ∴ فَقَدْ تساوى لديَّ الصابُ والعَسَل
إني أنفـتُ مـن البقيـا إذا أنفَـت ∴ إلا اغتيال السري الماجد العضل
مـا أطيبَ العيش لولا أن يشاركني ∴ فيمـا ينغصـه الهيابَـةُ الوكـل
ولسـت ارتـاد مـاءً مـا بـه كَـدَرٌ ∴ إلا إذا كـانَ دَهْـري مـا بـه دغـل
ليـتَ الحـوادثَ لا تعـدو مساورتي ∴ ولا عـرى يـد دهـر كـادني شَـلَلُ

د – التكرار :

---

(٤٨٢) ديوانه ص٣٦٨ – تحقيق الخزندار .

يشكل عنصر التكرار ظاهرة بارزة ولافتة للنظر في شعر أبي مسلم الرواحي ، ذلك أن أبا مسلم كان شاعرًا جماهيريًا معنيًّا بأمر السواد الأعظم ، يعمل على إثارة مخاطبيه وإلهاب مشاعرهم وإثارة روح النضال والثورة في نفوسهم ، فكان يرى نفسه في بعض المواقف محتاجًا إلى التكرار لتأكيد الفكرة وتثبيتها في أذهان مستمعيه ، فيعمد إليه لتأدية وظيفة معينة في إطار النص ، على شاكلة قوله(٤٨٣) :

كتائب الله لم تخلق نفوسكم ∴ لكي يسخرها ذل وأهوان

كتائب الله أدعوكم إلى شرف ∴ عقباه إن تصدق النيات رضوان

كتائب الله يوم الهول عيدكم ∴ فما لكم لبغيض الله عيدان

إنه يدعو هذه الكتائب ، ويضيفها إلى لفظ الجلالة إضافة تشريف ، ويحثها أن تكون عند مستوى هذا الشرف ، فكتائب الله لا يمكن أن تقبل الذل والهوان ، ولا يرضى من ينضوون تحت لوائها أن يكونوا عبيدًا مسخرين لأعداء الله .

وفي تكرار نداء هذه الكتائب إبراز للأمانة الملقاة على عاتقها ، وبيان لثقل المهمة المنوطة بها ، وأمل الأمة في نجدتها وتحركها لنصرة دين الله ، ومحاولة لحفر هذا الاسم في ذاكرة الأمة وذاكرة التاريخ ، فكتائب الله وحدها هي القادرة على تحقيق آمال الأمة ودحض أعدائها وخصومها .

وقد مر بنا في ثنايا البحث عدد غير قليل من النماذج التي حاول أبو مسلم فيها توظيف هذه التقنية للتأكيد على فكرة ما أو ترسيخها في أذهان

---

(٤٨٣) ديوانه ص٣١٢ – تحقيق الخزندار .

مخاطبيه[٤٨٤] .

غير أن أبا مسلم قد أسرف في استخدام هذا الأسلوب ، وبخاصة في شعره الابتهالي ، يقول في مطولته الابتهالية (هو الله)[٤٨٥] :

تعلقت باللّه الكريم ولم تخب ∴ أمان على باب الكريم استقرت

تعلقت باللّه الحليم وإنني ∴ لأعظم شيء في الخطايا خطيئتي
تعلقت باللّه الكفيل وفضله ∴ عظيم وقد ضاقت علي معيشتي
تعلقت باللّه السميع استغاثتي ∴ سميع دبيب النمل من فوق صخرة
تعلقت باللّه الخبير بوهلتي ∴ إليه واخباتي ورهبي ورغبتي
تعلقت باللّه المليك وحسب من ∴ تعلق باسم اللّه أفخر نسبة

فيكرر قوله : " تعلقت بالله " أربعًا وثلاثين مرة في صدر أربعة وثلاثين بيتًا ، ثم يستخدم عبارة (تعلقت بالله) ، فيكررها ثلاث عشرة مرة في صدر ثلاثة عشر بيتًا تباعًا .

ويقول في قصيدته الابتهالية (الكلم الطيب)[٤٨٦] :

أستغفر اللّه لكفران النعم ∴ أستغفر اللّه لأسباب النقم
وكل ما جاء بلا أو نعم ∴ وكل ما يطرد عن حماه
بحقّ لا إله إلا اللّه

---

(٤٨٤) راجع : ص ٦٦-٦٧ .
(٤٨٥) ديوانه ص٦١ – تحقيق الخزندار .
(٤٨٦) المصدر السابق ص١٩٥ .

أســتغفر اللّــه لــترك الذكـــر ∴ أســتغفر اللّــه لــترك الشكـــر
أســتغفر اللّــه لــترك الصبـــر ∴ قــد طالمــا جزعــت في بلـــواه
بحـــــقّ لا إلـــــه إلا اللّـــــه

أســتغفر اللّــه لعلــم مــا نفــع ∴ أســتغفر اللّــه لجهــل بي قطــع
أســتغفر اللّــه لمــذموم الطمــع ∴ والشــح والبــذل الــذي تأبــاه
بحـــــقّ لا إلـــــه إلا اللّـــــه

يقول د/ أحمد درويش : " ولا شك أن هذا التكرار أنسب إلى شعر السماع والترديد منه إلى شعر القراءة الصامتة ، ولعله ترديد يتجلى في حلقات الذكر والدعاء حتى تحتفظ هذه النغمة الثابتة بمرجع موسيقي يعود إليه الذاكر أو الداعي ، ويستريح عنده الإنشاد أو ينطلق منه "[٤٨٧] .

وقد أشرت في الحديث عن ابتهالياته[٤٨٨] إلى أن الرجل قد أنشأ هذه الابتهاليات إشباعًا لدوافع نفسية ، واستجابة لرغبة شريحة اجتماعية فتنت بها ، وراحت ترددها في أذكارها وخلواتها ، غير أن ذلك قد أثر سلبًا على مستواها الفني ، فغلبت عليها النثرية والخطابية ، وضعف فيها التصوير ، وكادت تفتقد عنصر الخيال الذي يعد من أهم عناصر الشاعرية ، فجاءت إلى النظم أقرب منها إلى الشعر ، وكان الأولى به أن يرتفع بأذواق مريديه ومحبيه إلى المستوى الذي يليق به كشاعر مبدع .

---

(٤٨٧) تطور الأدب في عمان – د/ أحمد درويش ص١٧٧ .
(٤٨٨) راجع : ص ١٢٩ .

الخاتمة

وختامًا أسجل الآتي :

١ – أن أبا مسلم شاعر كبير ملك – بموهبته الشعرية ، واتجاهه الإسلامي ، ومنهجه الإصلاحي – قلوب العمانيين ، وكان لشعره وقع الصدى في نفوسهم .

٢ – أنه كان – دائمًا – في قلب الحدث مناضلاً مثابرًا ، سلاحه القصيدة والمقالة والرسالة ، يدفعه إلى ذلك واجبه الديني والوطني ، وقد أرسلها صرخات مدوية في وجه المستعمر الغاصب والطغاة المستبدين ، فألهبت قصائده حماس العمانيين ، وكانت ذات أثر واضح في ثورتهم على الذل والهوان ، وهبتهم في وجه الظلم والطغيان ، والعمل على نصرة دين الله واسترداد حقوقهم السليبة .

٣ – أن الرابطة الدينية هي القاسم المشترك بين جميع من رثاهم أبو مسلم ، وأنه كان يرتكز في رثائه على إبراز المكانة الدينية للمرثي ، وما خلفه فقده من فراغ ديني أو فكري أو إصلاحي ، فجميع من رثاهم أبو مسلم من الأئمة أو العلماء أو القضاة الذين يشكل فقدهم مصابًا فادحًا ، وخَطْبًا عظيمًا ، وفراغًا كبيرًا ، ليس في أوطانهم فحسب ، بل في رقعة الملة الإسلامية ؛ وكان أبو مسلم ينتهز فرصة التجاوب العاطفي في هذه المواقف لبث توجيهاته الوعظية ، فتخفف ألم المصاب من جهة ، وتعمل على الأخذ بيد المتلقي إلى طريق النجاة بتحذيره من الدنيا الخادعة الماكرة من جهة أخرى .

٤ – أن قصيدة الابتهال عند أبي مسلم ليست مجرد فن شعري يشبع به جانبًا

من غريزته الأدبية ، إنما هي ترجمة صادقة لمشاعره وحاجاته النفسية ونزعته الروحية ، وإن كان مستواها الفني قد هبط في أكثر الأحيان إلى مستوى النظم ، وغلبت عليها النثرية .

٥ – أن اتجاه أبي مسلم الديني كان ثابتًا ومتأصلاً في شتى أغراضه الشعرية، فجاءت متسقة مع سيرة حياته التي شب فيها على الإسلام وشاب عليه ، لم تزحزحه الأيام أن تثنيه الخطوب عن مواقفه العقدية أو رؤاه الدينية والفكرية ، بحيث بدا هذا الاتجاه موجهًا ومحركًا ، بل مسيطرًا على سائر أغراضه الشعرية .

٦ – أن أبا مسلم يسلك في عداد شعراء المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، فقد حافظ على عمود القصيدة ، والتزم الديباجة العربية بنية وتركيبًا ، في حين أتى شعره معبرًا عن واقعه ، مفعمًا بقضايا وطنه وأمته .

٧ – أن عنصر الزمن يشكل بعدًا هامًا وحيويًا في شعر أبي مسلم ، فقد كان شديد الإحساس بقيمة الزمن ، مدركًا أن الفرص السانحة قد لا تتكرر ، ومن ثمة يجب الظفر بها ، ولم يكن زمنه الشعري بمعزل عن زمنه السياسي والاجتماعي والتاريخي .

وأخيرًا يمكن القول – وباطمئنان كبير – أن الاتجاه الديني هو المحور الرئيس الذي يدور حوله شعر أبي مسلم ، وينطلق من خلاله ، وأن الرجل أجاد توظيف فنه الشعري لخدمة عقيدته ونصرة دينه ، والأخذ بيد أمته إلى طريق العزة والنصر ، وأن شعره ما يزال مجالاً خصبًا لمزيد من الدراسات التي تسبر أغواره ، وتجلى جوانب الإبداع فيه .

المصادر و المراجع

١ – الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلي يحيى معمر ، ط المطابع العالمية بسلطنة عمان سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٤م ، الطبعة الثالثة .

٢ – الإباضية في موكب التاريخ لعلي يحيى معمر ، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، الطبعة الثانية .

٣ – ابن الرومي : حياته من شعره للعقاد ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت سنة ١٩٨٤م .

٤ – أبو مسلم الرواحي : حسان عمان لمحمد بن صالح ناصر ، نشر مكتبة مسقط سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، الطبعة الأولى .

٥ – اتجاهات الشعر العماني المعاصر لشبر بن شرف الموسوي ، ط مطابع النهضة بمسقط سنة ٢٠٠٠م .

٦ – الأدب العربي المعاصر في مصر ، د/ شوقي ضيف ، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٢م ، الطبعة العاشرة .

٧ – أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٦٣٠هـ) ، تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد بعد الموجود ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٨ – أضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا لعبد الله بن سالم الحارثي ، ط المطابع العالمية بمسقط سنة ١٩٩٤م .

٩ – الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين بيروت سنة

١٩٩٧م ، الطبعة الثانية عشرة .

١٠ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت سنة ١٤/١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

١١ - البداية والنهاية لابن كثير ، نشر مكتبة المعارف بيروت سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

١٢ - بهجة الأنوار (شرح أنوار العقول في التوحيد) للعلامة نور الدين السالمي ، ط مطابع النهضة بسلطنة عمان سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، الطبعة الثالثة .

١٣ - البيان والتبيين للجاحظ ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .

١٤ - تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر د/ جمال زكريا قاسم ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٩٦م .

١٥ - تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٩٦م .

١٦ - تجربتي الشعرية للبياتي (ديوانه) ، ط دار العودة بيروت سنة ١٩٧٩م الطبعة الثالثة .

١٧ - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان لنور الدين السالمي ، نشر مكتبة السالمي بمسقط سنة ١٩٩٥م .

١٨ - تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د/ محمد مفتاح ، نشر المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت سنة ١٩٩٢م.

١٩ - تطور الأدب في عمان د/ أحمد درويش ، ط دار غريب للطباعة

والنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٨م .

٢٠ - جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار لسعيد بن جمعة المغيري ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد علي الصليبي ، ط وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٢١ - الجواهري شامخًا في حياته ومماته لفاروق سعد أبو جابر ، ط المؤسسة الأردنية " الرأي " سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، الطبعة الأولى.

٢٢ - الحق الدامغ للشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، ط دار الندوة الجديدة بيروت ، نشر مكتبة الضامري بمسقط سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، الطبعة الثانية .

٢٣ - الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

٢٤ - دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر د/ بدر الدين عباس الخصوصي ، نشر دار السلاسل بالكويت سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

٢٥ - دراسات في العقيدة الإسلامية د/ فؤاد العقيلي ، نشر المؤلف سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

٢٦ - ديوان أبي تمام ، تقديم وشرح د/ محيي الدين صبحي ، ط دار صادر بيروت سنة ١٩٩٧م .

٢٧ - ديوان أبي العتاهية ، ط دار صادر بيروت سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٨ - ديوان أبي مسلم الرواحي ، تحقيق عبد الرحمن الخزندار ، ط

مطابع دار المختار سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م[٤٨٩] .

ديوانه : تحقيق علي النجدي ناصف ، ط وزارة التراث القومي ، والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٢٩ - ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٩م ، الطبعة الثالثة .

٣٠ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ط دار صادر بيروت ، بدون تاريخ.

٣١ - ديوان المتنبي تحقيق عبد الوهاب ، عزام ، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٩٥م .

ديوانه : شرح العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ط مصطفى الحلبي سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

٣٢ - ديوان وحي العبقرية للشيخ عبد الله بن علي الخليلي ، ط دار جريدة عمان للصحافة والنشر بمسقط سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٣٣ - ذكرياتي للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري ، نشر دار الرافدين بدمشق سنة ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

٣٤ - الزمرد الفائق في الأدب الرائق لمحمد بن راشد الخصيبي ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٣٥ - سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لمديحة أحمد درويش ، ط دار الشروق بجدة سنة ١٩٨٢م .

---

(٤٨٩) كلما ذكر ديوان أبي مسلم في ثنايا البحث فالمقصود به هذه الطبعة ما لم ينص على غيرها .

٣٦ – السلوة في أخبار كلوة لمؤلف مجهول الاسم من القرن العاشر الهجري ، تحقيق محمد علي الصليبي ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٣٧ – سنن ابن ماجة ، ط عيسى الحلبي سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

٣٨ – سنن أبي داود ، مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، بدون تاريخ .

٣٩ – سنن الترمذي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، بدون تاريخ .

٤٠ – شرح جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٤١ – شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي ، نشر الشركة العالمية للكتاب سنة ١٩٩٥م ، الطبعة الثانية .

٤٢ – الشعر العماني الحديث : أبو مسلم البهلاني رائدًا لمحمد بن ناصر المحروقي ، نشر المركز الثقافي العربي – بيروت ، والدار البيضاء سنة ١٩٩٩/٢٠٠٠م ، الطبعة الأولى .

٤٣ – الشعر العماني في المهجر الإفريقي للمؤلف ، ط دار مصر للخدمات العلمية بالقاهرة سنة ١٩٩٩م .

٤٤ – الشعر العماني : مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية ، د/ علي عبد الخالق علي ، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م .

٤٥ – شعراء عمانيون لسعيد الصقلاوي ، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

٤٦ – شعراء معاصرون لعبد الله الطائي ، ط مطبعة ألوان مسقط سنة ١٩٨٧م .

٤٧ – شقائق النعمان علي سموط الجمان في أسماء شعراء عمان لمحمد بن راشد الخصيبي ، ط وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، الطبعة الثالثة .

٤٨ – الشوقيات ، ط دار الفكر – بيروت سنة ١٤١٨هـ/١٩٨٧م .

٤٩ – صحيح البخاري ، شرح ابن حجر ، ط دار الفكر ، بدون تاريخ.

٥٠ – صحيح مسلم ، شرح النووي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٥١ – الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق د/ مفيد قميحة ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٥٢ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، تحقيق محمود شاكر ، ط المدني بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

٥٣ – عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ، نشر مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨١م .

٥٤ – العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٥٥ – علم الأسلوب : مبادئه وإجراءاته ، د/ صلاح فضل ، ط. النادي الأدبي بجدة ، سنة ١٩٨٨م .

٥٦ – عمان " ٩١ " إصدار وزارة الإعلام بمسقط سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٥٧ – العمدة لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الجبل بيروت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، الطبعة الخامسة .

٥٨ – غاية المستفيد من علم العروض الجديد لأستاذنا/ إبراهيم علي أبو الخشب (رحمه الله) ، ط دار الطباعة الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

٥٩ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، ط دار الفكر ، بدون تاريخ .

٦٠ – الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين لابن رزيق المتوفى سنة ١٢٩١هـ ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله ، ط وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٦١ – فن التخميس في الشعر العماني ليحي البهلاني ، نشر مكتبة مسقط سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٦٢ – فن التقطيع الشعري والقافية د/ صفاء خلوصي ، نشر مكتبة المثنى بغداد سنة ١٩٧٧م .

٦٣ – في الأدب العماني الحديث ليوسف الشاروني ، ط دار رياض الريس للكتب والنشر – لندن سنة ١٩٩٠م .

٦٤ – قراءات في فكر البهلاني الرواحي (عدة مقالات علمية لمجموعة من الكتاب والباحثين) إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، الطبعة الأولى .

٦٥ – قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش : حياته ، آثاره الفكرية ، جهاده ، لكبير بن سعيد أغوشت ، ط مكتبة الضامري

بمسقط سنة ١٩٨٩م .

٦٦ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ ، تحقيق محمد عمر الدمياطي ، ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، الطبعة الأولى .

٦٧ - اللوامع البرقية في سيرة مولانا المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الإفريقية الشرقية لأبي مسلم الرواحي ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٩٨٣م .

٦٨ - لمحات عن ماضي التعليم في سلطنة عمان ، إصدار وزارة التربية والتعليم والشباب بمسقط سنة ١٩٨٢م .

٦٩ - محاضرات في المجتمع العماني ، المعاصر ، إعداد ونشر كلية الآداب جامعة السلطان قابوس سنة ١٩٩٧/١٩٩٨م .

٧٠ - مدخل إلى دراسة الأدب في عمان د/ أحمد درويش ، ط دار المعارف بمصر ، نشر مكتبة دار الأسرة سنة ١٩٩٢م .

٧١ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ، تحقيق عبد السلام محمد علوش ، ط دار المعرفة بيروت سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٧٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٧٣ - الملل والنحل للشهر ستاني ، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٧٤ - المواقف في علم الكلام للعلامة عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، ط عالم الكتب بيروت ، بدون تاريخ .

٧٥ – مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ، تحقيق محمود قاسم ، ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٤م .

٧٦ – مناورات الشعرية د/ محمد عبد المطلب ، ط دار الشروق القاهرة ، بيروت سنة ١٤١٦هـ/١٩٨٦م ، الطبعة الأولى .

٧٧ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري ، ط المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٢٧٩هـ .

٧٨ – نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر لأبي مسلم الرواحي ، ط وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط سنة ١٩٨٠م .

٧٩ – نهضة الأعيان بحرية أهل عمان لأبي بشير محمد بن عبد الله السالمي ، ط عيسى الحلبي ، نشر مكتبة العلوم ، بدون تاريخ .

بعض الصحف والمجلات :

١ – مجلة المعالم الصادرة في لندن ، العدد الثاني ديسمبر/أكتوبر سنة ٢٠٠٠م ، والعدد الرابع يناير/فبراير سنة ٢٠٠١م .

٢ – مجلة المنتدى الأدبي – مسقط ، عدد يونيو سنة ١٩٩١م ، وديسمبر سنة ١٩٩٣م .

٣ – مجلة نزوي – مسقط ، العدد الثامن عشر ، عدد ذي الحجة ١٤١٩هـ/أبريل سنة ١٩٩٩م .

٤ – الملحق الثقافي لصحيفة عمان ، عدد رقم (٦٩٩٩) الصادر بتاريخ ٢٠٠٠/٦/٣١م .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمــة	
الفصل الأول : وقفة مع الشاعر – عصره وبيئته وحياته	
المبحث الأول : عصره وبيئته	
المبحث الثاني : حياته	
الفصل الثاني : بواعث الخطاب الديني في شعره	
الفصل الثالث : البعد الديني في وطنياته	
الفصل الرابع : النزعة الدينية في مراثيه	
الفصل الخامس : ابتهالاته ومناجاته	
الفصل السادس : أثر الاتجاه الديني في تشكيل أغراضه الشعرية الأخرى	
* المواعظ والحكم	
* المدائح النبوية	
* الإخوانيات	
* المديح	
* الاعتذار	
* الغزل	
الفصل السابع : دراسة فنية	
المبحث الأول : اتجاهه الفني	

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الثاني : إشكالية الزمن في شعره	
المبحث الثالث : المعجم والأسلوب	
أولاً : معجمه الشعري	
ثانيًا : تقنياته وسماته الأسلوبية	
خاتمـــة	
المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	